- نقض قراءة تحريفية للقرآن الكريم-

أباطيل وأهواء في كتاب:
"الكتاب والقرآن"لمحمد شحرور

- قراءة نقدية تنقض وتكشف جانبا كبيرا من أباطيل وأهواء محمد شحرور في كتابه " الكتاب والقرآن"-

الأستاذ الدكتور
خالد كبير علال

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الكريم محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه، وبعد:

أولا ، عنونتي كتابي هذا بـ : " أباطيل وأهواء في كتاب: الكتاب والقرآن لمحمد شحرور"، سميته بذلك لأن كتابه مملوء بالأباطيل والأوهام التي استبطنت أهواءه من جهة؛ ولأن شحرورا كتب كتابه بمنهج تحريفي عن سابق إصرار وترصد قصد قراءة القرآن قراءة تحريفية من جهة ثانية. ولتحقيق ذلك أبعد شحرور المنهج الشرعي والعلمي في قراءته للقرآن وأصر على قراءته قراءة تأويلية تحريفية حسب هواه. لذلك كَثُرت أباطيله وأهواؤه فأصبح يُثير في القارئ الملل والكلل ،والاشمئزاز والتقزز، والشك والقلق، مع الغموض والمجازفات وكثرة التكرار لأباطيله وأوهامه وتحريفاته من ناحية؛ مع الغياب شبه التام للحياد والنزاهة العلمية في قراءته للقرآن الكريم من ناحية أخرى.وليس فيه من الصدق والإيمان واليقين شيء ؛وإنما الغالب عليه إثارة الشكوك والشبهات مع كثرة التحريفات والأباطيل .

ثانيا: بما أن ذلك هو حال محمد شحرور وكتابه من جهة كثرة الأباطيل والأوهام والأهواء،، فإني قد أهملتُ كثيرا منها تخفيفا على القارئ وتجنبا لتضخم الكتاب، فإني ركزت على نقض الأصول التي أقام عليها شحرور كتابه ، منها منهجه في الاستدلال، ومنهجه في قراءة القرآن ، ومنهجه في التأويل، وتفريقه بين الكتاب والقرآن، ،وإنكاره لوجود الترادف في اللغة القرآن، وتحريفاته المكشوفة لآيات القرآن الكريم . وقد جمع شحرور في كتابه بين الجهل والتحريف ، وكثرة الأوهام والأهواء . لذلك كَثُرت أباطيله وتحريفاته التي لا تكاد تنتهي من جهة؛ وضربت صفحا عن كثير منها ربحا للوقت ،وتخفيفا على القراء وتجنبا لكبر حجم الكتاب من جهة أخرى.

علما بأن كتاب شحرور " الكتاب والقرآن "، هو كتاب ضخم جدا جاء في 819 صفحة من الناحية الشكلية من جهة؛ لكنه تضمن من الأباطيل والأوهام والتأويلات الفاسدة أكثر من عدد صفحاته من جهة أخرى !!. وقد نقضتُ كتابه هذا فقط، لأنه أوسع كتبه وتضمّن فكره الذي يحمله. وأما

الكُتب التي أصدرها بعده فهي في الأصل فصول ومباحث أستلها من كتابه " الكتاب والقرآن " ونشرها مُنفردة مع زيادات وتوضيحات هنا وهناك .

ثالثا: إن الكاتب محمد شحرور طبق في كتابه " الكتاب والقرآن "منهج المُحرفين من المتقدمين والمتأخرين في دراساتهم للقرآن الكريم. وقد اعترف بنفسه بأنه سيطبق ذلك المنهج باسم منهج التأويل دون أن يحدد المعنى الصحيح للتأويل ، واكتفى بتسميته بالتأويل مع أن الحقيقة أنه يقصد منهج التأويل التحريفي لا الصحيح . كما أنه قرأ القرآن الكريم بمنظور مفهوم " التاريخية " ، وقد أشار إليه في مقدمة كتابه، وطبقه في فصوله ومباحثه. ويعني ذلك المفهوم أن كل أفعال البشر هي وليدة ظروفها التي ظهرت فيها وأنها ستفقد وظيفتها وفعاليتها عندما تتغير ظروفها التي ظهرت فيها، وتفقد مبررات وجودها . ولاشك أن هذا قانون عام يحكم أفعال البشر كلهم ، لكنه لا يحكم دين الله تعالى كما هو في القرآن الكريم والسنة الصحيحة الموافقة له . لأن الله تعالى جعله خالدا، وصالحا لكل زمان ومكان، وبه خُتمت النبوة والرسالة الإلهية. وعليه فإن القرآن الكريم فوق " التاريخية" ولن يخضع لها ، ولا تنطبق عليه. وهذه الصفة هي التي جعلت الإسلام صالحا لكل زمان ومكان ، لكن المحرفين كشحرور وأمثاله لم يتعاملوا مع القرآن الكريم بمنهج علمي وإنما تعاملوا معه بمنهج ذاتي تحريفي أقاموه على أوهامهم وأهوائهم. فعلوا ذلك رفضا لتلك الصفة التي تميز بها الإسلام ، وإصرارا على تحريفه عن سابق إصرار انتصارا لأهوائهم . ولو كانوا موضوعيين محايدين مُنتصرين للحق لاستمعوا لِما يقوله القرآن الكريم عن نفسه، ثم يختبرونه قبل الزعم بأنه عمل بشري ، فيختبرونه للتأكد من: هل هو كلام إلهي أم كلام بشر؟. ولا شك أن كل من يدرس القرآن دراسة علمية صادقة فإنه سيتأكد صدق وصف القرآن لنفسه بأنه كلام الله من جهة؛ وأنه لا يخضع لقانون التاريخية ولا تنطبق عليه من جهة أخرى. وإن فرضنا جدلا أنهم وجدوا شواهد تثبت بأنه ليس كلاما إلهيا، فنحن نطالبهم بالأدلة التي تثبتُ ذلك ، إن كانوا صادقين في زعمهم. وقطعا أنها لا توجد، ولو وجدوا دليلا واحدا صحيحا لأقاموا الدنيا ولم يُقعدوها، وما تعلقوا بالأوهام واختلاق الأكاذيب وممارسة التحريف في دراستهم للقرآن الكريم كما فعل شحرور.

رابعا: ربما يُقال: لماذا صُنف هذا الكتاب للرد على كتاب شحرور الذي صدر أول مرة في التسعينيات من القرن العشرين، ونحن اليوم في عام :

1440هـ/ 2019م ؟ . ولماذا صُنف وقد صدرت عدة كُتب للرد عليه؟. وأليس الرد على كتاب شحرور اليوم هو إحياء وترويج له ولمؤلفه؟.

أقول: إنها اعتراضات وجيهة، ولها ما يُبررها، وكنتُ أقول بها، لكني غيرتُ موقفي لما رأيتُ أن الكتاب ما يزال يُطبع ويُوزع ومتوفر بالمجان في الشبكة المعلوماتية. وأن مؤلفه كثير الظهور في الفضائيات وله نشاط في مواقع التواصل الاجتماعي داعيا لضلالاته وتحريفاته، وأوهامه وأهوائه .ثم قررتُ الرد عليه سريعا بنقض أصول كتابه عندما أتصل بي احد الشباب الغيورين على الإسلام وأهله،وطلب مني الرد على شحرور فيما يُروّج له من ضلالات وتحريفات لدين الإسلام من جهة؛ وانه هو وبعض الشباب منزعجون جدا مما ينشره ذلك الكاتب من شبهات وأباطيل بين الناس من جهة أخرى. فحمداً لله الذي وفقني على الاستجابة لذلك الطلب، وإنجاز هذا الرد الموجز على شحرور وكتابه .

وأخيرا وليس آخرا ، وفقنا الله لما يُحبه ويرضاه، ونسأله سبحانه الصدق والإخلاص في القول والعمل، والتوفيق والسداد، إنه سميع مُجيب .

الأستاذ الدكتور خالد كبير علال

*****

الفصل الأول

نقض منهج شحرور في قراءته للقرآن الكريم

أولا: نقض دعوى القراءة المعاصرة للقرآن :
نقض دعوى القراءة العصرية للقرآن
ثانيا: نقض منهج شحرور في تأويل القرآن
ثالثا: نقض منهج شحرور في البحث والاستدلال
رابعا: أسباب انحراف منهج البحث عند شحرور

*****

زعم الباحث السوري محمد شحرور أنه في قراءته للقرآن الكريم طبق منهجا سليما من مميزاتـه أنه قـراءة معاصـرة للقـرآن الكـريم، وانـه مـنهج علمي في موضوع التأويل والبحث والاستدلال. فهل صحيح أنه طبق منهجا علميا في قراءته للقرآن الكريم، أم أن الأمر خلاف زعمه تماما؟ .

أولا: نقض دعوى القراءة المعاصرة للقرآن :

ذكر شحرور أنه قام بقراءة معاصرة للقرآن الكريم في كتابه " الكتـاب والقرآن " انطلاقا من ظروف العصر وعلومه واستجابة له. كمـا هـو مُبـيّن في عنوان كتابه:

الكتاب والقرآن

قراءة مُعاصرة

الدكتور المهندس

محمد شحرور

تلك القراءة المعاصرة للقرآن لم تقم على منهج علمـي صـحيح، ولا هـي قـراءة موضـوعية محايـدة لأمـرين أساسـيين: أولهمـا يتعلـق بعنـوان الكتاب"الكتاب والقرآن " إنه عنوان مُبهم ، ليس واضحا لأنـه يحتمـل أكثـر من وجه، فأي كتاب يقصـد؟؟ . وهـل يوجـد أكثـر مـن قـرآن ؟؟. وأيـن هـذا الكتاب الذي يقارب القـرآن ، أو يُسـاويه ,أو يتفـوق عليـه؟؟!! . إنـه عنـوان مُلغَز ومُلغَم ومُحَرِف للحقيقة، ولا يُفهم معناه إلا بعد قـراءة شـرح شـحرور لعنوان كتابه ومضـمونه. ومنـه يتبـين أنـه يعنـي أن الـوحي الـذي أنزلـه الله تعالى على نبيه الخاتم محمد عليه الصلاة والسلام والمجموع في المُصـحف الشـريف، لـيس هـو كتابـا واحـدا وإنمـا هـو مجموعـة كُتـب ، منهـا الكتـاب والقرآن حسب زعم شحرور. هذه الخرافة الشحرورية هي التي أقـام عليهـا شحرور كتابه. وهي خرافة بلا شك، وسنناقشه فيها ونبـين بطلانهـا وزيفهـا قطعا، لأنها مخالفة للقرآن وتاريخه، وللمتواتر من أمر القرآن عند المسلمين من العهدين النبوي والراشدي إلى اليوم. والحقيقة هي أن القرآن هو الكتاب، والكتاب هو القرآن، وعليه فعنوان كتاب شحرور باطل. فهذا الكاتب وضـع عنوانا خرافيا لكتابه، ولا يُمكـن أن تكـون دراسـته علميـة ولا محايـدة رغـم

أنها معاصرة. فهي بذلك العنوان قراءة خرافية مُعاصرة قامت على منهج تحريفي، وليست قراءة علمية معاصرة!!.

الأمر الثاني: إن من يقرأ القرآن الكريم من اجل فهمه فهما صحيحا بحثا عن الحقيقة بصدق وإخلاص من أجل الوصول إليها؛ يجب عليه أن يقرأه قراءة علمية موضوعية حيادية نزيهة، ولا يصح له أن يقرأه قراءة معاصرة. لأن الفرق بين القراءتين كبير جدا، فعبارة " قراءة معاصرة " تشهد على صاحبها بأنها قراءة ذاتية تحمل خلفية مذهبية متحيزة للباطل لا للعلم. لأنها لو كانت عليمة لسماها " قراءة علمية "، أو " قراءة علمية معاصرة موضوعية" . لأن القراءة المعاصرة ، لا تعني بالضرورة أنها قراءة علمية ، لكنها تعني أنها قراءة معاصرة تعتمد على أفكار عصرنا. وكونها معاصرة لا يجعلها علمية ولا محايدة ولا نزيهة بالضرورة، فقد تكون ليست من العلم ولا من العقل في شيء!!. واضح من ذلك أن محمد شحرور لم يقم بدراسة علمية للقرآن الكريم وإنما قام بدراسة ذاتية تحريفية معاصرة؛ فانحرف عن المنهج العلمي الصحيح من عنوان الكتاب وسيستمر على انحرافه إلى نهايته.

لكن شحرورا لم يلتزم بالمنهج العلمي، وأعلن من البداية أنه يقرأ القرآن بأوهامه وظنونه وأهوائه التي سماها قراءة معاصرة. فهي عبارة تشهد على صاحبها بأنه قالها عن سابق إصرار وترصد لتطبيق منهجه المعوج. وعليه فإنه كان عليه من البداية أن يعلن ويلتزم بأنه سيقرأ القرآن بلغته ومصطلحاته وطبيعته، لكنه لم يفعل واعلن بنفسه عن منهج زائف سيلتزم به.

وبذلك يتبين أن كل من يريد أن يقرأ القرآن قراءة علمية لا يفعل كما فعل شحرور الذي انحرف منهجيا من البداية واستمر على انحرافه إلى النهاية؛ وإنما يجب عليه أن يقرأه قراءة علمية نزيهة تتقيد بكل خطوات المنهج العلمي الصحيح في البحث والاستدلال، ولا يقراه قراءة معاصرة ذاتية تحريفية كما فعل شحرور.

وبما أن الأمر كذلك، فإن المنهج العلمي الصحيح يفرض على كل باحث موضوعي علمي يريد قراءة القرآن الكريم قراءة علمية يفرض عليه أن يقرأه كما شرح القرآن نفسه بنفسه، وكما يريد هو من الناس أن يقرؤوه ويفهموه ، وكما يريد هو أن يعرّفنا بنفسه من جهة؛ ولا يصح له أن يقرأه

كما يريد هو منه من جهة أخرى. وعليه فإن من لم يقرأ القرآن بمنهجه العلمي فلن تكون قراءته علمية. فما هي الخطوات التي أمر القرآن الكريم بإتباعها لنفهمه فهما صحيحا ؟ وهل شحرور اتبعه، وإن لم يتبعه فلماذا لم يتبعه؟؟!! . إنها خمس خطوات أساسية أشار إليها القرآن الكريم، وعليها قام منهجه في فهمه وتفسيره.

أولها: يجب فهم القرآن الكريم باللغة العربية حسب المعجم اللغوي القرآني وليس حسب معاجم اللغة العربية القديمة والحديثة. علما بأن تلك المعاجم هي تابعة للقرآن وليس هو تابعا لها، وهو أصلها الأول، والحَكم عليها وليست هي الحَكم عليه. وهي موافقة له غالبا لأنه هو أحد مصادرها الأساسية عندما دُونت اللغة العربية في القرن الثالث الهجري وما بعده. فكل من يريد فهم القرآن ودراسته دراسة علمية يجب عليه أن يقرأه بلغته العربية، لأنه مكتوب بلسان عربي مُبين. قال تعالى: (كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ [فصلت : 3])،و(وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ وَاقٍ [الرعد : 37])،و(إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ [يوسف : 2])،و(بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ [الشعراء : 195]). وعليه فإنه لا يصح قراءة القرآن بغير معجمه اللغوي، فهو بداخله ويشرح به نفسه بنفسه ، ولا يصح قراءته بلغة من خارجه. فالقرآن يشرح نفسه بنفسه بلغته ومفاهيمه ومعطياته. وهو الذي يحدد مفاهيمه ومصطلحاته ومعانيه. ومع أن الالتزام بتلك الخطوة هو أمر بديهي وضروري، فإن شحرورا لم يتبعها ولا التزم بها في فهمه للقرآن إلا ما وافق هواه كما سيتبين لاحقا.

الخطوة الثانية: يجب تفسير القرآن بالقرآن ، لأنه وصف نفسه بأنه كتاب مُحكم حَكيم مُبين مُفصل، لا يأتيه الباطل أبدا. فالقرآن الكريم يفسر نفسه بنفسه، بدليل قوله تعالى: (الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ [هود : 1])،و(طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ [النمل : 1])،و(لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ [فصلت : 42])،و(الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ [يونس : 1]). تلك الخطوة لم يلتزم بها شحرور في قراءته التحريفية للقرآن الكريم كما سيتضح لاحقا، لأنها كانت مخالفة له منطلقا ونتيجة إلا في حالات نادرة عندما توافق هواه .

الخطوة الثالثة: يجب تفسير القرآن الكريم بالسنة النبوية الصحيحة الموافقة له، لأنها هي المفسرة له. وهذا أمر ضروري عقلا وشرعا، فلاشك

أن من مهام الرسول أنه يُبين للناس ما أنزل الله عليه، فيُفسر لهم ما لم يفهموه، وما أجمله القرآن. بدليل قوله تعالى: (وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ [النحل : 64])،و(بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ [النحل : 44])،و(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ [المائدة : 15]) . تلك الخطوة هي أمر بديهي عقلا وشرعا، لأن السنة النبوية الصحيحة هي التي تبين القرآن بعد القرآن، لكن شحرورا لم يتبعها غالبا، إلا في حالات نادرة جدا عندما يوافق الحديث هواه .

الخطوة الرابعة : ثم بعد ذلك يُفسر القرآن الكريم بحقائق العلوم وبدائه العقول، بدليل قوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ [الحج : 3])،و(وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ [الحج : 8]) . ومعنى ذلك أنه يجب على كل من يُجادل في الله ويدرس كتابه أن يُفسره ويفهمه ببديهيات وحقائق العقول والقلوب والعلوم. وتلك الخطوة لم يلتزم بها شحرور لأنه فسّر القرآن بهواه ولم يفسره بحقائق العلوم وبدائه العقول في معظم تأويلاته. فكانت النتيجة ان معظم تأويلاته للقرآن كانت تأويلات تحريفية، إلا ما وافق هواه.

الخطوة الأخيرة- الخامسة-: ثم بعد ذلك يُفسر القرآن الكريم بما أجمع عليه الصحابة ، لأن هؤلاء زكاهم الشرع وشهد لهم بالإيمان والعمل الصالح من جهة؛ وتعلموا وتربوا على أيدي النبي عليه الصلاة والسلام من جهة؛ وهم من جهة أخرى أعلم الناس باللغة العربية التي هي لغة القرآن الكريم .ولذلك أمرنا الشرع بإتباع منهجهم فيما اجمعوا عليه، بدليل قوله تعالى: (وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً [النساء : 115])،و(وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ [التوبة : 100]) . وهذه الخطوة لم ينظر إليها شحرور، ولا احتكم إليها في قراءته التحريفية للقرآن الكريم.

تلك هي الخطوات الأساسية والضرورية لدراسة القرآن الكريم دراسة علمية وفهمه فهما صحيحا. وكل من لا يلتزم بها فدراسته للقرآن لن تكون

علمية، وإنما ستكون دراسة تحريفية باطلة . وبما أن شحرورا لم يلتزم بتلك الخطوات فدراسته للقرآن لم تكن صحيحة ولا علمية كما سيتبين لاحقا من جهة، وأنها ستكون من جهة أخرى دراسة كثيرة الأخطاء والتحريف والأوهام والأهواء ولا قيمة لها في ميزان الشرع والعقل والعلم .

ثانيا: نقض منهج شحرور في تأويل القرآن :

أقام محمد شحرور كتابه " الكتاب والقرآن " على أصل هو أهم أصول كتابه، هو " التأويل " ويقصد به التأويل التحريفي لا العلمي، ولو سحب تأويله التحريفي لانهار كتابه. لأن شحرورا هو من ابعد الباحثين عن التأويل الشرعي، والذي هو أيضا تأويل عقلي وعلمي من دون شك. من ذلك أنه زعم أن النص القرآني جمع بين ثباته وحركية محتواه ، فقال: (وهذه لا يمكن أن تكن إلا بثبات النص وحركة المحتوى وهو التشابه الذي يحتاج إلى التأويل باستمرار، ولهذا فالقرآن لا بد من أن يكون قابلاً للتأويل، وتأويله يجب أن يكون متحركاً وفق الأرضية العلمية لأمةٍ ما في عصر ما، على الرغم من ثبات صيغته... لذا لا يمكن تأويل القرآن كاملاً من قبل واحد فقط إلا الله. أما الراسخون في العلم فيؤولونه حسب أرضيتهم المعرفية في كل زمان، وكل واحد منهم حسب اختصاصه الضيق.من هنا نفهم الحقيقة بالكبيرة وهي أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤول القرآن، وأن القرآن كان أمانةً تلقاها وأداها للناس دون تأويل، وإنما أعطاهم مفاتيح عامة للفهم.)[1].

أقول: تلك المزاعم باطلة جملة وتفصيلا، لا يقوها إلا جاهل أو صاحب هوى. لأنه أولا، لا يصح شرعا ولا عقلا وصف القرآن الكريم بأنه نص ثابت ومحتواه مُتحرك. لأن القرآن وصفه الله تعالى بأنه كتاب كله حق وعلم مُحكم حكيم لا يأتيه الباطل أبدا. قال تعالى: {(الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ [هود : 1]) ،و(لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ [فصلت : 42])،و(وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ وَاقٍ [الرعد : 37]) .وبما أنه كتاب مُحكم مُفصل مُبين،وآياته المتشابهة مُفسرة بمحكماته من داخله بحكم أنه كتاب يُفسر نفسه بنفسه، فلا توجد فيه آيات متشابهات. وكتاب هذا حاله لا يُمكن أن يكون محتواه متحركا ، لأن تحركه يتناقض مع ثباته وكونه حقا وعلما كله. وبما أنه كله

1 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: 60- .

حق وعلم فإن هو تَحرك فهذا يعني أنه أصبح باطلا،ومخالفا للحقائق العلمية الثابتة من جهة، ولا يصح شرعا وواقعا وعلما أن تتطور الحقائق العلمية لأنها صحيحة من جهة ثانية . والكون كله خاضع لقوانين كونية لا تتغير وتَحُول دون حركيته التطورية المُستمرة؛ وإنما يجب أن يتحرك في إطار ثابت جمعا بين التغير والثبات غلى أن يتدهور وينتهي حسب القانون الثاني للديناميكا الحرارية في علم الفيزياء. ولو تطورت حقائق الشرع والعقل والعلم لاضطرب الكون ولانهار كل شيء. لكن ثبات النص القرآني لا يمنع من توسيع مجال فهمه وتعميقه بالبحث والاجتهاد، بل هو يطلب منا ذلك عندما أمرنا بتدبره وتطبيقه، كقوله تعالى: (كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ [ص : 29])،و(أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا [محمد : 24])، لكن هذا لا يؤدي إلى تغير معانيه، وفقدان صلاحية،وتضمنه للمتناقضات. إن ذلك الرجل جاهل لا يعي ما يقول أو أن هواه أعماه عن إتباع الحق. وبما أن الأمر كذلك، فوصف شحرور للنص القرآني بالثبات وحركية محتواه بدعوى تشابه آياته هو زعم باطل قطعا ، وشاهد عليه بالجهل والتحريف وإتباع الهوى.

ثانيا: إن من تلاعبات شحرور وتحريفاته أنه شرع في الكلام عن تأويل القرآن دون أن يشرح معنى التأويل في القرآن وطبقه حسب هواه. وهذا موقف باطل شرعا وعقلا وعلما. فكان من الواجب عليه أن يحدد معناه الشرعي ليتبين معناه الصحيح من سقيمه، لكنه لم يفعل لغايات في نفسه.وعليه فإننا سنبينه هنا باختصار شديد يتضح جليا من ذكر آيات قرآنية استخدمت لفظ التأويل وحددت معناه حسب سياق الكلام من جهة، وبينَت التأويل الصحيح من الباطل من جهة ثانية.

من ذلك قوله: تعالى: (وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ [يوسف : 6]). بمعنى تعبير وتفسير وشرح الرؤيا.،و(قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْراً [الكهف : 78]). بمعنى البيان والتوضيح والتفسير.،و(ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً [النساء : 59])، بمعنى أحسن مآلا .و(بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ [يونس : 39])، بمعنى عاقبة ذلك الآمر.

واضح من ذلك أن معنى التأويل في القرآن يعني بصفة عامة : البيان، والشرح، والتوضيح ، والتفسير، والفهم، وذلك المعنى لم يذمه القرآن الكريم إذا تم بطريقة صحيحة؛ لكنه ذم نوعا منه بقوله تعالى: (هُوَ الَّذِيَ

أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ [آل عمران : 7]). هذا النوع المذموم يُمارسه الذين في قلوبهم زيغ، وهم المنحرفون عن الشرع والعقل العلم، فيُمارسون بسبب ذلك التأويل التحريفي للنصوص الشرعية. وهذا هو حال شحرور وأمثاله، فهم زائغون عن المنهج العلمي الصحيح في فهم القرآن الكريم، يُمارسون التأويل التحريفي لا التأويل العلمي الذي يعني الشرح والتفسير والفهم الصحيح للنصوص الشرعية؛ لكن تأويلهم يعني التحريف والتدليس والغش والخداع انتصارا لأهوائهم .

ثالثا: إن زعم شحرور بأن النبي عليه الصلاة والسلام لم يُؤوّل القرآن وبلّغه دون تأويل وأعطى مفاهيم عامة فقط، هو زعم باطل قطعا. إنه أوّل – فسّر- القرآن لأصحابه حسب ما أمره به الله تعالى ووفق متطلبات الدعوة الإسلامية. ولذلك أمره الله تعالى بأن يُبين للناس الدين ويُبشرهم ويُنذرهم، (وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ [النحل : 64]). وتفسيره كان صحيحا وما يزال صحيحا، ولن يتغير. وإلى جانب ذلك فقد كانت للصحابة قراءاتهم وفُهومهم للقرآن بحكم أن الله أمرنا أن نقرأه ونتدبره لاستخراج كنوزه ودُرره.

كما أن من تحريفات شحرور قوله: (أما الراسخون في العلم فيؤولونه حسب أرضيتهم المعرفية في كل زمان، وكل واحد منهم حسب اختصاصه الضيق.). ، إنه تحريف لقوله تعالى: (فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ [آل عمران : 7]).لأن الآية لم تقل أن الراسخين في العلم لهم القدرة على تأويل وفهم الآيات المتشابهات، وإنما قالت أن تأويلها لا يعلمه إلا الله، ونحن عندما نعلمه ليس بأنفسنا وإنما ببيان الله له في آيات أخرى من كتابه بحكم أن القرآن كتاب مُحكم حَكيم مفصل يُفسر نفسه بنفسه.وأما هؤلاء الراسخون فهم يُسلمون ويستسلمون ولا يُمارسون التأويل التحريفي، ويقولون : (آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ [آل عمران : 7])، ثم يجتهدون في البحث عن معناها الصحيح في مواضع أخرى من القرآن لأن الله تعالى قد بينها لنا في كتابه وفسرها به.

ومن مظاهر انحراف شحرور في تأويل القرآن الكريم وفساد فهمه له، انه قال: ((وهو أننا يجب أن نكون واثقين من أنفسنا ونقول إننا في القرن العشرين قادرون على تحويل القرآن من مطلق إلى نسبي كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم)[1].

أقول: ذلك القول باطل وفيه تغليط وخداع وهو من تحريفات ذلك الكاتب وتحايله على القراء، وإصراره على تأويل القرآن حسب هواه لا حسب الشرع ،ولا العقل، ولا العلم. وذلك لكي يتسنى له تحريفه ، ولم يفهم القرآن بالقرآن وإنما زعم أن القرآن هو في الأصل مُطلق ولكي يُطبق في والواقع يجب تحويله إلى نسبي، وزعم أن هذا الفعل طبقه النبي عليه الصلاة والسلام. وهذا زعم باطل وكذب على الله ورسوله من جهة، وهو وسيلة اختلقها شحرور ليُحرف القرآن حسب هواه. والحقيقة أنه لا يصح وصف القرآن بأنه مُطلق ويجب تحويله على نسبي. لا يصح ذلك لأن الله تعالى أنزل القرآن مناسبا للبشر كلهم من البداية بأصوله وفروعه ومفاهيمه وقصصه وبكل ما فيه. فهو صالح لكل زمان ومكان من القرن الأول الهجري إلى يوم القيامة. ولا يحتاج إلى تحويله ولا تحريفه ليُناسب الناس، وإنما على الناس أن يتبعوه وليس العكس، وكل محاولة لتحويله كما زعم شحرور فهو تحريف له وافتراء عليه. كما أنه يجب علينا نحن أن نرتفع إليه بتطبيقنا له ، لا أن نحوله ليُناسب ظروفنا وأهواءنا وانحرافاتنا كما يريد شحرور وأمثاله.

وقد اخبرنا الله تعالى بأنه أنزل وحيه ودينه مناسبا لنا فكرا ووجدانا وسلوكا. وأمرنا أن نؤمن به ونخلص له، ونتدبره ونطبقه تطبيقا كاملا قلبا وقالبا. من ذلك قوله تعالى: (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَـكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ [المائدة : 48])،و(وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ [الأنعام : 153])،و(وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ [الحج : 78])،و(كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ [ص : 29])،و(وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم

1 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: 566 .

بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ [المائدة : 49]).

تلك الآيات هي أدلة دامغة وقطعية، تُبطل مزاعم شحرور وتكشف منهجه الزائف القائم على التحريف والتدليس وتعطيل الشرع بدعوى تحويله من مطلق إلى نسبي. هذا فكر باطل، ودعوة مسمومة هدفها هدم الإسلام وتحريف القرآن بدعوى التجديد والفهم العصري للإسلام ومواكبة التطور الحضاري. والحقيقة أن هذا الكاتب لو كان صادقا مع نفسه كان يجب عليه أن يأخذ القرآن كما هو ، أو يتركه ويبحث لنفسه طريقا آخر يتبعه ، وهذا أحسن له من أن يتبع طريق التحريف والنفاق والكذب، بدعوى الفهم العصري للقرآن. لأن القرآن لا يقبل القراءة المعاصرة، وإنما يأمر بالفهم الصحيح له القائم على الوحي، والعقل والعلم. وبمعنى آخر إن القرآن يأمرنا بأن نقرأه بعلم صحيح ، وعقل صريح، ووحي صحيح، بدليل قوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ [الحج : 8]) . لكن هذا الكاتب رفض أن يتبع هذا المنهج وأصر على أن يتبع منهج التحريف والتلاعب في فهمه للقرآن لغايات في نفسه .

وبذلك يتبين أن الكاتب محمد شحرور لم يتبن منهجا صحيحا في قراءته للقرآن الكريم، وإنما تبنى منهجا تأويليا تحريفيا عن سابق إصرار وترصد، اختاره بأوهامه وأهوائه لغايات في نفسه من جهة؛ وهو بذلك قد حكم على نفسه وفكره بالضلال والإضلال ومخالفة الوحي والعلم والشرع من جهة أخرى.

ثالثا: نقض منهج شحرور في البحث والاستدلال :

تبنى الكاتب محمد شحرور في قراءته التحريفية للقرآن الكريم منهجا بحثيا استدلاليا فصّله على مقاسه حسب هواه. به قرأه وحلله وحدد صفاته وغاياته، فقال: (وانطلاقاً "مما سلف" قمنا بقراءة جديدة للذكر الذي تعهد الله بحفظه (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ [الحجر : 9])،و(وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ [النحل : 44]) معتمدين على الأسس التالية:

– 1- مسح عام لخصائص اللسان العربي معتمدين على المنهج اللغوي لأبي علي الفارسي والمتمثل الإمامين ابن جني وعبد القاهر الجرجاني، ومستندين إلى الشعر الجاهلي.

– 2 - الإطلاع على آخر ما توصلت إليه علوم اللسانيات الحديثة من نتائج وعلى رأسها أن كل الألسن الإنسانية لا تحوي خاصية الترادف، بل العكس هو الصحيح، وهو أن الكلمة الواحدة ضمن التطور التاريخي إما أن تهلك أو تحمل معنى جديداً بالإضافة إلى المعنى الأول وقد وجدنا هذه الخاصية واضحة كل الوضوح في اللسان العربي.

لقد استعرضنا معاجم اللغة فوجدنا أن أنسبها هو معجم مقاييس اللغة لابن فارس "تلميذ ثعلب" الذي ينفي وجود الترادف في اللغة، فقد تم الاعتماد عليه بشكل أساسي دون إغفال بقية المعاجم.

– 3 - إذا كان الإسلام صالحاً لكل زمان ومكان، فيجب الانطلاق بمن فرضية أن الكتاب تنزل علينا، وأنه جاء لجيلنا في النصف الثاني من القرن العشرين، وكأن النبي صلى الله عليه وسلم توفي حديثاً وبلغنا هذا الكتاب. لذا فإن القارئ يلاحظ بشكل واضح أننا في فهمنا للكتاب نقف على أرضية القرن العشرين دون إغفال التطور التاريخي لتفاعل الأجيال المتعاقبة مع الكتاب "التفاسير والمذاهب الفقهة"، حيث كانت نظرتنا لهذه الأدبيات على أنها تفاعل تاريخي مع الكتاب، ولذا فإنها تدخل ضمن التراث العربي الإسلامي. فالفقه الإسلامي الموروث يعكس المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في مرحلة تاريخية معينة، والتفاسير تعكس الأرضية المعرفية للمرحلة التاريخية التي كتب فيها التفسير، واعتبرنا أنها لا تحمل طابع القدسية.

وإذا كان هناك تناقض في كتب التفسير فإننا لم نحاول تأويل أقوال المفسر لكي نخرج المفسر بأنه على صواب دائماً، وهذا ما نفهمه من مصطلح القدسية، حيث أن القدسية هي لنص الكتاب فقط.

– 4 - إن الله سبحانه وتعالى ليس بحاجة أن يهدي نفسه أو يعلم نفسه ولذا فقد أرسل للناس هدى وليس لنفسه، لذا كل ما جاء في الكتاب قابل للفهم بالضرورة، ويفهم على نحو يقتضيه العقل، وقد جاء بصيغة قابلة للفهم الإنساني هذه الصيغة هي باللسان العربي المبين. وبما أنه لا يوجد انفصام بين اللغة والفكر الإنساني، فإننا نرفض القول بأنه توجد آيات في الكتاب غير قابلة للفهم، ونرى أن هذا الفهم تاريخي نسبي مرحلي.

– 5 - إن الله سبحانه وتعالى رفع من مكانه العقل الإنساني في معرض خطابه له، لذا فإننا ننطلق مما يلي:

أ – لا يوجد تناقض بين الوحي والعقل.

ب – لا يوجد تناقض بين الوحي والحقيقة "صدق الخبر ومعقولية التشريع."

– 6 - بما أن الله سبحانه وتعالى رفع من مكانة العقل الإنساني فالأجدر بنا أن نرفع من هذه المنكانة ونحترمها، وعليه فإننا حاولنا جاهدين في كتابنا احترام عقل القارئ أكثر من احترامنا لعواطفه كما ذكرنا في أول هذه المقدمة)[1].

أقول: تلك الأقوال مزاعم باطلة جملة وتفصيلا، وذلك المنهج مرفوض شرعا وعقلا وعلما، وهو شاهد على صاحبه بأنه جاهل، أو جاحد معاند، أو صاحب هوى. **لأنه أولا،** لا يصح لمن يريد أن يقرأ القرآن الكريم قراءة علمية موافقة للشرع والعقل والعلم أن يقرأه بغير منهج القرآن نفسه لغة ومضمونا ومنهجا كما بيناه سابقا. وعليه فدراسة شحرور للقرآن بغير منهج القرآن هي دليل على أن دراسته لن تكون دراسة علمية صحيحة موافقة للوحي والعقل والعلم، وإنما هي دراسة ذاتية ناقصة وتحريفية ولا يُمكنها أن تؤدي إلى فهم صحيح للقرآن كما يريد القرآن.وعليه فدراسة شحرور للقرآن بمنهج لغوي نسبه إلى أبي علي الفارسي وابن جني وعبد القادر الجرجاني، هو منهج بين احتماليّن: إن كان منهجا صحيحا موافقا للقرآن فهو منهج قرآني وتابع للقرآن ، وهذا يعني وجوب قراءة القرآن بالقرآن ولا يُنسب منهجه إلى كتاب آخر. وإن كان مخالفا له فلا يصح دراسة القرآن بمنهج مخالف له، لأنه لن يكون منهجا صحيحا ولا يصلح لدراسته بذلك المنهج.

وأما قول شحرور بأنه سيدرس القرآن بمنهج هؤلاء بالاستناد إلى الشعر الجاهلي، فهذا أيضا منهج فاسد وقاصر وضعيف جدا ، لأن اللغة العربية الأصيلة والحقيقية، توجد أولا في القرآن الكريم، فهو كتاب نزل بلغة العرب ووصفه الله تعالى: (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ[الشعراء :193 - 195])، وكُتب مباشرة بعد نزوله بلسان العرب معاصرا للعرب قبل اختلاط لغتهم بلغات الشعوب الأخرى. فلغة القرآن الكريم هي أصل اللغة العربية، وهو الكتاب الأول للغة العربية. وأما الشعر الجاهلي، فهذا الشعر لم يثبت أنه كله من الشعر الجاهلي كما هو معروف قديما وحديثا، ولم يُدوّن إلا بعد نحو قرنين من الزمن وأكثر بعد ظهور الإسلام، وقد دُوّن بعدما اختلط اللسان العربي

1 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: 43 .

بلغات أخرى وفقد كثيرا من أصالته في الأرياف والبادية والمدن بسبب التغيير الكبير في كل نواحي الحياة فكرا وسلوكا الذي أحدثه الإسلام في جزيرة العرب والمشرق الإسلامي كله. كما أن ذلك الشعر أكثره ليست له أسانيد، وإن وُجدت ليست صحيحة. وبما أن الأمر كذلك فلا يصح أبدا أن يكون الشعر الجاهلي مصدرا لدراسة القرآن الكريم، وإنما هو تابع للقرآن، وليس حَكما عليه، وإنما يُستأنس به ويُستخدم للشرح والاستشهاد ، لأن لغة القرآن هي الأصل من جهة، وهو يحمل معجمه اللغوي من داخله من جهة أخرى. وهذا يعني أن المنهج اللغوي الذي اتبعه شحرور ليس منهجا صحيحا ولا علميا وستكون معظم نتائج باطلة، لأن فساد منهج البحث والاستدلال يستلزم حتما كثرة الأخطاء وقلة الصواب والعكس عندما يكون المنهج صحيحا.

ثانيا: إن القول بعدم وجود الترادف في اللغة العربية واللغات الأخرى هو زعم باطل قطعا، ولا ينفيه إلا جاهل، أو جاحد معاند، أو صاحب هوى، أو باحث يعني بالترادف غير الترادف المتعارف عليه والمُمارس في حياتنا اليومية. والنتيجة هي أن الترادف موجود في القرآن وفي كل العلوم قديما وحديثا، وفي كل اللغات، ولا يُمكن الاستغناء عنه، ويُستخدم في الأفعال والأسماء. والترادف الذي نقصده هو الترادف العام الذي يقوم على أصل واحد للمعنى، ويُطلق على الفعل أو الاسم بغض النظر أَيَنطَبِقُ انطباقا تاما أم نسبيا . من ذلك قولنا: جاء الولد ، وأتى الولد . هذا قِدر ،وهذه بُرمة. وهذا هاتف جوال ، وهذا هاتف محمول . والنار مأوى الظالمين . وجهنم مأوى الظالمين. واضح من ذلك ،أن المعنى واحد ولم يتغير.

ومن ذلك أيضا قولنا: الأمطار تسقط ، والأمطار تنزل. فلا شك أننا نفهم معنى واحدا، ولا نفهم معنى متناقضا ولا نفهم معنيين حتى وإن فرضنا وجود فوارق دقيقة بين اللفظيّن . إنه ترادف كلمتيّن حمل معنى واحدا ، هو أصلها الذي يجمع بينهما.

وبما أن الأمر كذلك، فإن وجود اختلاف يسير ودقيق جدا بين كثير من المترادفات لا يُغير من الأصل المشترك شيئا، فلا يُغير المعنى ولا المفهوم ولا يجعله متناقضا. فعندما أقول: جاء المعلم، أو أتى المعلم، أو اشتريت قِدرا أو بُرمة فالمعنى واحد ولا أفهم منه إلا معنى واحدا حتى وإن وُجد فارق دقيق جدا بين الكلمتين. فالترادف بذلك المعنى موجود وهو الأصل

الذي أوجد الترادف ولا يُمكن أن ينفيه الفرق الدقيق الموجود بين المترادفين مع وجود الأصل الجامع بينهما. وبما أن الأمر كذلك فلا يصح إنكار الترادف بدعوى وجود فوارق دقيقة بين مترادفات الأمر الواحد. فالترادف موجود قطعا نقرأه في الكتب ونتعامل به في حياتنا اليومية، ومن ينكره فهو يتعامل به بأقواله وأفعاله وينكره بلسانه، وسيبقى ترادفا حتى وإن سماه باسم آخر!! .

ومن ذلك أيضا أسماء النار في القرآن الكريم، منها : الهَاوِيَة، قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾]القارعة: 8 – 11). والحُطمة،قال تعالى: ﴿ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴾]الهمزة: 4 - 7). والجحيم ،قال تعالى :﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ النازعات: 37 – 41) . وقال تعالى: {وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ[التكوير : 12]. وقال تعالى :﴿ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾]المطففين: 16، 17). وجهنم ،قال تعالى :﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا لِلطَّاغِينَ مَآبًا لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴾]النبأ: 21 – 23)، وقال تعالى :﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴾]البروج: 10) ،وقال تعالى :﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴾]البينة: 6).

واضح من تلك الأسماء أنها أسماء لمسمى واحد هو النار، موضوعها واحد وليس متعددا، ونفس الأمر ينطبق على أسماء الجنة والمعاد الأخروي. فنحن أمام مترادفات لمسمى واحد له عدة أسماء كل اسم وصفه بصفة أو أكثر من صفاته يتميز بها ذلك المسمى. ووصفه بصفة من صفاته لا ينفي الأصل ولا يُناقضه وإنما يتضمنه بالضرورة. فإذا قلنا مثلا: فلان سيكون مصيره جهنم، أو مصيره الجحيم، أو مصيره النار فلاشك أننا سنفهم معنى واحدا، ولا نفهم أنه سيدخل الجنة، ولا أنه سيكون في منزلة بين المنزلتين، ولا أنه سيكون في مكان آخر.

وبما أن الأمر كذلك، فلماذا أصر شحرور على نفي الترادف في القرآن واللغة العربية، بل وفي جميع اللغات حسب زعمه؟؟، واضح من زعمه الباطل أنه نفى وجود الترادف ليس انطلاقا من موقف علمي باحث عن الحقيقة، ولا من دليل صحيح، وإنما تبناه عن سابق إصرار وترصد ليُحرف

به القرآن الكريم ويفتري بـه عليـه حسـب أوهامـه وأهوائـه. ويقـول للنـاس: القرآن ليس هو الكتاب، والكتاب ليس هو القرآن، والقرآن ليس هو الفرقان، والذِكر ليس هو القـرآن ولا الكتـاب، ولا الفرقـان. هـذه المـزاعم المضـحكة والباطلة قالها شحرور انطلاقا من نفيه وجود الترادف في اللغة العربية مـن جهة، وتحريفه للقرآن الكريم مـن جهـة أخـرى. فهـذا الكاتـب لا يبحـث عـن الحقيقة، ولا أن يدرس القرآن الكريم كما هو موجود،ولا كما يريد القرآن أن يُفهمنا نفسه، وإنما يدرسه بخلفياته المذهبيـة وبغاياتـه المُبيتـة سـلفا لتحريفـه وتطويعه حسب هواه.

وأما زعمه بأن الدراسات اللغوية الحديثة نفت وجود الترادف في اللغـات وأثبتت أن (الكلمة الواحدة ضمن التطور التـاريخي إمـا أن تهلـك أو تحمـل معنى جديداً بالإضافة إلى المعنى الأول وقد وجـدنا هـذه الخاصـية واضـحة كل الوضـوح في اللسان العربي)؛ فهـو زعـم باطـل، لأن المترادفـات مـثلا موجودة في اللغة الفرنسية باسم: (**Synonymes**) . مـن ذلـك أن السـيارة تسـمى : **Voiture** ، **Autmobil** . كمـا أن المترادفـات موجـودة فـي القرآن واللغة العربية قديما وحديثا كما بيناه سابقا.وتطور معاني الكلمـات لا ينفي وجود المترادفـات ولا يُـؤدي إلـى انقراضـها ،فمـع بقـاء معنـى الكلمـة القديم معمولا به، فقـد يُسـتحدث معنـى آخـر مترادفـا لـه مـع اخـتلاف نسـبة التطابق، وقد يُستخرج منه معنى آخر مغايرا لمعناه الأصلي.كما أن التطـور اللغوي قد يؤدي إلى استحداث مترادفـات جديـدة لـم تكـن موجـودة مـن قبـل كاستحداث عدة أسماء لمسـمى واحـد، كتسـمية الهـاتف المحمـول: الجـوال، والنقال، والمحمول.

ثالثا: إن الذي يريد دراسة القـرآن الكـريم دراسـة علميـة، ويفهمـه فهمـا صـحيحا يجب عليـه أن ينطلـق مـن أرضـية القـرآن نفسـه، ولا ينطلـق مـن أرضـية القـرن العشـرين المـيلادي ولا القـرن الأول الهجـري. لأن القـرآن كتاب مُحكم حكيم مُفصل مُبين، له معجمه اللغـوي ،ومصـطلحاته ومفاهيمـه وأصوله الخاصة به. ولا يصح إخضاعه لمعطيات أرضية القـرن العشـرين ولا غيره من القرون إلا بقدر ما تُساعد في فهم القرآن الكريم فهما صـحيحا من جهة، وتكون تابعة له وليست حَكما عليه من جهة أخرى. وكـل محاولـة لفهم القرآن دون ذلك المنهج ، فهي محاولـة فاشـلة وتحريـف مُتَعمـد للقـرآن الكريم، وستكون نتائجه باطلة في معظمها. وبما أن الكاتـب محمـد شـحرور رفض المنهج القرآني في فهم القرآن وأصر على فهمه بمنهج فاسد، فلاشـك أن محاولته متهافتة قطعا.

وأما بالنسبة لما قاله شحرور عن الفقه الإسلامي بأنه تراث إسلامي، فكلامه ناقص، وفيه تدليس وتغليط. لأن الفقه الإسلامي ليس كلها تراثا علميا ، وإنما هو يتكون من قسمين أساسيين: الأول يتمثل في نصوص الكتاب والسنة الصحيحة التي قام عليها ذلك الفقه، وهذا وحي وليس تراثا بشريا. والقسم الثاني يتمثل في اجتهادات الفقهاء وفتاويهم التي استنبطوها من تلك النصوص. وهذا القسم هو عمل بشري يندرج ضمن التراث العلمي الإسلامي. لكن الكاتب محمد شحرور لم يُميز بين القسمين ،وألحق القسم الأول بالثاني وأصدر عليه حُكما واحدا بأنه تراث بشري لغاية في نفسه.

وأما قوله بأنه لا قدسية لأقوال الفقهاء والمفسرين، وإنما القدسية لنص الكتاب فقط، فهو قول فيه حق وباطل. ولا شك أن اجتهادات أهل العلم ليست معصومة ولا مقدسة بدليل الشرع والعقل والعلم، وإنما الوحي هو المُقدس والواجب إتباعه لأن التقديس وحده لا يكفي . لكن الكاتب محمد شحرور كما لم يقدس اجتهادات الفقهاء والمفسرين فهو لم يقدس نصوص القرآن ، وليس صحيحا أنه قدسها. فلو قدس القرآن لالتزم بمنهج القرآن في فهم القرآن. ولو قدّسه ما أهمل السنة النبوية وقزّمها، والقرآن الكريم أوجب أتباعها. ولو قدّسه ما فسّره بالتأويل التحريفي عن سابق إصرار وترصد.

وفيما يتعلق بفهم القرآن الكريم ، فلا شك أنه كتاب تضمن آيات محكمات هي أصل الكتاب، وأُخر متشابهات تحتمل عدة قراءات لكنها لا تحتمل قراءات ولا فهوما متناقضة، وإنما هي من باب اختلاف التنوع لا التناقض يُفسرها القرآن الكريم بنفسه بآيات أخرى.وبما أن القرآن الكريم هو كتاب مُحكم حكيم مُفصل مبين لا يأتيه الباطل أبدا، فهو يُفسر نفسه بنفسه، فإذا ذكر آية متشابهة في موضع فهو يُفسرها في موضع أو مواضع أخرى. وهذا يعني أن القرآن الكريم كله مُحكم ولا يوجد فيه آيات متشابهات غير قابلة للفهم. ومع أن القرآن كذلك فإن فهم أهل العلم له نسبي حسب قدراتهم وعلومهم وظروفهم. لكن الفهم الصحيح للقرآن الكريم لا يتم بالمنهج الذي اتبعه شحرور، وإنما يتم فهمه بالمنهج الذي وضعه القرآن لفهم القرآن، وهذا هو المنهج الذي يقتضيه العقل والعلم لفهم القرآن فهما صحيحا. وأما المنهج الذي اتبعه شحرور، فهو منهج لا يقتضيه العقل ولا العلم وإنما تقتضيه الأوهام والأهواء التي أقام عليها شحرور منهجه. وهو بذلك لم يحترم القرآن ولا العقل ولا العلم ولا القراء، وإنما احترم ظنونه وأوهامه وأهواءه!!!! .

ومن ذلك أيضا أن شحرورا قال عن العوائق التي تعوق الفكر عن ممارسة البحث العلمي الصحيح : (إن الفكر العربي المعاصر ومن ضمنه الفكر الإسلامي يعاني من المشاكل الأساسية التالية:

1 – عدم التقيد بمنهج البحث العلمي الموضوعي في كثير من الأحيان، وعدم تطبيق الكتاب المسلمين لهذا المنهج على النص القدسي الديني المتمثل بآيات الكتاب الموحى إلى محمد صلى الله عليه وسلم. حيث إن أول شرط من شروط البحث العلمي الموضوعي هو دراسة النص بلا عواطف جياشة، من شأنها أن توقع الدارس في الوهم، وخصوصاً إذا كان موضوع الدراسة نصاً دينياً أو نحو ذلك.)[1] .

أقول: أولا، ذلك الشرط ليس صحيحا في معظمه، وفيه اتهام للكُتاب المسلمين وعدم اتهام لغير المسلمين عندما يكتبون عن الإسلام. وليس صحيحا أن الكُتاب المسلمين لا يُطبقون المنهج العلمي في دراستهم للقرآن، فهم يطبقونه غالبا لأن القرآن نفسه يأمرهم بتطبيقه عندما يدرسون القرآن، كقوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ [الحج : 8])،و(وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً [الإسراء : 36])،و(أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ [النمل : 64])،و(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ [آل عمران : 71]). فاتهام شحرور للمسلمين لا يصدق عليهم غالبا، لأن القرآن يأمرهم بالالتزام بالمنهج العلمي الصحيح .

كما أنه كان يجب على شحرور أن ينتقد المنحرفين عن الإسلام والطاعنين فيه ، ويبدأ بنفسه أولا، لأنه هو واحد منهم ومن كبار رؤوسهم، والذين يقرؤون القرآن بمنهج غير علمي ويُطالبهم بالالتزام به، وهو أن يقرؤوا القرآن بلغته ومعانيه ومنهجه، وهذا يتفق تماما مع المنهج العلمي الصحيح ويفرضه على الباحثين.

ثانيا: ليس شرطا في البحث العلمي النزيه أن يدرس الباحث القرآن أو غيره من الكتب والأبحاث بلا (عواطف جياشة، من شأنها أن توقع الدارس في الوهم، وخصوصاً إذا كان موضوع الدراسة نصاً دينياً أو نحو ذلك.)[2].

1 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: 30 .

2 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: 30 .

هذا ليس شرطا علميا ولا يصح قوله، ولا يُمكن أن يوجد، لأنه لا يُمكن لأحد أن يقوم ببحث دون عواطف تصاحبه في بحثه بغض النظر هل هي جياشة، أم لا ؟! وهل غايتها طلب الحقيقة أم طمسها وكتمانها ؟! . وعليه فلا يصح ذلك الشرط بتلك الصيغة، وإنما إذا كان الباحث له عاطفة قوية وجياشة جدا تدفعه للبحث طلبا للحقيقية وأخذا بها، والتزماً بالمنهج العلمي الصحيح، فهذا أمر جيد جدا، ويُشجع عليه صاحبه ولا يُعاب عليه. لكن إن وجد باحث آخر له عاطفة قوية وجياشة جدا غايته من البحث الانتصار للباطل وكتمان الحق فهذا هو الذي يجب أن يُنكر عليه، ويُطالب بالتخلي عن عاطفته الجياشة ومنهجه المنحرف ويلتزم بالمنهج العلمي الصحيح.

كما أن الباحث صاحب العاطفة الجياشة الذي له دين أو مذهب يأمره أو يشجعه على التحريف والخداع والانتصار للباطل يجب عليه أن يخالفه ويستخدم عاطفته لرفض ما يأمره ، وينتصر للحياد والحق بعاطفة قوية. وهذا خلاف الباحث صاحب العاطفة الجياشة الذي له دين أو مذهب يأمره بالنزاهة العلمية والانتصار للحقيقية، فهذا يجد سندا وعونا من دينه أو مذهبه فتكون عاطفته دافعا قويا له في الالتزام بالموضوعية في بحثه العلمي. وهذا هو حال الباحث المسلم الملتزم ، لأن دينه يأمره بالإنصاف وإتباع الحق والانتصار له، فهذا لا يُطالب بإبعاد عاطفته الجياشة، وإنما الأول هو الذي يُؤمر بإبعاد أو التغلب على عاطفته التي تحثه على الذاتية والتحريف وعدم الاعتراف بالحقيقة، وعليه أن يجتهد لكي يُحولها دافعا إيجابيا لا سلبيا. ولا شك أن الباحث محمد شحرور قد كتب كتابه : الكتاب والقرآن بعاطفة جياشة، وهي التي جعلته يشترط على الباحث هذا الشرط وغيره. فهل كتبه بتلك العاطفة انتصارا للموضوعية والحق أم انتصارا للذاتية والخرافة والأوهام؟؟،إنه كتبه انتصارا للباطل ولأهوائه وكتابه يشهد عليه بالتحريف والكذب والتدليس والخداع كما بيناه في كتابنا هذا!!. وهل طالب شحرور الباحثين المسلمين بتلك الشروط ليُضعف فيهم روح النقد والمقاومة من جهة؛ ويبقى هو مدفوعا بعاطفته الجياشة ليتمكن من التأثير فيهم ونشر فكره بينهم من جهة أخرى ؟. نعم إنه كتب كتابه بعاطفة تحريفية جياشة وماكرة من جهة؛ وقال بتلك المزاعم ليُضعف في المسلمين روح النقد والمقاومة من جهة أخرى.

ثم إن شحرورا تكلم عن الأسباب الأساسية التي أعاقت الفكر الإسلامي من ممارسته للبحث العلمي الصحيح فقال: (إصدار حكم مسبق على مشكلة

ما قبل البحث في هذه المشكلة، وخير مثال على ذلك "المرأة في الإسلام" إذ نرى الباحث الإسلامي مقتنعاً مسبقاً وقبل البحث أن وضع المرأة في الإسلام وضع سليم وأن الإسلام أنصفها، فيكتب كتاباً في ذلك ويقول إنه بحث علمي. وكل ما فعله أنه أوجد التبريرات لوجهة نظره المسبقة، ونرى الباحث المعادي للإسلام مقتنعاً مسبقاً أن الإسلام ظلم المرأة، ويقدم بحثاً عن ذلك ويقول إنه بحث علمي. وكلاهما وقع في الخطأ نفسه، إذ إن أي مشكلة تتطلب بحثاً علمياً موضوعياً، تعني أن الباحث نفسه غير مُتأكد من النتائج، أو لا يعرف النتائج أصلاً وبالتالي أجرى بحثاً علمياً ليتأكد أو ليعرف النتائج،)[1].

أقول: إن الأمر ليس كذلك، لأن البحث العلمي النزيه والمحايد لا يتطلب بالضرورة عدم اتخاذ موقف أو إصدار حكم مُسبق على مشكلة ما يُراد بحثها. لأن الباحث عندما يشرع في البحث إما أن يكون على علم بأصول المشكلة وتفاصيلها ونتائجها لكنه يريد أن يتأكد منها تأكدا يقينيا وموضوعيا ومُعمقا ومُبرهنا، أو يريد أن يُقنع بها غيره بعد اقتناعه هو بها. وإما أن تكون معرفته بها معرفة مشوشة وناقصة، فيبحث فيها ليعرفها معرفة صحيحة وكاملة، فيضع لها فرضيات واحتمالات ليتأكد منها. وإما أنه يجهلها جهلا تاما وهنا يبدأ من الصفر ويجمع كل ما يتعلق بالمشكلة من أصولها وتفاصيلها ونهاياتها. وفي كل هذه الحالات لا تتطلب دراستها عدم اتخاذ موقف ،أو إصدار حكم مُسبق على المشكلة، وإنما المطلوب منه أولا ليس ذلك وإنما هو أن يكون من البداية باحثا نزيها محايدا طالبا للعلم والحقيقية وليس الانتصار لحكمه المُسبق من المشكلة. وهذا الحكم المُسبق إن كان قائما على معطيات علمية مقبولة فهو لا يعوق البحث وإنما هو من فرضيات المشكلة ويساعده في البحث . كما أن من أبجديات البحث العلمي في العلوم الطبيعية والإنسانية وضع فرضيات مسبقة للظواهر المُراد دراستها، فهي من وسائل البحث المساعدة . لكن عندما تصبح المواقف المسبقة من القضايا المدروسة عائقا تعوق البحث العلمي النزيه هنا يجب التخلص منها أو إبعادها ووضعها جانبا لكي لا تعوق الحث العلمي النزيه.

ومن تلك الأسباب، أنه قال: (عدم الاستفادة من الفلسفات الإنسانية، وعدم التفاعل الأصيل المبدع معها، حيث لا يمكن أن نضع كل ما أنتجه الفكر الإنساني، منذ اليونان إلى يومنا هذا، في هامش الخطأ أو الباطل،

---

1 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: 30 .

فإذا قلنا: إن كل ما طرحه الفكر الإنساني شيء والإسلام شيء آخر، أي كل ما خطر في بالك فالإسلام غير ذلك، ينتج لدينا سؤال لا يمكن الإجابة عليه وهو (ما هو الإسلام)؟ فضمن هذا المنطق لم يتم تعريف الإسلام إلى اليوم. أما إذا قلنا: إن ما طرحه الفكر الإنساني فيه غث وفيه ثمين، وفيه حق وفيه باطل، وفيه خطأ وفيه صواب، فهذا يعني أننا نحن المسلمين قادرون على أن نتفاعل إيجابياً مع الفكر الإنساني كله، دون خوف، أو وجل، ولكن حتى يتم هذا التفاعل الإيجابي يجب علينا نحن العرب والمسلمين أن نمتلك ميزاناً مرناً، نستطيع أن نتفاعل به مع الآخرين، دون خوف، وهذا الميزان غير موجود عندنا في الوقت الحاضر)[1].

أقول: ذلك القول غير صحيح في معظمه، وفيه تحامل كبير على الباحثين المسلمين. لأنه أولا، يجب أن نفرق بين العلم والفكر الفلسفي ، لأن العلم هو حقائق علمية ثابتة لا يحق لأحد أن يرفضها، لكن الفلسفات ليس كذلك فهي فرضيات ومحاولات واجتهادات فكرية تقوم على الظنيات والأوهام والأهواء ولها خلفيات دينية ومذهبية كثيرة حسب اتجاهات أصحابها، وليس فيها من العلم إلا القليل. وعليه فيجب عدم الخلط بينها وبين العلم من جهة؛ وعدم الأخذ بها إلا بعد نقدها والتحقق من صحتها من جهة أخرى. وعليه فمن من الخطأ دعوة الناس إلى الاهتمام بها والتفاعل معها وتبنيها وتطبيقها. لا يصح ذلك لأن ضررها أكثر من نفعها.وبما أن الأمر كذلك فمن يدعو إلى قبول تلك الفلسفات فهو جاهل، أو صاحب هوى، قال ذلك لنوايا ليست بريئة .

وبما أن الأمر كذلك، فقول شحرور : (فإذا قلنا: إن كل ما طرحه الفكر الإنساني شيء والإسلام شيء آخر، أي كل ما خطر في بالك فالإسلام غير ذلك، ينتج لدينا سؤال لا يمكن الإجابة عليه وهو (ما هو الإسلام)؟ فضمن هذا المنطق لم يتم تعريف الإسلام إلى اليوم). فهو ليس في محله، كما أن تعريف الإسلام لا يتوقف أبدا على معرفة تلك الفلسفات ولا تبنيها، لأن الإسلام يجد تعريفه أولا في الكتاب والسنة الصحيحة من جهة، وهو لا يُخالف نظرا عقليا صريحا ولا علما صحيحا، وإنما يرفض الأهواء والظنون . قال تعالى: (وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ [الأنعام : 116])،و(إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى [النجم : 23]).

1 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: 31 .

ثانيا: ليس صحيحا أن علماء الإسلام قديما وحديثا رفضوا الفلسفات الإنسانية لمجرد أنها فلسفات أو لأنها صحيحة، وإنما رفضوا الجانب الفاسد منها، لأنه كان مخالفا للوحي الصحيح والعقل الصريح، والعلم الصحيح.رفضوه بالأدلة العلمية من جهة؛ واعترفوا بصحيحه وانتفعوا به من جهة أخرى.

وعلماء الإسلام الملتزمون هم أكثر الناس موضوعية وصدقا وإخلاصا، لأن الله تعالى يقول لهم: (وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ [الشعراء : 183])،و(إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً [النساء : 58]). ولهم مواقف علمية مشرفة في مواقفهم من الفلسفات القديمة ، فهم رغم إنهم انتقدوها كثيرا، إلا أنهم اعترفوا بجانبها الايجابي وانتفعوا به، وشهدوا لبعض رجالها بما كان لهم من فضل. من ذلك مثلا أن المحدث الأديب ابن قتيبة الدينوري (ت 276هـ) ، استعان بالفلسفة و رجالها عندما رد على المتكلمين من المعتزلة والجهمية في ردهم لحديث صحيح ،و هو حديث الذباب ، و فيه أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم – قال : ((إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فاغمسوه فإن في أحد جناحيه سما و في الآخر شفاء)) ، فقال إننا إذا رجعنا إلى الفلسفة وجدنا أن الذباب بمنزلة الحية ،و قد قال عنها الأطباء أن لحمها شفاء من سمها ، وقالوا : إن الذباب الذي إذا خلّط بالأثمد –كحل – و سُحق معه ، ثم اكتحل به زاد ذلك في نور البصر ،و شدّ مراكز الشعر من الأجفان وحافات الجفون .و قد حكى أرسطو عن قوم أنهم كانوا يأكلون الذباب فلا يرمدون [1].

وعندما ترجم الحافظ شمس الدين الذهبي للطبيب علي بن رضوان المصري (ت450هجرية) ، سماه : الفيلسوف الباهر ، و قال عنه : كان مسلما موحدا [2] . و قال عن الفخر الرازي : العلامة الفيلسوف ، كان يتوقد ذكاء[3] . و أما ابن تيمية فقد اعترف بأن في الفلسفة اليونانية ما هو صحيح معروف بالمشاهدة والحساب الصحيح من أحوال الفلك ، و هو علم صحيح لا يُدفع ، كاستدارة الفلك ، فهي مستديرة و ليست مضلعة على حد قول بعض المتكلمين . ثم قال : إن من بِدع بعض المتكلمين أنهم يردون ما قاله

1 ابن قتيبة : تأويل مختلف الحديث ، ص: 228، 230 .

2 السيّر ، ج 17 ص: 35 .

3 نفس المصدر ، ج 22 ص: 29، 29 .

الفلاسفة من علم صحيح معقول موافق للشرع . ثم أكد على أنه يجب قبول الحق الذي مع الفلاسفة و عدم رده ما دام يوافق الكتاب و السنة . وقال أيضا : إن في فلسفة اليونان حق و باطل ، كما هو الحال عند غيرهم من الشعوب[1] .

و عندما قارن ابن تيمية بين المتكلمين و الفلاسفة ، قال : إن كلام المتكلمة في الإلهيات فيه الصواب و الخطأ ، لكنهم أعلم بها و أكثر صوابا و أسد قولا من المتفلسفة ، الذين هم بدورهم أحذق في الطبيعيات والرياضيات ممن لم يعرفها كمعرفتهم ، مع ما فيها من الخطأ[2] .

ومن الأسباب الأساسية التي أعاقت الفكر الإسلامي من ممارسته للبحث العلمي الصحيح حسب شحرور، قوله: (عدم وجود نظرية إسلامية في المعرفة الإنسانية، مصاغة **صياغة حديثة معاصرة، ومستنبطة حصراً، من القرآن** الكريم، لتعطينا ما يسمى (إسلامية المعرفة) بحيث تعطي هذه النظرية **منهجاً في التفكير العلمي لكل مسلم**، وتمنحه ثقة بالنفس وجرأة على التعامل والتفاعل مع أي نتاج فكري أنتجه الإنسان، بغض النظر عن عقيدته. إن غياب هذه النظرية، المصاغة صياغة معاصرة، أدى بالمسلمين إلى **التفكك الفكري، والتعصب المذهبي، واللجوء** إلى مواقف فكرية أو سياسية تراثية، مضى عليها مئات السنين، تقوم على كيل الاتهامات بالكفر **والإلحاد والزندقة والهرطقة والمعتزلية والجبرية والقدرية** لهؤلاء وهؤلاء، كل هذا بهدف الخروج من مأزق فكري، يقع فيه المسلم في مواجهة الفكر المعاصر، علماً بأنه ليس كل فكر أنتجه الإنسان هو عدو للإسلام بالضرورة.)[3].

أقول: ذلك القول باطل جملة وتفصيلا، لا يقوله إلا جاهل ،أو صاحب هوى. لأنه أولا ، إن الإسلام يقوم على الكتاب والسنة الصحيحة الموافقة له، ولا يصح أبدا إبعادها كما فعل شحرور، ولا يفعل ذلك إلا جاهل أو جاحد معاند، أو محرف له غايات ليست بريئة خطط لها سلفا. وبيان ذلك هو أن من يؤمن بالقرآن الكريم صدقا وإخلاصا والتزاما قلبا وقالبا يستحيل أن يرفض السنة النبوية ويقصيها تماما من أن تكون المصدر الثاني بعد القرآن الكريم. لأن القرآن نفسه هو الذي أمرنا في آيات كثيرة بوجوب إتباع السنة النبوية، وجعل ذلك دليلا على محبة الله والتزام دينه. منها قوله

1 الرد على المنطقيين ، ص: 260 .و منهاج السنة النبوية ، ج 1 ص: 357 .و درء التعارض ، ج 7 ص: 334 .

2 منهاج السنة ، ج1 ص: 359 .

3 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: 31 .

سبحانه : (فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً [النساء : 65])،و(قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ [آل عمران : 31])،و(وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ [الحشر : 7]) . وبما أن الأمر كذلك فمن ينكر السنة تماما فهو متناقض مع نفسه ومع الإسلام، وعليه أن يُراجع إيمانه وموقفه لأنه على خطأ كبير وانحراف واضح عن الصراط المستقيم؛ فإن أصر على ذلك فسيصبح من أهل الأهواء والضلال !! .

ثانيا: إن المسلمين في الحقيقة ليسوا في حاجة إلى نظرية إسلامية في المعرفة الإنسانية أصلا، لأن الإسلام دين الله تعالى كامل شامل جمع الدين والدنيا، والعبادات والمعاملات، والفكر والعلم؛ وإنما هم في أمس الحاجة إلى أن يعودوا إلى دينهم عودة صحيحة وبصدق وإخلاص وعمل. لكن المسلمين لم يفعل ذلك ، فالإسلام مثلا يأمر بالأخوة والوحدة بين المسلمين، لكن المسلمين لم يلتزموا بذلك قديما ولا حديثا. والإسلام يأمر بالعمل وفعل الخيرات واستغلال ثروات العالم من أجل الخير، لكن المسلمين لم يفعلوا ذلك إلا قليلا. والإسلام يأمرنا بالتعاون على البر والتقوى والمسلمون لا يفعلون ذلك إلا قليلا.والإسلام يأمر بطلب العلم النافع بكل أنواعه من أجل خير البشرية، لكن المسلمين بعيدين عن ذلك. فالخلل ليس هو أننا لا نملك مناهج للعلم والعمل والتعاون، فهي موجودة وواضحة في الكتاب والسنة من جهة، كما أن علماء الإسلام قد كتبوا كتبا كثيرة في المعرفة وسُبل النهوض بالمسلمين من جهة أخرى؛ وإنما هو أننا لم نلتزم بما أمرنا الله ورسوله، وإنما أخذنا بخلافهما!!. فالأمر أعمق مما قاله شحرور، فهب أنه تم استخراج وبيان منهج علمي للمعرفة الإسلامية من الكتاب والسنة، فهل هذا يحل مشاكلنا؟؟!! ، طبعا لن يحلها، لأن مشكلتنا ليست في ذلك، وإنما هي أعمق، إنها تتمثل في أننا لم نلتزم بديننا التزاما صحيحا شاملا كاملا قلبا وقالبا.

ثالثا: إن الذي أدى بالمسلمين إلى التفكك الفكري والتعصب المذهبي ليس هو غياب " النظرية المعرفية الإسلامية " وإنما هو أن المسلمين اليوم ورثوا ذلك التعصب والتفكك والتناحر منذ الفتنة الكبرى وما حدث بعدها عندما انقسمت الأمة على نفسها إلى فرق وطوائف متناحرة ومتصارعة ، وكفّرت بعضها بعضا من جهة؛ وتلك الفرق والمذاهب هي نفسها ما تزال موجودة اليوم بطريقة أو أخرى، وتعمل جاهدة على نشر أفكارها، وبعضها

يتلقى الدعم حتى من عند أعداء المسلمين من جهة ثانية. ثم نحن إلى اليوم لم نتبع الطريق الصحيح للتخلص مما وقعت فيه الأمة الإسلامية، وإنما نحن اليوم ما نزال على ذلك الطريق ، أبعدنا الوحي وتمسكنا بخلافاتنا ومذاهبنا انتصارا لها على حساب ديننا ووحدتنا!!. وهذا ليس لأننا لا نملك " نظرية معرفية إسلامية" وإنما لأننا لم نلتزم بما أمرنا الله ورسوله التزاما صحيحا كاملا.

وليس صحيحا أن الخوض في مسائل علم الكلام والفِرَق سببه أننا وقعنا في أزمات فكرية في مواجهتنا للفكر الغربي كما زعم شحرور؛ وإنما سببه أن تلك المسائل الكلامية ما تزال تؤثر فينا ومطروحة للنقاش من ناحية؛ وأن كثيرا من الماديين والعلمانيين يتعمدون إثارة تلك القضايا انتصار للفرق الضالة وطعنا في الإسلام وأهله ، وتعميقا لخلافات المسلمين وإشغالهم بها من ناحية ثانية. كما أن رد المسلمين على الفِرق الضالة قديما وحديثا ليس عيبا ولا نقصا وإنما هو واجب شرعا وعقلا وعلما، لأن تلك الفِرق خالفت الشرع وحرفته حسب مصالحها وأهوائها. فلما رد عليهم علماء الإسلام انتصر لهم أهل الضلال والأهواء من المعاصرين بغير حق وساروا على نهجهم في تحريف الشرع والتلاعب به كما فعل محمد شحرور!! .

ومن تلك الأسباب أيضا ، قول محمد شحرور: (إن المسلمين في العصر الحاضر يعيشون أزمة فقهية حادة، وثمة صيحات صادقة تقول: إننا بحاجة إلى فقه جديد معاصر، وبحاجة إلى فهم معاصر للسنة النبوية، وقد تم تشخيص هذه المشكلة، ولكن دون وضع حل لها. فإذا أردنا أ، نخترق الفقه الإسلامي الموروث ''الفقهاء الخمسة'' وجب علينا إعطاء البديل، وهذا ما فعلناه في هذا الكتاب حيث طرحنا منهجاً جديداً في الفقه الإسلامي، وطبقناه على أحكام المرأة فنتجت لدينا أحكام لم تكن عند الفقهاء كلهم)[1].

أقول: نعم إن المسلمين اليوم يعيشون أزمات كثيرة في كل جوانب الحياة: سياسيا واجتماعيا ، فقهيا وفكريا،عسكريا واقتصاديا، ولا يقتصر الأمر على الجانب الفقهي فقط؛ وهذا سببه الأساسي والمباشر والوحيد ابتعادنا عن الكتاب والسنة الصحيحة؛ فلو أخذنا بصدق وإخلاص الإسلام

---

1 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: 32 .

كله وطبقناه في حياتنا لحُلت مشكلنا كلها ، منها الجانب الفقهي. ولا يُمكن تطبيق الفقه الإسلامي تطبيقا كاملا وصحيحا وشاملا في غياب الحكم والمجتمع الإسلاميين . علما بأن الفقه الإسلامي ليكون فقها صحيحا بَناءً يجب أن يقوم أولا على فقه الكتاب والسنة مباشرة من دون تعصب لأي مذهب من ناحية؛ وتُبعد المذاهب الفقهية جانبا ويُستفاد منها عند الحاجة دون تعصب لها لأنها من تراثنا العلمي من ناحية ثانية؛ ولا نحتاج من ناحية ثالثة إلى فقه جديد معاصر كما زعم شحرور، وإنما نحتاج إلى فقه قائم على الوحي وبمنهجه ومفاهيمه ومصطلحاته وبحكمة في فهمه وتطبيقه، وليس إلى قراءة معاصرة له، بدعوى أنها معاصرة كما زعم شحرور. لأن أية قراءة معاصرة للإسلام أو لفقهه لا يُمكن أن تكون علمية إلا إذا قرأناه قراءة نزيهة انطلاقا من الكتاب والسنة الصحيحة والتزاما بهما، لأنه لا إسلام خارج هذيّن المصدريّن. وأما إذا تمت تلك القراءة دون الالتزام بما ذكرناه فهي قراءة معاصرة لكنها ليست علمية، ولا موضوعية، ولا محايدة؛ وإنما هي قراءة تحريفية لا تختلف عن قراءات أهل الضلال والأهواء قديما وحديثا. وبذلك يتبين أن المسلمين في الوقت الحاضر ليسوا في حاجة إلى قراءات معاصرة للفقه الإسلامي ولا لغيره، وإنما هم في حاجة ماسة وضرورية إلى العودة إلى دينهم بعودة صادقة شاملة تتجاوز كل الحواجز والأغلال والقيود التي وضعتها المذاهب بين المسلمين من جهة، ولأن دين المسلمين يتمثل في الكتاب والسنة الصحيحة الموافقة له من جهة أخرى. قال تعالى: (فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً [النساء : 59]).

ثم أن شحرورا زعم انه توجد معضلة متعلقة بالتراث العلمي الإسلامي كالفقه والتفسير، فقال : (هنا قد يسأل سائل: ماذا نفعل بكتب التراث من فقه وتفاسير، التي يطبع منها كل عام آلاف النسخ، وتدرس على أنها الإسلام؟ الجواب على هذا السؤال الصعب جداً هو أنني لم أستطع أن أقدم هذا الكتاب، وأصل إلى النتائج المطروحة للقارئ، إلا بعد أن تم حل هذه المعضلة مع التأكيد على أنني عربي مؤمن مسلم)[1].

أقول: إن التراث العلمي الإسلامي الملتزم بالشرع ليس مشكلة ولا معضلة ، فهو رغم أنه تضمن كثيرا من الأخطاء والدخن فهو في أصوله الكبرى تراث إسلامي موافق للكتاب والسنة الصحيحة ، وتضمن اجتهادات

1 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: 32 .

كثيرة صحيحة من جهة؛ لكنه من جهة أخرى لا يُمثل في ميزان الإسلام مشكلة أصلا ، لأن الشرع هو الذي أمر بالاجتهاد وحث عليه وجعل له أجريّن عند الإصابة وأجرا واحدا عند الخطأ. كما أن الله تعالى أمرنا في آيات كثيرة بالتمسك بدينه ،وبالرد إليه وإلى رسوله عند التنازع. قال تعالى: (وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ [الأنعام : 153])،و(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً [النساء : 59]). فالمسلمون أمرهم الله تعالى بالاحتكام إلى دينه فقط، وعند التنازع يجب الرد إليه أيضا،وهذا يعني أن التراث الإسلامي كالفقه والتفسير ليس وحيا مفروضا علينا وإنما هو عمل بشري أصوله الأساسية شرعية، ولم يأمرنا الله تعالى بالاحتكام إليه ولا بالتعبد به عندما يُخالف الوحي، وإنما أمرنا بالالتزام بدينه والرد إليه عند التنازع. وبما أن الأمر كذلك فتراثنا نأخذ منه الصحيح المفيد لنا ، ونترك الذي لا يفيدنا. وقسم منه قد فقد وظيفته في زماننا هذا، وبقيت له قيمة تاريخية بعدما فقد قيمته التطبيقية.

وبذلك يتبين أن التراث الإسلامي لا يُشكل مشكلة ولا معضلة في ميزان الإسلام، وإنما هو معضلة عند المتعصبين لذلك التراث لأنهم يتعبدون به ، وينتصرون له بحق وبغير حق، وجعلوه مدخلا ضروريا لمعرفة الإسلام.وهو معضلة أيضا بالنسبة لأهل الأهواء الذين وجدوا التراث الإسلامي المُلتزم بالشرع لا يساعدهم على ممارساتهم التحريفية للشرع، فطعنوا فيه بغير حق ورفضوه كله، ظنا منهم أن إنكارهم للسنة وإبعادهم للتراث الإسلامي المُلتزم يُمَكّنهم من تحريف القرآن وتفسيره بأهوائهم انتصارا لمذاهبهم وأديانهم وأهوائهم !! . وهذا هو الفعل الذي مارسه شحرور في كتابه " الكتاب والقرآن : قراءة معاصرة" وقاله في كلامه السابق، فقد أظهر إنكاره للسنة سابقا، ثم هنا طعن في التراث الإسلامي كله دون أن يُميز بين صحيحه وسقيمه من جهة؛ ثم شرع من جهة أخرى في تأويل القرآن الكريم تأويلات تحريفية مكشوفة بدعوى أنه يقرأ القرآن قراءة معاصرة. فظن المسكين أنه نجح في القيام بعمله التحريفي في تأويله للقرآن الكريم، وهذا وهم وزعم باطل بلا شك. لأنه فليعلم الشحرور وغيره من المُحرفين للقرآن أن إبعادهم للسنة والتراث الإسلامي المُلتزم بالشرع لن يُمكِّنهم من تحريف القرآن لتبرير وتأييد أوهامهم وأهوائهم. لأن القرآن الكريم ـ ليس كما يظن أهل الأهواء والضلال ـ بأنه سهل للتحريف وحمّال

أوجه كما يدعون، فهذا زعم باطل قطعا، لأن القرآن الكريم كتاب مُحكم حَكيم ولا يقبل التأويلات التحريفية مهما كانت ، وسيدمغها ويُبين زيفها قطعا. وقد أثبتنا هذا عمليا في نقدنا لأوهام الشحرور وأباطيله في هذا الكتاب.

ومن مزاعم شحرور وأباطيله المتعلقة بمنهج البحث والاستدلال، أنه قال: (يلاحظ القارئ أننا قد تجاوزنا في كتابنا هذا كل أنواع التعصب المذهبي والطائفي، وكان رائدنا هو البحث عن الحقيقة بشكل موضوعي، وقد حاولنا جاهدين تجنب التأثر بالأدبيات التي كتبت عن الإسلام سلباً أو إيجاباً.)[1].

أقول: ذلك القول زعم باطل جملة وتفصيلا، وهو شاهد على الكاتب محمد شحرور بالذاتية والتعصب للباطل وقلة النزاهة والحياد العلمي. وذلك أن هذا الكاتب كان متعصبا للباطل لا للحق عندما درس القرآن بمنهج مخالف للقرآن والعلم والعقلانية، لأنه درسه بمنهج ذاتي وليس منهجا علميا. ودرس القرآن بمنهج أهل الضلال والأهواء القائم على التعامل مع القرآن بالتأويل التحريفي لا العلمي.وهو بهذا قد تعصب لأهل الأهواء والضلال المتقدمين والمتأخرين وألتحق بهم ومارس منهجهم التحريفي ،كالمعتزلة والشيعة، والعلمانيين والقاديانيين ،والحدّاثيين والماركسيين. ولو كان صادقا في قوله بأنه درس القرآن طلبا للحقيقية وبموضوعية، ما درس القرآن بمنهج مخالف للقرآن ومُحرف له، وما حرّفه عن سابق إصرار وترصد، وما تسلط عليه بالتأويل التحريفي، وما أنكر السنة النبوية ، وما عطّل القرآن بطريقة " حَدَاثية " ماكرة كاذبة تشهد عليه بالتحريف والخداع عن سابق إصرار وترصد!!.

وأما شهادة شحرور لنفسه بأنه مؤمن بقوله: (مع التأكيد على أنني عربي مؤمن مسلم)[2]؛ فهي شهادة باطلة، لأنه لا يصح لمسلم أن يشهد لنفسه بالإيمان تأكيدا ، وإنما يشهد لنفسه بالإسلام أولا،، ثم يُعلق وصفه لنفسه بالإيمان بقوله: إن شاء الله، فيقول: أنا مؤمن إنشاء الله. لأن من شهد لنفسه بالإيمان يكون قد ضمن لنفسه قَبول الله له ورضاه عنه وإدخاله للجنة. وهذا الأمر لا يُمكن التأكد منه إلا بعد الموت. ولذلك قال تعالى: (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ [الحجرات : 14]).

1 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: 46 .

2 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: 32 .

وتلك الشهادة باطلة أيضا، لأن تحريفات شحرور للقرآن الكريم وتلاعباته به وافتراءاته عليه هي أدلة قطعية بأنه لم يتحقق فيه الإيمان بدين الإسلام. ولا يُمكن أن يكون مُحرف القرآن من المؤمنين، وإنما هو من الزائغين الذين وصفهم الله تعالى بقوله: (فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ [آل عمران : 7]). فشحرور من أهل الزيغ والفتنة وليس من أهل الإيمان والتسليم والراسخين في العلم .

وبذلك يتبين جليا أن الكاتب شحرور لم يتبن منهجا علميا في البحث والاستدلال في قراءته للقرآن الكريم ؛ وإنما تبنى منهجا ذاتيا فاسدا مُتعصبا للباطل، وليس من العقل ولا العلم في شيء رغم تظاهره بهما.

رابعا: أسباب انحراف منهج البحث عند شحرور:

بما أنه تبين من كتابنا هذا أن الكاتب محمد شحرور طبق منهجا ذاتيا فاسدا مُتعصبا للباطل في قراءته للقرآن الكريم فأوقعه في أباطيل وانحرافات كثيرة جدا، فما هي الأسباب التي جعلته يتبنى ذلك المنهج؟، وهل تبناه قصدا أم خطأً؟. نجد الجواب عن ذلك في قول شحرور: (فإذا سألني سائل الآن "ألا يسعك ما وسع الصحابة في فهم الكتاب والقرآن"؟ فجوابي بكل جرأة ويقين هو: كلا لا يسعني ما وسعهم لأن أرضيتي العلمية تختلف عن أرضيتهم. ومناهج البحث العلمي عندي تختلف عنهم. وأعيش في عصر مختلف تماما عن عصرهم. والتحديات التي أواجهها تختلف عن تحدياتهم. إني أواجه فلسفات قوية ومنيعة دخلت عقر داري، وأواجه تقدما علميا يؤثر على كل حركة وكل قرار أتخذه في حياتي، وأكون متوهما إذا قلت أو قبلت أنه يسعني ما وسعهم)[1].

و (لقد ظهرت أوائل الحركات الفكرية في العصر الأموي بعد الفتوحات العربية الهائلة حيث تتوجت هذه الحركات في العصر العباسي بظهور المعتزلة أصحاب الفكر الحر حيث طرحوا مسائل لم يطرحها الصحابة بشكل مؤكد ففهمها الفقهاء على أنها خروج عن الإسلام.)[2].

---

1 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: 567 .

2 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: 567 .

أقول: واضح من ذلك أن هذا الكاتب اعترف بأنه عاني ويُعاني من أزمة فكرية ونفسية في موقفه من الغرب بفكره وحضارته. فأورثته تلك الأزمة انهزامية تجاه الغرب؛ وإتباع منهج استدلالي منحرف فاسد قاصر متهافت في موقفه من الإسلام والغرب، فَضَلَّ وأَضلَّ!! . وتفصيل ذلك فيما يأتي:

أولا: إن ذلك شحرورا أخطأ الطريق من البداية، لأنه عندما أصابته تلك الأزمة ، كان عليه من البداية أن يتمسك بالمنهج العلمي الصحيح في البحث والاستدلال والقائم على التمسك بالوحي الصحيح والعقل الصريح والعلم الصحيح، لقوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ [الحج : 8]). ثم بعد ذلك عليه أن يقرأ القرآن الكريم بذلك المنهج قراءة علمية الصحيحة بصدقوإخلاص،ولا يقرأه بالتأويل التحريفي، وإنما يترك القرآن يشرح له نفسه بنفسه، ويَكشف له عن حقائقه وكنوزه. لكنه لم يفعل ذلك، واتبع منهجا ذاتيا قاصرا متهافتا فضلّ وأضل.

ومن جهة أخرى فإن ذلك الكاتب عندما درس الفكر الغربي ، لم يدرسه بذلك المنهج العلمي الصحيح والصارم، وإنما درسه بمنهج انبهاري انهزامي، جعله يعتقد أن الغرب عنده فلسفات قوية ومنيعة، وهذا زعم باطل قطعا. لأنه وكثير من الناس يظنون أن الغرب بما انه يملك العلم والتكنولوجيا وقوة الاقتصاد فهو أيضا يملك فلسفات قوية وصحيحة ومنيعة. وهذا وهم وموقف غير صحيح قطعا. لأن الغرب تطور علميا واقتصاديا لأنه اتبع المنهج العلمي الصحيح في العلوم ، وشمر على ساعديه للعمل والجد وظلم الضعفاء ، فاستعمر الشعوب الضعيفة ونهب ثرواتها بكل ما يستطيع لبناء حضارته. فهذا هو الذي أنهض الغرب، أما فلسفاته فالغالب عليها أنها فلسفات زائفة متهافتة مادية نفعية هادمة للفكر والأخلاق من جهة، ومخالفة للوحي الصحيح، والعقل الصريح ، والعلم الصحيح من جهة أخر؛ وليس هنا موضع تفصيله[1]. وعليه فلا يوجد تلازم بين التطور العلمي والتكنولوجي والاقتصادي وبين سلامة الفكر في الفلسفة والأخلاق والدين, وهذا الحال كما هو ينطبق على الدول المعاصرة المتطورة علميا وتكنولوجيا،فهو ينطبق أيضا على الحضارات القديمة المتطورة ماديا ، كالحضارة الفرعونية، والبابلية مثلا. فتلك الحضارات رغم تطورها المادي فقد كانت مذاهبها وأديانها باطلة قطعا.

وبذلك يتبين أن الكاتب محمد شحرور لم يتمكن من الخروج من أزمته الفكرية والنفسية سالما، وإنما ازداد مرضا وسقوطا وانحرافا وضلالا.

1 عن ذلك مثلا أنظر : خالد كبير علال: وقفات مع أدعياء العقلانية. ونقد العقل الملحد. والكتابان منشوران ورقيا وإلكترونيا.

وطبق ذلك في كتابه " الكتاب والقرآن" ، فملأه بالأباطيل والتحريفات، والأوهام والأهواء.

ثانيا: إن من مظاهر انحراف شحرور وانهزامه وإفلاسه، أنه لم يستطع أن يفهم ويتأكد أن الإنسان المعاصر لا يختلف عن الإنسان القديم في فكره وعقائده وسلوكياته. لأن الأديان والمذاهب القديمة ما تزال إلى اليوم موجودة كما هي أو بأشكال أخرى، وتسيطر على ملايير البشر في أوروبا وأمريكا واليابان وكندا وأستراليا والصين. وينطبق هذا على المتدينين والعلمانيين والملاحدة على حد سواء. والتطور العلمي لم يُغير من حياتنا إلا الجوانب المادية في المراكب والملابس والبنايات، وأما العقائد والسلوكيات والمشاعر فلم تتغير إلا قليلا بحكم أن الأديان والمذاهب القديمة ما تزال توجه أفكار البشر وسلوكياتهم إلى اليوم، والحديثة منها تتفق مع القديمة في انحراف وفساد أصولها. من ذلك مثلا أن شحرورا رغم ما قاله فهو يسير على منهج المعتزلة الذين ظهروا في القرن الثاني الهجري. فقد تبناه وأيده ودافع عنه . وبه حرف القرآن الكريم، وبه قدّم هواه على الشرع بدعوى تقديم العقل على الشرع. وبه نفى القضاء والقدر كما بيناه في هذا الكتاب. إنه فعل ذلك، ثم زعم أنه لا يستطيع أن يعيش على منهج الصحابة في فهم القرآن الكريم والسنة الصحيحة. فلماذا أخذ بمنهج المعتزلة ورفض منهج الصحابة؟؟. ولماذا أثنى على منهج المعتزلة ولم يثن على منهج الفقهاء؟؟. بل ولماذا أخذ بمنهج المعتزلة في تحريف القرآن والتقدم عليه، ورفض أن يتبع منهج القرآن في فهم القرآن ؟؟. فعل ذلك مع منهج المعتزلة ورفض منهج القرآن مع أن منهج المعتزلة باطل قطعا لأنه مخالف للوحي الصحيح والعقل الصريح والعلم الصحيح. وليس صحيحا أن المعتزلة كانوا من أصحاب الفكر الحر، وإنما كانوا أصحاب منهج التحريف ورفض الوحي والعقل والعلم، وهم من ابعد الناس عن المنهج الصحيح في البحث والاستدلال، لأنهم أقاموا منهجهم على أوهامهم وأهوائهم، فخالفوا الوحي والعقل والعلم، وضيعوا جهودهم وأوقاتهم وأموالهم في أمور باطلة ولا طائل من ورائها غالبا[1]. وهذا هو حال شحرور، فلما أخطأ الطريق ضلَّ وأضلَّ، وملأ كتبه بالأباطيل والتحريفات والأوهام التي لا تكاد تنتهي. فالأزمة الفكرية والنفسية التي أصابته هي التي أفسدت منهجه لأنه لم يُحسن التعامل معها، فلم يخرج منها سالما وظن المسكين أنه اختار الطريق الصحيح . ثم بعد ذلك لم يراجع

1 للتأكد من ذلك أنظر كتابنا: جناية المعتزلة على العقل والشرع . والكتاب متوفر في الشبكة المعلوماتية.

موقفه وبقي مصرا عليه ومُتعصبا له ، فجمع بين الخطـأ والإصـرار عليـه، وفسدت نيته وأصبح عبدا لهواه !! .

وإنـهـاءً لـهـذا الفصـل- الأول- **يُستنتج** مـن نقـدنا لمـنهج الكاتـب محمـد شحرور في قراءته للقرآن الكـريم انـه مـنهج فاسـد زائـف متهافـت مخـالف للشرع والعقـل والعلـم، ولا يصـلح منهجـا صـحيحا لدراسـة القـرآن الكـريم دراسة موضوعية علمية نزيهة. لأنـه قـام علـى الذاتيـة والتأويـل التحريفـي للقرآن والتعصب للباطل انتصـارا لأوهـام شـحرور وأهوائـه. ومـنهج هـذا حاله ، ليس منهجا علميا وستكون نتائجه باطلة في معظمها إن لم تكـن كلهـا تقريبا. وهذا أمر أثبتنا جانبـا كبيـرا منـه فـي نقضـنا لكتـاب شـحرور، الـذي بلغت أخطاؤه وانحرافاته وأباطيله وتحريفات المئات وقد تزيد عن الألـف!! . لأنه أخطأ الطريق من البداية، وفسدت نيته وأتبع هواه.

*****

الفصل الثاني

نماذج من أباطيل شحرور في قراءته التحريفية للقرآن الكريم

أولا: تحريف شحرور لمكونات القرآن ومضامينه
ثانيا: تحريف شحرور لمعنى المُحكم والمتشابه

نماذج من أباطيل شحرور في قراءته التحريفية للقرآن الكريم

انعكس الانحراف المنهجي الذي تبناه محمد شحرور ومارسه في قراءته للقرآن كما بيناه سابقا ونقضناه عليه؛ انعكس على كل فصول كتابه ومباحثه ، فلا نكاد نجد فيها مبحثا واحدا صحيحا. فجاءت مملوءة بالأباطيل والتحريفات والتدليسات، سنذكر منها نماذج وشواهد كثيرة تتعلق بمكونات القرآن ومضامينه، وبمحكماته ومتشابهاته .

أولا: تحريف شحرور لمكونات القرآن ومضامينه:

وقع شحرور في أخطاء فادحة، ومارس تأويلات تحريفية فاحشة عندما تكلم عن مكونات القرآن ومضامينه مُعتمدا على منهجه الزائف المتهافت.أذكر منها النماذج الآتية:

أولها: وصف شحرور القرآن الكريم بقوله : (هذا الكتاب هو مجموعة المواضيع التي أوحيت إلى محمد صلى الله عليه وسلم من الله في النص والمحتوى، والتي تؤلف في مجموعها كل آيات المصحف من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس. هذا الكتاب يحتوي على مواضيع رئيسية هي:

(الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ [البقرة : 3]) (كتاب الغيب).

{ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ [البقرة : 3]} (البقرة 3) (كتاب العبادات والسلوك) (سلوك).أي أن هناك نوعين من الكتب: النوع الأول هو الذي يتعلق بسلوك الإنسان، ككتاب الصلاة الذي يتألف من الوضوء والقيام والركوع والسجود، وهذه الكتب غير مفروضة على الإنسان حتماً، بل له القدرة على اختيار الالتزام بها أو عدم التقيد بها. ويعني ذلك أن الإنسان هو الذي يقضي "يختار" موقفه منها. وأطلق على هذا النوع في المصحف مصطلح "القضاء" والنوع الثاني قوانين الكون وحياة الإنسان ككتاب الموت وكتاب خلق الكون والتطور والساعة والبعث، وهذه الكتب مفروضة على الإنسان حتماً، وليست له القدرة على عدم الخضوع لها. وأطلق على هذا النوع في المصحف مصطلح "القدر". ويتوجب على الإنسان أن يكتشف هذه القوانين ويتعلمها ليستفيد من معرفته لها.وبما أن محمداً صلى الله عليه وسلم هو رسول الله، وهو نبي، فهذا الكتاب يحتوي على رسالته ونبوته. فالرسالة هي مجموعة التعليمات التي يجب على الإنسان التقيد بها "عبادات، معاملات، أخلاق" "الحلال والحرام" وهي مناط التكليف.

والنبوة من "نبأ" هي مجموعة المواضيع التي تحتوي على المعلومات الكونية والتاريخية "الحق والباطل".وعليه فالكتاب يحوي كتابين رئيسيين:

الكتاب الأول: كتاب النبوة: ويشتمل على بيان حقيقة الوجود الموضوعي، ويفرق بين الحق والباطل أي الحقيقة والوهم.الكتاب الثاني: كتاب الرسالة: ويشتمل على قواعد السلوك الإنساني الواعي، ويفرق بين الحلال والحرام)[1].

أقول: تلك الأقوال مزاعم باطلة ،وتشهد على صاحبها بالتحريف والتلاعب والخداع ،والكلام بلا علم ،والتعمد في الكذب على القرآن الكريم وتفسيره بهواه لغايات خبيثة في نفسه.

وتفصيل ذلك أولا، إنه يجب على من يتكلم في القرآن وصفا ودراسة أن يعتمد على القرآن ويتركه هو يصف نفسه بنفسه، ولا يحرفه ولا يتسلط عليه بالتلاعب ولا الانتقاء ولا الإغفال من جهة، ولا يُوجه معانيه حسب خلفياته المذهبية ومصالحه وأهوائه من جهة أخرى. لكن شحرورا لم يلتزم بالمنهج الصحيح في التعامل مع القرآن ، فشرع من البداية في تحريف القرآن وتوجيهه لخدمة أوهامه وأهوائه. فأخطأ من البداية لأن منهجه لم يكن شرعيا ولا عقلانيا ولا علميا كما بيناه في الفصل الأول. زعمه باطل لأن القرآن الكريم لم يصف نفسه بأنه مجموعة كُتب، ولا أنه مكوّن من كتابين ولا أكثر، وإنما وصف نفسه في عدة آيات بأنه كتاب إلهي واحد مُحكم حَكيم مُفصل مُبيّن لا يأتيه الباطل أبدا. قال تعالى: {(الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ [هود : 1])،و(طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ [النمل : 1])،و(لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ [فصلت : 42])،و(الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ [يونس : 1]).}. فالقرآن كتاب واحد، وزعم شحرور كذب وتحريف ووقاحة وقلة أدب. ومواضيع القرآن الكبرى لا تنحصر في قسميّن فقط كما زعم شحرور لغايات في نفسه،وهي لا تمثلا كتبا بنفسها ،وإنما هي من مضامينه ،ولا تمثل قسيمين من القرآن ، بل هي أكثر من ذلك ويُمكن إبرازها وتركيزها في أربعة أقسام فيما يأتي:

القسم الأول: يتعلق بأصول الإيمان : كالإيمان بالله واليوم الآخر، والأنبياء والكتب ، وغير ذلك .

القسم الثاني: يتعلق بالعبادات والمعاملات: كالصلاة، والحج، والزكاة، والأخلاق، والأسرة ، والتشريعات المتعلقة بالأحوال الشخصية والاقتصادية والسياسية وغيرها.

1 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: 53 .

القسم الثالث: يتعلق بالقصص القرآني، كأخبار الأنبياء وأقوامهم، وأخبار الظالمين والكفار، وعقاب الله لهم.

القسم الرابع: يتعلق بآيات الآفاق والأنفس، كالآيات التي تتكلم عن الفطرة وخصائص النفوس، وعن الأرحام ونمو الجنين، وعن السماء والأرض والظواهر الطبيعية كالمطر ، والرياح، والأفلاك وغيرها كثير.

كما أن القسم القرآني المتعلق بالسلوك- الأفعال- لا يسمى قضاء، ولا القضاء يعني الاختيار؛ وإنما يُسمى تشريعا ، أو فقها، أو أحكاما . والقضاء في الشرع لا يعني الاختيار وإنما يعني أساسا الحُكم، والأمر. قال تعالى: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً [الإسراء : 23])،و(بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ [البقرة : 117])،و(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً [الأحزاب : 36]) .

ثانيا: إن الكلام في النبوة كما جاءت في القرآن الكريم يجب أن يكون مأخوذا من القرآن من البداية إلى النهاية. ولا يحق لشحرور ولا لغيره أن يُعرفها برأيه وهواه، ثم ينسبها إلى القرآن . وكل تعريف للنبوة في القرآن من خارج القرآن فهو تعريف مرفوض ومتهافت وباطل قطعا. فمن يعرف النبوة في القرآن يجب أن يعرفها تعريفا لغويا واصطلاحيا كما وردت في القرآن ولا يعرفها برأيه ولا بالمعاجم اللغوية. لكن شحرورا عرفها برأيه وهواه ، ونسبها إلى القرآن، وهذا فعل باطل وتحريف مُتعمد للقرآن الكريم.

وبما أن الأمر كذلك، فالقرآن الكريم- الكتاب- لا يحتوي على نبوة محمد- عليه الصلاة والسلام- ورسالته كما زعم شحرور، وإنما الصواب هو أن يقال: إن القرآن هو الدليل المادي والعلمي على صدق نبوة محمد عليه الصلاة والسلام، وليس هو النبوة. والكتاب هو الوحي الذي جاء به النبي الكريم وهو الرسالة أيضا، والمتضمنة لدين الله بأصوله وفروعه. فالنبوة ليست هي الكتاب ولا هي بداخله ، ولا يصح وصفها بالكتاب ولا بالرسالة؛وإنما النبوة هي التي جاءت بالكتاب المُتضمن للرسالة الإلهية .

وبناء على ذلك فإن شحرورا قد حرف معنى النبوة في القرآن وعرفه بهواه ونسبه إلى القرآن كذبا وتدليسا عن سابق إصرار وترصد. والحقيقة أن النبوة ليست هي مجرد كلمة مأخوذة من " نبأ "، ولا هي تعني مجموعة

المعلومات الكونية والتاريخية؛ وإنما هي مصطلح شرعي عظيم جدا يعني اصطفاء الله تعالى لأحد من البشر، وتكليمه إياه بالوحي، وتكليفه بالدعوة لدينه. والدليل على ذلك قوله تعالى: (إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ [آل عمران : 33])،و(قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ [النمل : 59])،و(اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ [الحج : 75]). ,(قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً [الكهف : 110])،و(إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً [النساء : 163])،و(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ [المائدة : 67]) .

واضح من ذلك أن الشحرورا جاهل أو صاحب هوى، لأن تعريفه للنبوة باطل قطعا، وخالف به القرآن والعقل مخالفة صريحة. والنبوة باختصار هي الواسطة بين الله والبشر، ولا يُمكن أن تكون جزءا من الكتاب ولا تتضمن المعلومات الكونية والتاريخية؛ وإنما هي التي أوصلت إلينا القرآن-الكتاب- المتضمن للرسالة الإلهية، والمُتمثلة في دين الله بأصوله وفروعه.وبذلك التعريف يكون شحرور قد أنكر النبوة، والتي تعني اصطفاء الله تعالى لبعض عباده وتكليمهم وتكليفهم بالدعوة لدينه بين الناس.ثم جاء بتعريف زائف باطل حسب هواه لتحريف معنى النبوة وقَطَع القرآن الكريم عن مصدره الإلهي من جهة؛ وعرفها تعريفا زائفا متهافتا ماكرا يشهد على صاحبه بالضلال والتحريف من جهة ثانية. ولا شك أن شحرورا بتحريفه للمصطلحات والمفاهيم الشرعية هو يضع الأسس التحريفية الأولى ليبني عليها ما سيقوله من ضلالات وأخطاء، ويُمارسه من تدليسات ومخادعات وتحريفات في كتابه" الكتاب والقرآن ". ونقضنا لتلك الأسس سينقض بناءه الزائف المتهافت من أساسه، ويكشف زيفه وغشه وخداعه ، ويُظهره بأنه مُفلس علما وأخلاقا.

النموذج الثاني: زعم شحرور أن اسم كتاب الله لا يطلق على الوحي الإلهي كله بأسمائه المعروفة، ولا هو منها أيضا، وإنما هو اسم خاص بالأحكام الشرعية، فقال: (أراد الله سبحانه وتعالى أن يبلغ رسالته للناس (الأحكام) ليبين لهم فيها الفرق بين الحرام والحلال، ويبين لهم فيها

العبادات والأخلاق وقواعد السلوك الإنساني. هذه الأحكام بمجموعها تسمى "كتاب الله"،)[1].

أقول: ذلك الزعم باطل بلا شك، وهو من أوهام شحرور وتحريفاته وأهوائه. لأنه من الثابت كتابا وسنة أن اسم " كتاب الله " أطلقه الشرع على الوحي المنزل على نبينا محمد عليه الصلاة والسلام بكل أسمائه،ولم يُطلق فقط على الأحكام الشرعية كما زعم شحرور، وإنما أُطلق عليها وعلى الكتاب كله. من ذلك قوله تعالى: (وَلَمَّا جَاءهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ **كِتَابَ اللّهِ** وَرَاء ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ [البقرة : 101])،(إِنَّ الَّذِينَ **يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ** وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ [فاطر : 29])،و(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوْتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى **كِتَابِ اللّهِ** لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ [آل عمران : 23])،و(وَالَّذِينَ آمَنُواْ مِن بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَـئِكَ مِنكُمْ وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي **كِتَابِ اللّهِ** إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [الأنفال : 75]) .

ومن السنة النبوية ، قول النبي عليه الصلاة والسلام : (« إن أُمر عليكم عبد مجدع ... أسود يقودكم بكتاب الله تعالى فاسمعوا له وأطيعوا ».)[2].،و(كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به »)[3] .

وبذلك يتضح أن اسم " كتاب الله " هو من أسماء الوحي الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد، يُضاف إلى أسمائه الأخرى، كالقرآن والكتاب، والفرقان؛ وليس اسما خاصا بالأحكام الفقهية كما زعم المحرف محمد شحرور.

النموذج الثالث – من تحريفات شحرور للقرآن-: فرّق الكاتب شحرور بين الكتاب والقرآن فقال: { 1 – لنرجع إلى قوله تعالى في أول سورة الحجر { الَرَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ [الحجر : 1] } (الحجر 1).
2 – ولنرجع إلى قوله تعالى في أول سورة الرعد { المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِيَ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ [الرعد : 1]} (الرعد 1).

---

1 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: - 89 .

2 مسلم : الصحيح، رقم: 3198 ، ج 4 ص: 79 .

3 مسلم : الصحيح، رقم: 6378 ، ج 7 ص: 122 .

3 – ولنرجع إلى قوله تعالى في أول سورة البقرة { ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ [البقرة : 2] } .
4 – ولنرجع إلى قوله تعالى في سورة البقرة 185 (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ[البقرة : 185]).
هنا نلاحظ كيف عطف القرآن على الكتاب، وفي اللسان العربي لا تعطف إلا المتغايرات، أو الخاص على العام. فهنا لدينا احتمالان:

أ - أن القرآن شيء والكتاب شيء آخر، وعطفهما للتغاير كأن نقول جاء أحمد وسعيد. حيث أن سعيداً شخص وأحمد شخص آخر. وعطفهما للتغاير. فإذا كان القرآن شيئاً والكتاب شيئاً آخر فتجانسهما أنهما من عند الله. ولكن لماذا عطف القرآن على الكتاب في أول سورة الحجر؟ السبب في ذلك هو الآية 87 في هذه السور حيث ذكر فيها السبع المثاني في قوله {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ [الحجر : 87]} فها هنا واضح تماماً أن القرآن شيء والسبع من المثاني شيء آخر، وهي ليست من القرآن ولكنها من الكتاب.
ب – أن يكون القرآن جزءاً من الكتاب، وعطفهما من باب عطف الخاص على العام. وفي هذه الحالة يكفي عطف الخاص على العام للتأكيد وللفت انتباه السامع إلى أهمية الخاص.

فأي الاحتمالين هو المقصود؟!

– نلاحظ أنه عندما ذكر الكتاب قال: {هدى للمتقين} لأن في الكتاب أحكام العبادات والمعاملات والأخلاق، أي فيه التقوى بالإضافة إلى القرآن.
وعندما ذكر القرآن قال: {هدى للناس} ولفظة الناس تشمل المتقين وغير المتقين، فالمتقون من الناس ولكن ليس كل الناس من المتقين.
وهذا وحده يوجب أن نميز بين الكتاب والقرآن.

– ونلاحظ أنه في سورة الرعد عطف الحق على الكتاب، فهذا يعني أن الحق شيء والكتاب شيء آخر. أو أن الحق هو جزء من الكتاب وليس كل الكتاب.

– والجواب القاطع على هذا السؤال أعطي في سورة فاطر { وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ [فاطر : 31]} (فاطر 31). هنا أعطى الجواب القاطع بأن الحق هو جزء من الكتاب وليس كل الكتاب، وأن الحق جاء معرفاً أي أن الحقيقة الموضوعية بأكملها غير منقوصة "الحقيقة المطلقة" موجودة في الكتاب

ولكن ليست كل الكتاب، حيث أنه في الكتاب توجد الآيات المحكمات "آيات الرسالة" وهي ليست حقاً. والآيات المتشابهات "آيات النبوة" وآيات تفصيل الكتاب ثم أعطى للحق وظيفة ثانية، وهي تصديق الذي بين يديه. فلماذا جاء القرآن كله متشابهاً؟ وما معنى تصديق الذي بين يديه؟؟}[1].

أقول: تلك الأقوال مزاعم باطلة جملة وتفصيلا، مارس شحرور من خلالها التحريف والتدليس عن سابق إصرار وترصد لغايات خبيثة مُخطط لها سلفا. وأراد أن يقول بأن الكتاب والقرآن إما أنهما شيئان منفصلان ، وإما أنهما شيئان غير منفصلين تماما، وإنما أحدهما جزء من الآخر ،وأختار الاحتمال الثاني. وهذا موقف باطل قطعا، لأنه أسقط وأغفل الاحتمال الثالث وهو الصحيح وقد أغفله وأسقطه لغاية في نفسه. ومفاده هو أن الكتاب والقرآن هما اسمان لمسمى واحد هو الوحي الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد عليه الصلاة والسلام.والأدلة على صحة ذلك من القرآن كثيرة جدا أغفلها شحرورا انتصارا لأوهامه وأهوائه.وسنبين تهافت وبطلان مزاعمه بالرد المجمل الذي ينقضها من أساسها أولا ؛ ثم نُبطلها بالرد المُفصل ثانيا.

أولا: إن من الثابت شرعا وتاريخا وواقعا أن الله تعالى أنزل على نبيه محمد عليه الصلاة والسلام وحيا واحدا ، فلم ينزل عليه وحيّن ولا أكثر من جهة؛ ووصفه الله من جهة أخرى بأنه وحي واحد مُحكم حكيم مترابط مُفصل مُبين لا يأتيه الباطل أبدا. قال تعالى : {(الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ [هود : 1])،و(طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ [النمل : 1])،و(لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ [فصلت : 42])،و(الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ [يونس : 1]).}. فنحن أمام وحي واحد لا يتعدد ولا يتبعّض ، ويُفسر نفسه بنفسه، وينقض زعم شحرور ويهدمه من أساسه.وهذا الوحي سماه الله تعالى وحيا وكلاما، وكتابا وقرآنا، وذِكرا وفرقانا. فهي أسماء لمسمى واحد ،كل اسم تضمن الوحي كله وأبرز صفة أو أكثر من صفاته الأساسية، وبها سُمي الوحي المنزل على النبي محمد عليه الصلاة والسلام. فهو ليس وحيا متعددا منفصلا في كُتب، ولا هو وحي مُجزأ في أجزاء وكُتب متداخلة فيما بينها كما زعم شحرور؛ وإنما هو وحي واحد مُحكم مُترابط سماه الله تعلى بعدة أسماء. والأدلة القرآنية الآتية تُبين ذلك وتُثبته:

---

1 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: 56 – 57 .

منها آيات ذكرت أن ذلك الوحي المُنزل على محمد عليه الصلاة والسلام من أسمائه : القرآن، كقوله تعالى: { قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادةً قُلِ اللّهِ شَهِيدٌ بِيْنِي وَبَيْنَكُمْ **وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ** لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُل لاَّ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ [الأنعام : 19]}.و{ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ **بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ** لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً [الإسراء : 88]}. و{ وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً [الإسراء : 106]}، و{مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى [طه : 2] }،و{ وَكَذَلِكَ **أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً** عَرَبِيّاً وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً، فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا [طه : 113- 114]}.و{ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (الواقعة: 77 - 80) } ،و{ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (البروج:21 - 22) } .

ومنها آيات وصفت الوحي المنزل على محمد عليه الصلاة والسلام باسم: الكتاب، كقوله تعالى:{نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ [آل عمران : 3] }.و{إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللّهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيماً [النساء : 105] }, {تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ [السجدة: 2] }.و{وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ [النحل : 89] }، و{وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ [فاطر : 31] }،و{وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ [النحل : 64] }،و{وَأَنزَلَ اللّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً [النساء : 113]} . و{هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ [آل عمران : 7]}،و{إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ [الزمر : 41] }،و{ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ [العنكبوت : 51]} .

ومنها آيات أطلقت على الوحي المنزل على محمد عليه الصلاة والسلام اسم: الذِكر ، كقوله تعالى{ وَقَالُواْ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ

لَمَجْنُونٌ [الحجر : 6]} ،و{ أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ [ص : 8] }و{ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ [الحجر : 9] }،و{ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ [النحل : 44]}.و{ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ [القلم : 51]}.

ومنها آية وصفت الوحي المنزل على محمد عليه الصلاة والسلام باسم: الفرقان ، هي قوله تعالى:{ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً [الفرقان : 1]}.

ومنها أيضا آيات أخرى وصفت الوحي المنزل على محمد عليه الصلاة والسلام باسمين من تلك الأسماء في موضع واحد. منها قوله تعالى: {الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (يوسف: 1- 2)}، و{طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ [النمل : 1]}.فالكتاب المبين هو القرآن المنزل بلسان عربي مبين من جهة؛ والقرآن هو نفسه كتاب مُبين من جهة أخرى.

ومنها قوله سبحانه:{ حم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ {الزخرف:1- 4}. فالكتاب المُبين هو نفسه القرآن الكريم بلسان عربي من جهة؛ وهذا الكتاب من جهة أخرى هو نفسه جزء من الكتاب الإلهي الجامع لكل الكتب الإلهية السابقة الموجود في اللوح المحفوظ .

ومنها أيضا قوله تعالى:{ حم تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ [فصلت :1 - 3]}.فالوحي المنزل على نبينا عليه الصلاة والسلام هو في كتاب محتواه هو القرآن الكريم. فالكتاب هو القرآن ،والقرآن هو الكتاب. وهما اسمان لمسمى واحد هو الوحي الإلهي.

ومنها قوله سبحانه:{ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ (الأحقاف : 29 - 30)}. فالجن استمعوا للوحي الإلهي المنزل على النبي محمد عليه الصلاة والسلام، اسمه القرآن ، والكتاب، فهما اسمان لمسمى واحد.

ومنها قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا **بِالذِّكْرِ** لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ **لَكِتَابٌ عَزِيزٌ** لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ **وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا** أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (فصلت: 41 - 44) }،و{ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ [يس : 69]} . فالوحي الذي أنزله الله على نبيه محمد عليه الصلاة والسلام هو الذكر، وهو الكتاب، وهو القرآن بلسان عربي وليس أعجميا. فتلك ثلاثة أسماء لمسمى واحد هو الوحي الإلهي.

ومنها قوله سبحانه:: {**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ** فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (القدر: 1 - 3)}. {حم وَ**الْكِتَابِ الْمُبِينِ** إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ{الدخان: 1 - 2 } .و{شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ **أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ** هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ [البقرة : 185] }.واضح من ذلك أن الوحي الذي أنزله الله ليلة القدر من شهر رمضان جملة واحدة ، هو الكتاب، وهو القرآن ، فهما اسمان لمسمى واحد هو الوحي الإلهي.

وبذلك يتبين من تلك الآيات أن الوحي الذي أنزله الله تعالى على النبي الخاتم محمد عليه الصلاة والسلام هو وحي واحد مُحكم مُفصل مُبين ،وغير مُتعدد إلى مجموعات من الوحي، ولا مُجزأ إلى أجزاء متداخلة من جهة؛ وقد سماه الله تعالى بعدة أسماء من جهة أخرى. هي: الوحي، القرآن، الكتاب، الذِكر، الفرقان . إنها أسماء لمسمى واحد، وليست أسماء لأجزاء من الوحي كما زعم المحرف شحرور.

ثانيا: بالنسبة للآيات التي احتج بها الكاتب شحرور، فهي ضده ولا تثبت مزاعمه من جهة، وحرفها حسب هواه وأخرجها من سياقها ولم يُرجعها إلى الآيات التي تفسرها من جهة أخرى . من ذلك أن تفسيره لقوله تعالى: (الَرَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ [الحجر : 1])، ليس صحيحا، لأن الصحيح هو أن الإضافة ليست للتغاير ولا للجزئية، وإنما هي إضافة صفة للكتاب هي صفة أساسية له. فهو كما انه تضمن تلك الآيات فهو أيضا قرآن مبين. ولو كانت الإضافة للتغاير والجزئية لوردت عبارة" وقرآن مُبين " مُعرفة لا نكرة هكذا: " والقرآن المبين ". فالكتاب هو القرآن، والقرآن هو الكتاب وليس كما زعم شحرور. وزعمه باطل بما بيناه سابقا

بأن اسمي الكتاب والقرآن هما من أسماء الوحي الإلهي المنزل على محمد عليه الصلاة والسلام، ولا يُمثلان كتابين منفصليّن ولا جزأين متداخلين .

ومما يُبطل زعمه أيضا ويُظهر أنه مُحرف ويُمارس الانتقاء والإغفال في تعامله مع الآيات القرآنية حسب هواه أنه لم يورد الآيات التي تُبطل زعمه وتُبين أن القرآن هو الكتاب، والكتاب هو القرآن وقد أوردنا طرفا منها سابقا. ومنها أنه لم يورد الآية التي تقابل الآية التي احتج بها، وتشرحها وتبين مقصودها وهو خلاف زعمه. تلك الآية هي قوله تعالى: (طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ [النمل : 1])، فكما عُطف " قرآن مبين " إلى الكتاب في قوله تعالى: (الَرَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ [الحجر: 1])،فإن " كتاب مُبين " هو الذي عُطف إلى القرآن. فالكتاب قرآن مُبين، والقرآن كتاب مُبين، فهما اسمان لمسمى واحد هو الوحي.وهذا دليل دامغ على بطلان مزاعم شحرور فيما قاله عن الكتاب والقرآن والمحكمات والمتشابهات.

وأما استدلاله في التفريق بين الكتاب والقرآن بقوله : (نلاحظ أنه عندما ذكر الكتاب قال: {هدى للمتقين} لأن في الكتاب أحكام العبادات والمعاملات والأخلاق، أي فيه التقوى بالإضافة إلى القرآن. وعندما ذكر القرآن قال: {هدى للناس} ولفظة الناس تشمل المتقين وغير المتقين، فالمتقون من الناس ولكن ليس كل الناس من المتقين. وهذا وحده يوجب أن نميز بين الكتاب والقرآن). فهو استدلال باطل، لأنه سبق أن بينا أن اسمي الكتاب والقرآن هما اسمان لمسمى واحد هو الوحي المنزل على نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، فالكتاب هو القرآن والقرآن هو الكتاب، والاختلاف بينهما حسب ورودهما في سياق الآيات لا يُغير الأصل بأنهما اسمان لمسمى واحد.

كما أن استدلاله في التفريق بين الكتاب والقرآن بدعوى أن الكتاب استخدم في مخاطبة المؤمنين، لكن القرآن أُستخدم في مخاطبة الناس جميعا بمؤمنهم وكافرهم، فهذا حتى وإن صح فلا يُغير الأصل الذي هو أن الكتاب والقرآن اسمان لمسمى واحد لِما قلناه سابقا، ولأن استدلاله بقوله تعالى: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ [البقرة : 185]) بدعوى أن القرآن خوطب به كل الناس، لكن الكتاب في قوله تعالى:{ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ } خوطب به المتقون. فالأمر ليس كذلك، لأن نفس الآية الأولى التي ورد فيه اسم القرآن، هي نفسها تقريبا وردت في آية أخرى عن إنزال الوحي الإلهي ليلة

القدر ذكرت الكتاب ولم تذكر القرآن في قوله تعالى: {حم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ{الدخان: 1 - 2 }. فماذا نزل ليلة القدر: القرآن أم الكتاب؟؟!! حسب زعم شحرور أن القرآن هو الذي نزل وليس الكتاب. وهذا مخالف للوحي، والصحيح أن الذي نزل هو الوحي الإلهي المسمى بالقرآن والكتاب ، فهما من اسميه.

كما أنه ليس صحيحا أن القرآن خطابه موجه للمؤمنين والكفار- كل الناس-، والكتاب خطابه موجه للمؤمنين فقط. ليس صحيحا بدليل قوله تعالى: (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ [الأعراف : 204]). وهذا خطاب موجه للمؤمنين لأنهم هم الذين يُؤمنون به،وليس للكفار الذين لا يُؤمنون به. فهم لا يُؤمنون به فكيف يوجه إليهم النداء بالاستماع والإنصات؟؟!! بل هم يرفضون الاستماع له ويلامرون بعدم الاستماع له،بدليل قوله تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ [فصلت : 26]) . ومن ذلك أيضا قوله تعالى: (إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ [التوبة : 111]). وهذا الأمر موجه للمؤمنين وهو مذكور في القرآن.

ومنها قوله تعالى: { فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ [النحل : 98]}، فهو خطاب موجه للنبي والمؤمنين باسم القرآن وليس موجها للكفار ولا لكل الناس ، فلماذا لم يقل: " إذا قرأت الكتاب " لو كان الأمر كما زعم شحرور بأن المخاطبة بالكتاب موجهة إلى المؤمنين؟؟ . ونفس الأمر ينطبق على قوله تعالى:{ أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً [الإسراء : 78]}. إنه خطاب موجه للمؤمنين باسم القرآن وليس موجها لكل الناس، بل ولا يصح توجيهه لهم. ومنها قوله تعالى: {أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً [المزّمِّل : 4] }،و{ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ [المزّمِّل : 20]} وهذا أمر موجه للنبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه باسم القرآن لا الكتاب،وليس موجها لكل الناس .

ومنها قوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (البقرة : 159])}. وهذا الخطاب موجه للناس باسم الكتاب، وليس موجها للمؤمنين كما زعم شحرور. ومنها قوله تعالى: { النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُوْلُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفاً كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً [الأحزاب : 6]}. موضوع هذه الآية يتعلق بالمؤمنين وهو مذكور في الكتاب لا بالقرآن، فلو كان زعم شحرور صحيحا لورد ذلك باسم القرآن لا الكتاب.

وأما استدلال شحرور على زعمه بقوله تعالى وتعليقه عليه:{ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ [الحجر : 87] } فها هنا واضح تماماً أن القرآن شيء والسبع من المثاني شيء آخر، وهي ليست من القرآن ولكنها من الكتاب.}[1]؛ فهو زعم باطل وشاهد عليه بالتحريف أو الجهل، أو بهما معا. لأنه سبق أن بينا بآيات كثيرة أن القرآن والكتاب هما اسمان لمسمى واحد هو الوحي المنزل على النبي محمد عليه الصلاة والسلام. وبما أن الأمر كذلك ، فإن السبع المثاني هي من القرآن والكتاب معا، والواو الواردة في الآية ليست عطفا، وإنما هي واو المعية، بمعنى " مع ". فهي كقوله تعالى:(**وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ** أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً [المزّمِّل : 11])،و(**فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ** بِهَذَا الْحَدِيثِ [القلم : 44]) ، بمعنى ذرني معهم. وذلك يعني أن الله تعالى أنزل السبع المثاني مع القرآن فهي من سوره وآياته ، وليست منفصلة عنه ولا تُقابله، وإنما هي منه ولا تنفصل عنه، وإنما أشار إليها ونوّه بها لأهميتها ومكانتها في القرآن،فهي من القرآن ونزلت معه.

وأما استشهاد شحرور على زعمه بقوله تعالى: (المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِيَ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ [الرعد : 1]). وتفسيره بقوله: (ونلاحظ أنه في سورة الرعد عطف الحق على الكتاب، فهذا يعني أن الحق شيء والكتاب شيء آخر. أو أن الحق هو جزء من الكتاب وليس كل الكتاب . والجواب القاطع على هذا السؤال أعطي في سورة فاطر { وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ [فاطر : 31] } . هنا أعطى الجواب القاطع بأن

1 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: 56 – 57 .

الحق هو جزء من الكتاب وليس كل الكتـاب، وأن الحـق جـاء معرفـاً أي أن الحقيقة الموضوعية بأكملها غير منقوصة "الحقيقـة المطلقـة" موجـودة فـي الكتـاب ولكـن ليسـت كـل الكتــاب، حيـث أنــه فــي الكتــاب توجـد الآيــات المحكمات "آيات الرسالة" وهـي ليسـت حقـاً. والآيـات المتشـابهات "آيـات النبوة")[1].

تلك المزاعم باطلة جملـة وتفصـيلا، وهـي مـن أوهـام شـحرور وأهوائـه وتحريفاته وأباطيلـه ،ولا يقولهـا إلـى جاهـل، أو صـاحب هـوى. لأنـه أولا، سبق أن بينا بآيات كثيرة أن القرآن والكتاب همـا اسـمان لمسـمى واحـد هـو الوحي المنزل على نبينا محمد عليه الصلاة والسلام. وعليه فالحق المـذكور هو وصـف عـام وشـامل للكتـاب والقـرآن وهمـا اسـمان مـن أسـماء الـوحي الإلهي مـن جهـة، والـوحي كلـه حـق مـن جهـة أخرى.فـالحق لـيس مغـايرا للكتاب ولا هو جزء فقط من الكتاب كما زعم شحرور.

وبما أن الأمر كذلك ، فإن قوله تعـالى: (المـر تِلْـكَ آيَـاتُ الْكِتَـابِ وَالَّـذِيَ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ [الرعد : 1]،ليس هو كما حرفه شحرور، وإنما يعني أن تلك الحروف هي من آيات الكتاب. وهذا الكتاب هو الوحي المنزل من الله وهو الحـق ، حـق كلـه لا بعضـه.فالآية لـم تعطف الحق على الكتـاب كمـا زعـم شـحرور، وإنمـا أرجعـت الكتـاب إلـى الوحي ، فهو الأصل، لأن الكتاب اسم من أسمائه ووصفت الوحي بأنه حـق كله. فلا الحق شيء مغاير للوحي، ولا في الوحي جزء ليس حقا.

ومما يُبطل ذلك الزعم أيضا، أن وحي الله تعالى كله حق وعلم، ولا يصح وصـف بأن منه الحق وغير الحـق. فـلا يقـول هـذا إلا جاهـل، أو ضـال، أو صـاحب هـوى. لأن الله تعـالى وصـف وحيـه الـذي أنزلـه علـى محمـد عليـه الصلاة والسلام بأنه كله حق وعلم ، ولا يأتيه الباطل أبدا، وهو وحي مُحكم حَكيم مُفصل مبين، ولا متشابه فيه، لأنه يُفسر نفسـه بنفسـه. مـن ذلـك قولـه تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُمُ الرَّسُولُ بِـالْحَقِّ مِـن رَّبِّكُـمْ فَـآمِنُواْ خَيْـراً لَّكُـمْ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً [النساء : 170])،و(لَقَدْ جَاءكَ الْحَـقُّ مِـن رَّبِّـكَ فَـلاَ تَكُـونَنَّ مِـنَ الْمُمْتَـرِينَ [يـونس : 94])،و(قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَـا يَهْتَـدِي لِنَفْسِـهِ وَمَـن ضَـلَّ فَإِنَّمَـا يَضِـلُّ عَلَيْهَـا وَمَـا أَنَـاْ عَلَـيْكُم بِوَكِيـلٍ [يـونس : 108])،و(الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيـرٍ [هـود :

1 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: 56 – 57 .

1])،و(طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ [النمل : 1])،و(لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ [فصلت : 42])،و(الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ [يونس : 1]).

وبما أن الأمر كذلك، فإن وصف شحرور للآيات المحكمات بالحق، ووصفه للآيات المتشابهات بأنها ليست حقا، هو وصف باطل قطعا، لأن كل آيات القرآن الكريم حق، فالمحكمات حق وفهمها واضح ، والمتشابهات هي أيضا حق لكن فهمها غير واضح يحتاج إلى فهم صحيح لفهمه وتوضيحه. وبما أن القرآن كله حق ولا يوجد فيه متشابهات بحكم أنه كتاب مُحكم يُفسر نفسه بنفسه، فإن كل ما قاله الكاتب محمد شحرور عن المحكمات والمتشابهات وحكاية الكتاب والقرآن هو زعم باطلة جملة وتفصيلا وكل ما بناه عليها في كتابه زائف متهافت قطعاً. لأنه لم يتعامل مع القرآن الكريم بالمنهج العلمي الصحيح الذي حدده القرآن ويؤيده العقل والعلم، وإنما تعامل معه بأوهامه وأهوائه انتصارا للباطل.

وأما الآية الثانية التي استشهد بها شحرور لتأييد زعمه، وهي قوله تعالى:(وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ [فاطر : 31]). فقد حرفها تحريفا بشعا، وتلاعب بها حسب هواه، وافترى بها على الله وكتابه. هو زعم باطل بما بيناه سابقا بأن الكتاب والقرآن هما اسمان للوحي المنزل على نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ، وهو وحي إلهي كله حق قطعا ، ولا يُمكن أن يكون جزءا منه حقا وآخر ليس حقا. وهذا الوحي وصفه الله تعالى بأنه حق كله وليس بعضه حقا وبعضه ليس حقا. كقوله تعالى: (وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ [الأنعام : 66])،و(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ [محمد : 2]).

كما أن تفسيره لتلك الآية ليس صحيحا، لأن قوله تعالى:(وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ [فاطر : 31])، لا يعني ما زعمه، وإنما يعني أمرين لا ثالث لهما: الأول، هو أن الوحي الذي أنزله الله تعالى على نبيه والمُتمثل في الكتاب، والقرآن هو الحق. وهنا لا يكون حرف " من " للتبعيض وإنما للتمييز والبيان. والثاني يعني أن الوحي الذي أنزله الله على نبيه هو وحي من الكتاب الإلهي

العام الذي يشمل كل الكُتب الإلهية التي أنزلها الله سبحانه على رسله، فهي محفوظة في اللوح المحفوظ. فهو كتاب حق من الكتاب الحق الشامل لكل الكتب المنزلة. وهنا يكون حرف " من" للتبعيض لا للتمييز والبيان .

النموذج الرابع: عندما تكلم الكاتب محمد شحرور عن معنى الذِكر في القرآن الكريم أورد قوله تعالى: { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ [الحجر : 9] }،و{وَقَالُواْ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ [الحجر : 6] }،و{ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ [ص : 1]}. ثم شرح الآية الثالثة، وتناسى الآيتين الباقيتين، ثم توصل إلى فهم معوّج حسب هواه، فقال: {فهذه الصيغة للكتاب التي بين أيدينا وهي صيغة عربية هي صيغة محدثة بلسان إنساني وغير قديمة وذلك ليذكر بها القرآن من الناس لذا قال: (مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مَّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ [الأنبياء : 2]) لاحظ هنا دقة التعبير في الكتاب عندما قال عن الذكر إنه محدث ولم يقل القرآن، ولا ننسى أن الذكر ليس القرآن نفسه، بل هو أحد صفات القرآن(ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ [ص : 1]) . فإذا عرفنا الآن أن الذِكر ليس القرآن نفسه، وإنما هو أحد خواصه وهو صيغته اللسانية حصراً يزول الالتباس. لذا فقد وضع الكتاب شرطاً لفهم آياته بقوله:(وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ [الأنبياء : 7]) } .هنا يجب أن نفهم أن أهل الذكر هم أهل اللسان العربي. }[1].

أقول: ذلك الزعم باطل جملة وتفصيلا، ولا يقوله إلا جاهل ، أو محرف صاحب هوى. لأنه أولا، إن هذا الكاتب لم يتبع المنهج العلمي في فهم تلك الآيات، وإنما مارس الانتقاء والإغفال والتلاعب والتحريف والتدليس والخداع من جهة، ولم يترك القرآن يُفسر نفسه بنفسه من جهة أخرى. وبيان ذلك أن معنى الذِكر في القرآن ليس عنده معنى دقيقا واحدا، وإنما له عدة معانٍ متقاربة حسب سياق وروده في الآية، والقرآن هو الذي يُحدد المعنى المقصود وليس القارئ هو الذي يحدده ويتسلط عليه بهواه كما فعل شحرور. ومن يفعل ذلك فهو محرف وضال مُضل ،وعمله ليس من العقل ولا من العلم في شيء، ولا قيمة له علميا.

ثانيا : إن مما ينقض زعم شحرور من أساسه، أن عبارة " الذِكر " هي من أسماء الوحي الإلهي الذي أنزله الله على نبينا محمد عليه الصلاة والسلام.فهو اسم من أسمائه كالقرآن ، والكتاب ،والفرقان. وهذا أمر واضح

1 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: -62 – 63 .

من قطعيات القرآن ومحكماته، لكن ذلك الباحث تناسى ذلك وحرفه لغايات في نفسه عندما زعم أن الذِكر ليس هو القرآن. وزعمه هذا باطل بدليل قوله تعالى:{ وَقَالُواْ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ [الحجر : 6]} ،و{ أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ [ص : 8] }و{ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ [الحجر : 9] }،و{ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ [النحل : 44]}.و{ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ [القلم : 51]}.

واضح من تلك الآيات أن الذِكر هو الوحي الذي أنزله الله تعالى على نبيه الخاتم محمد عليه الصلاة والسلام. وهذا الذِكر هو نفسه القرآن والكتاب كما بيناه سابقا، وهما يُمثلان الذِكر أيضا. فنحن أمام وحي إلهي له عدة أسماء، منها ثلاثة ذكرناها، فهي أسماء لمسمى واحد.

ومما يؤيد ذلك ويؤكده وينقض زعم شحرور قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا **بِالذِّكْرِ** لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ **لَكِتَابٌ عَزِيزٌ** لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ **وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا** أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (فصلت: 41 - 44) }،و{ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ [يس : 69]}. و(فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ [ق : 45] .

واضح من ذلك أن الوحي الذي أنزله الله على نبيه محمد عليه الصلاة والسلام هو الذِكر، وهو الكتاب، وهو القرآن بلسان عربي مبين . فتلك ثلاثة أسماء لمسمى واحد هو الوحي الإلهي، وليس الأمر كما زعم المحرف شحرور.

ثالثا: إن ذلك الوحي المُنزل على نبينا محمد عليه الصلاة والسلام- وهو القرآن ، والكتاب، والذِكر- ليس هو **صيغة عربية للنص الإلهي المُنزل** كما زعم المحرف شحرور ،وإنما هو وحي إلهي جديد بلسان عربي مبين. فهو يختلف عن الكُتب الإلهية السابقة، فهو ليس ترجمة عربية لها ، وإنما هو وحي إلهي جديد قائم بذاته، فمع تضمنه لأصول الدين الإلهي فهو أيضا كتاب وحي فريد بمضامينه وإعجازه وخصائصه.

كما أن تفسير شحرور لقوله تعالى: (ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ [ص : 1])، هو تفسير تحريفي بلا شك، لأنه حَمّل الآية ما لم تقله، ولم يفسره بالقرآن، وإنما فسرده بهواه. لأن معناها هو أن من صفات القرآن أنه موصوف بالذِكر، وهو ذِكر ، وكثير الذِكر بين الناس أيضا، فهو مذكور بينهم بكثرة. والشاهد على ذلك أيضا قوله تعالى: (فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ [قـ : 45]). فالقرآن ذِكر، والذِكر قرآن . فلو لم يكن ذِكرا ما أمر الله تعالى نبيه بأن يُذكّر به الناس.وهذا أمر أثبتناه سابقا من جهة ، وهو شاهد من جهة أخرى على ممارسة شحرور للتحريف عن سابق إصرار وترصد، لأنه أغفل آيات تنقض زعمه أوردناها سابقا، والتي ذَكرها حَرّفها وفسرها حسب هواه.

وأما قوله : { هنا يجب أن نفهم أن أهل الذِكر هم أهل اللسان العربي}[1]. فهو قول فيه حق وباطل وخداع وتحريف. لأن القرآن الكريم لا يُمكن فهمه فهما صحيحا وشاملا بمعرفة اللغة العربية المعجمية فقط. وكونه بلسان عربي يعني أنه مكتوب به، وفهمه الصحيح يتوقف أساسا على فهم القرآن بمعجمه اللغوي أولا، ثم الاستعانة بالمعاجم اللغوية ثانيا، لأن لغة القرآن لغة عربية فصيحة مُبينة مُهيمنة على كل المعاجم العربية، وهو الحَكم عليها وليس العكس.

وكذلك من جهة مضامين القرآن، فهي تُمثل علوما كثيرة جدا لها مصطلحاتها ومواضيعها ومناهجها، وقد فسرها القرآن الكريم بمعجمه وعلومه. وهذا يعني أن أهل الذِكر المذكورين في قوله تعالى: (فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ [النحل : 43])، ليسوا هم أهل اللغة العربية فقط، وإنما هم أساسا العالمون بلغة القرآن ومصطلحاته وعلومه ومناهجه في فهم القرآن وتفسيره وتطبيقه من جهة؛ والعالمون بالعلوم المساعدة لفهمه فهما صحيحا من جهة أخرى. وأما العالمون بلغة المعاجم العربية فقط فإنهم لن يستطيعوا فهم لغة القرآن وعلومه فهما صحيحا شاملا إلا قليلا.

النموذج الخامس- من تحريفات شحرور للقرآن **-:** زعم شحرور أن الله أنزل على موسى عليه السلام الكتاب وهو التوراة ، والفرقان وهو كتاب آخر تضمن وحيا لم يرد في التوراة. واستدل على زعمه بقوله تعالى: { وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ [البقرة : 53]}، و:(وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِ

1 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: -62 – 63 .

اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ [آل عمران :3 - 4]). وزعم أيضا أن الله تعالى أنزل على نبينا محمد عليه الصلاة والسلام الفرقان والقرآن والفرقان هو نفسه المُنزل على موسى عليه السلام، واستدل على زعمه بقوله تعالى:{ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ [البقرة : 185]}. وتفصيل ذلك أنه قال:{ أي أن الفرقان جاء إلى موسى على حدة وجاء الكتاب على حده، ففرقا عن بعضهما.وهذا الفرقان قال عنه في سورة آل عمران: إن الفرقان والتوراة والإنجيل أنزلت قبل أن يأتي الكتاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ثم إن الفرقان الذي أنزل على موسى هو نفسه الذي أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم في رمضان (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ [البقرة : 185] وبما أن الفرقان جاء معطوفاً على القرآن يستنتج أن الفرقان غير القرآن، وهو جزء من أم الكتاب "الرسالة" وأنزل ونزل في رمضان. وهذا الجزء أول ما أنزل إلى موسى عليه السلام[1]. وزعم أيضا أن (آيات الفرقان في سورة الأنعام ليست مكيةً، فهنا أخبرنا أن الفرقان أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في معركة بدر "في رمضان" لذا سمي بيوم الفرقان بقوله: (وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان) الأنفال 41) [2].

أقول: ذلك القول زعم باطل جملة وتفصيلا، وهو من أوهام شحرور وأباطيله وأهوائه ،توصل إليه بالتحريف والتدليس وممارسة الانتقاء والإغفال في تعامله مع الآيات القرآنية التي أوردها من جهة؛ ووجهها توجيها ذاتيا مُسبقا لغايات في نفسه من جهة أخرى. وتفصيل ذلك أولا، إن الذي يُبطل تلك المزاعم هو أن الله تعالى أخبرنا أنه أنزل على نبينا محمد عليه الصلاة والسلام وحيا واحدا مُحكما حَكيما ولم يقل أنه أنزل عليه أكثر من وحي، ولا أكثر من كتاب، وإنما أنزل وحيا واحدا سماه بعدة أسماء، منها: الكتاب،والقرآن ،والذِكر، والفرقان. والآيات الدالة على ذلك كثيرة سبق أن ذكرنا طائفة منها فلا نعيدها هنا. لكني أذكر منها هنا المتعلقة بالفرقان فقط. قال تعالى: (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ... وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ

1 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: 64-65 .

2 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: 65 .

السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا([الفرقان : 1- 5]). هذه الآيات صريحة بأن الفرقان هو الوحي الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد عليه الصلاة والسلام،وهو نفسه القرآن والكتاب والذِكر، وليس هو كتابا آخر قائما بذاته مقابل كتب أخرى كما زعم شحرور.

وأما بالنسبة لموسى عليه السلام ، فقد أخبرنا الله تعالى أنه أنزل عليه وحيا واحدا أيضا أنزله عليه مكتوبا في الألواح سماه الله تعالى التوراة، والكتاب ، فهما اسمان لمسمى واحد. والدليل على ذلك قوله تعالى: (وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ [الأعراف : 145])،و(وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ [الأعراف : 154])،و(وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلاَّ تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلاً [الإسراء : 2])،و(إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ [المائدة : 44]).

وأما الآيتان اللتان استشهد بهما شحرور لتأييد زعمه فيما قاله عن الوحي الذي أنزله الله تعالى على نبيه موسى عليه السلام[1] ، وهما:(وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ [آل عمران :3 - 4]).،و(وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ [البقرة : 53]).، فإن الأمر ليس كما زعم ، وذلك أن قوله تعالى: (وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ [آل عمران :3 - 4])، أورده ناقصا ، فقد أسقط الجزء الأول من الآية الأولى، وتمامها قوله تعالى: { **نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ** وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ [آل عمران:3 - 4]).فالله تعالى أنزل القرآن ومن قبله ،التوراة والإنجيل وغيرهما ، ولا يعني أن الفرقان المذكور أنزله الله على موسى كما زعم شحرور. فما معنى (وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ) وهل هو وحي آخر؟. إن ذلك الفرقان لا يعني وحيا جديدا لأن القرآن الكريم قد حسم أمر الكتب المُنزلة وبيّن على من أنزلها في تلك الآية وغيرها. وعليه فقوله تعالى: (وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ

1 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: -64،65 .

) لا يعني ما زعمه شحرور وإنما يعني أن الله تعالى كما أنزل الكتب على أنبيائه فإنه أنزل أيضا أدلة مادية أيدهم بها وفرّق بها بين الحق والباطل، منها مثلا معجزة العصا ،وشق البحر، وإبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى وغيرها. وهذه المعجزات هي من الفرقان الذي أنزله الله تعالى على أنبيائه ونصرهم به على أعدائهم ،وأقام بها الحجج الدامغة على صدقهم.

وأما احتجاج شحرور بالآية الثانية،(وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ [البقرة : 53]) ، فهي لا تؤيد زعمه، وهو احتجاج متهافت بلا شك. وهي تندرج ضمن الآية السابقة، فالله تعالى أنزل على نبيه موسى عليه السلام الكتاب ،وأتاه أيضا أدلة مادية معجزة أجراها على يديه ونصره بها على فرعون وحزبه. منها معجزة العصا، وشق البحر، وبها فرّق الله بين الحق والباطل، ونصر المؤمنين على الكافرين، وذلك هو الفرقان.

واضح من تلك الآيات أن الفرقان الذي أتاه الله تعالى لنبيه موسى عليه السلام هو المعجزات التي أيده ونصره بها، وليس وحيا جديدا منفصلا عن التوراة كما زعم شحرور. ومع ذلك فإن معنى الفرقان قد يعني الوحي فقط، كما في قوله تعالى : (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا([الفرقان : 1- 5).وقد يتسع معناه ليشمل الوحي والمعجزات معا، بدليل قوله تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاء وَذِكْراً لِّلْمُتَّقِينَ [الأنبياء : 48]).فالله تعالى أتاهما الفرقان، وفي كل الحالات فإن معنى الفرقان المُنزل على الأنبياء يعني الوحي، أو المعجزات، أو هما معا، لكنه لا يعني إنزال وحي جديد منفصل عن الكتاب المنزل.

وأما الآية التي استشهد بها شحرور فيما قاله عن القرآن والفرقان، وهي قوله تعالى: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ [البقرة : 185]) ، فهي تنقض زعمه ولا تؤيده، لأنها وصفت القرآن بأنه هدى للناس، وتضمن أدلة وبراهين وبينات واضحات توصل الناس إلى الحق وتُنير لهم الطريق ويُفرقون بها بين الحق والباطل. فعبارة " الفرقان " لم تأت معطوفة على القرآن كما زعم شحرور وإنما جاءت الجملة كلها (هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ [البقرة : 185]) مُبينة ومفسرة وواصفة للقرآن. وهذا يعني أن من صفات القرآن الأساسية انه فرقان، ومُتضمن للفرقان، وهذا يعني أن القرآن هو الفرقان،

والفرقان هو القرآن بدليل ما قلناه وبقوله تعالى: ((تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ([الفرقان : 1- 5).وبذلك يتبين بطلان زعم شحرور في قوله بأن الفرقان غير القرآن.

وبما أن الأمر كما بيناه فقول شحرور بأن ((آيات الفرقان في سورة الأنعام ليست مكيةً، فهنا أخبرنا أن الفرقان أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في معركة بدر "في رمضان" لذا سمي بيوم الفرقان بقوله: (وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان) الأنفال 41) [1]؛ فهو زعم باطل قطعا، لأن تفسيره للآية لا يصح كما بيناه أعلاه من جهة؛ وأن ربطه بين تفسيره ومعركة بدر باطل من جهة أخرى.لأن آية (وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [الأنفال : 41])، تتعلق بمعركة أحد وفيها انتصر المسلمون على مشركي قريش نصرا مُؤزرا ،سماها الله تعالى يوم الفرقان، وفيه فرّق الله تعالى بين الحق والباطل، ولا علاقة لها بتفسيره المتهافت لمعنى الفرقان الوارد في الآية السابقة .

النموذج السادس: يقول شحرور عن محتويات القرآن حسب فهمه الزائف لمعنى القرآن: (ما إذا نظرنا إلى محتويات القرآن فنرى أنه يتألف من موضوعين رئيسيين وهما: 1– الجزء الثابت (بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْح مَّحْفُوظٍ [البروج: 21 - 22) وهذا الجزء هو القوانين العامة الناظمة للوجود كله ابتداء من خلق الكون (الانفجار الكوني الأول، وفيه قوانين التطور "الموت حق" وتغير الصيرورة "التسبيح" حتى الساعة ونفخة الصور والبعث والجنة والنار. وهذا الجزء لا يتغير من أجل أحد وهو ليس مناط الدعاء الإنساني، وإن دعا كل أهل الأرض والأنبياء لتغييره فلا يتغير، وهذا الجزء العام هو الذي تنطبق عليه عبارة (لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ [الكهف : 27]) .

2 – الجزء المتغير من القرآن: وهذا الجزء عبر عنه بأنه مأخوذ من أمام مبين في قوله { إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ [يس : 12] }.
فالإمام المبين يحتوي على شقين:

أ – أحداث وقوانين الطبيعة الجزئية: مثل تصريف الرياح واختلاف الألوان وهبة الذكور والإناث والزلازل والطوفان وهي قابلة للتصريف،

1 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: -65 .

وغير مكتوبة سلفاً على أي إنسان وغير قديمة. فمثلاً القانون العام في اللوح المحفوظ يقول: إن "الموت حق"، ولكن الأحداث الجزئية في الطبيعة يمكن أن تسمح بوجود ظواهر تطيل الأعمار وظواهر تقصرها. فالتصريف هو بطول العمر وقصره، وليس بإلغاء الموت. فأحداث الطبيعة الجزئية أطلق عليها مصطلح آيات الله { وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ [الروم : 22]} ، { تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ [الجاثية : 6]}. فآيات الله تختص بظواهر الطبيعة وقد جاءت في الكتاب في مصطلح "كتاب مبين" في قوله { وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ [الأنعام : 59] } . وهذه الأحداث ليست مبرمجة سلفاً وليست قديمة. ... أفعال الإنسان الواعية: وهو ما نسميه القصص ...)[1].

أقول: ذلك القول باطل جملة وتفصيلا، صاحبه جاهل جهلا مركبا، أو مُحرف صاحب هوى مُصر عليه . وبيان ذلك أولا، إن شحرورا زعم ذلك بناءً على تفريقه بين القرآن والكتاب ، وموقفه هذا باطل قطعا، كما بيناه سابقا، بأن القرآن ، والكتاب، والذِكر ، والفرقان هي أسماء لمسمى واحد، هو الوحي الذي أنزله الله تعالى على نبيه الخاتم محمد عليه الصلاة والسلام. وبما أن الأمر كذلك فإن القرآن الكريم يتضمن كتاب الله، وهو كتاب مُحكم حكيم مُفصل مُبين ، لا يأتيه الباطل أبدا لا يتغير، وكله حقائق من جهة، وكل ما بناه شحرور على ذلك الزعم فهو باطل قطعا من جهة أخرى. ولا يتكون من جزأين : ثابت، ومتغير، كما زعم هذا الضال المحرف المُدلس، وإنما هو يتضمن مواضيع كثيرة كلها حق وثابتة موزعة على مواضيع أصول الإيمان، والأخلاق والعبادات،وآيات الآفاق والأنفس، وقوانين الكون والمجتمع، والقصص القرآني ، وغير ذلك.

ثانيا: إن الآية التي استدل بها شحرور على الجزء الثاني من القرآن الذي سماه : المتغير من القرآن حسب زعمه، هي ليست كذلك، ولا تتكلم عن القرآن الكريم كوحي وكتاب، وإنما تتكلم عن موضوع القضاء والقدر الذي كتبه الله تعالى في كتاب القضاء والقدر قبل أن يخلق الكون بكل كائناته. والآية تشهد بنفسها على كذب شحرور على القرآن وممارسته للتحريف مُتعمدا، لأنها صريحة بأنها تتكلم عن القضاء والقدر ولا تتكلم

1 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: - 73 – 74 .

عن القرآن اسما ولا مضمونا، فهي تقول: (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ [يس : 12])، وهذا المعنى نفسه ورد في قوله تعالى ويعني كتاب القضاء والقدر: (وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ [الأنعام : 59])،و(وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ [يونس : 61])،و(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ [سبأ : 3])،و( )،و(وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ [فاطر : 11])،و(مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ [الحديد : 22]) .

واضح من تلك الآيات أنها تتكلم عن القضاء والقدر الذي كتبه الله تعالى في كتاب قبل خلقه للكون بكل كائناته من جهة؛ وأظهرت أن شحرورا مُحرف مُتلاعب يُحرف القرآن الكريم تعمدا انتصارا لأهوائه من جهة ثانية.وبما أن الأمر كذلك، فكل ما قاله شحرور في تقسيمه للقرآن إلى جزأيّن وما بناه عليه ، فهو باطل قطعا ومن أوهامه وتحريفاته وأهوائه.

النموذج السابع: واصل الكاتب شحرور تحريفه المتعمد للقرآن الكريم ، فادعى أن القرآن هو الذي يُمثل الآيات البينات وحده،فقال: (لقد سمى الله سبحانه وتعالى آيات القرآن فقط بالآيات البينات دون أي شك وذلك بقوله: { وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ [يونس : 15]}.ونحن نعلم أن مجموعة هذه الآيات البينات هي الحقيقة (الحق) {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءهُمْ هَذَا

سِحْرٌ مُّبِينٌ [الأحقاف : 7]) . نستنتج أن القرآن هو مجموع الآيات البينات (يونس 15) وأن الآيات البينات هي الحق (الأحقاف 7))[1].

أقول: تلك المزاعم باطلة جملة وتفصيلا، وهي من أوهام شحرور وأهوائه وتحريفاته التي لا تكاد تنتهي، ولا أراد لها أن تنتهي. أولا، سبق أن بينا بطلان إنكاره وجود المترادفات في القرآن واللغة العربية من جهة، وبينا فساد وتهافت تقسيمه للقرآن إلى مجموعة كتب مستقلة من جهة أخرى. وعليه فإن الوحي الإلهي كله له عدة أسماء كالقرآن والكتاب، وهي أسماء لمسمى واحد، وهو كله آيات بينات مُحكمات مُفصلات لا توجد فيه متشابهات لأنه يفسر نفسه بنفسه. ولهذا وصفه الله تعالى بأنه كتاب مُحكم، فقال: (الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ [هود : 1]). وبما أن الأمر كذلك فالآيات التي استشهد بها على زعمه وهي قوله تعالى: (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَـذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ [يونس : 15]). فهي وصفت الوحي الذي أنزله الله على محمد بأنه آيات بينات واسمه القرآن الكريم. وهذا الوحي نفسه سمى نفسه في آيات أخرى كثيرة بالكتاب، والذِكر والوحي والقرآن كما بيناه سابقا بالأدلة القرآنية القطعية. فالوحي كله بكل أسمائه هو آيات بينات وليست خاصة بقسم منه اسمه القرآن كما زعم شحرور. بدليل أن ذلك الوصف ورد في آيات أخرى وُصف بها الوحي المنزل على النبي عليه الصلاة والسلام كله، وفي أخرى وُصف بها الكتاب. منها قوله تعالى: (وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلاَّ الْفَاسِقُونَ [البقرة : 99])،و( )،و(إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا **أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ** وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ **فِي الْكِتَابِ** أُولَـئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ [البقرة : 159])،و(وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَاماً وَأَحْسَنُ نَدِيّاً [مريم : 73])،و(وَكَذَلِكَ **أَنزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ** وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ [الحج : 16])،و(وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ **آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ** تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ [الحج : 72])، و{وَكَذَلِكَ **أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ** فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ

1 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: - 82 – 83 .

الْمُبْطِلُونَ بَلْ هُوَ **آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ** فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا **أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ** يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (العنكبوت : 47 - 51)}.

واضح من تلك الآيات أن زعم شحرور باطل قطعا، لأن صفة { آيات بينات }وصف بها الوحي الإلهي المُنزل على نبينا محمد عليه الصلاة، والسلام ووُصف بها أيضا باسم الكتاب وباسم القرآن. وأما الآية الثانية التي استشهد بها على زعمه من سورة الأحقاف فقد حرفها وتلاعب بها بالقص والحذف، وأخرجها من سياقها، وقوّلها ما لم تقل، وهي بتمامها تبدأ بالكتاب وتنتهي به ، وهي : { حم **تَنْزِيلُ الْكِتَابِ** مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ **آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ** قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً **وَهَذَا كِتَابٌ** مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ ([الأحقاف :1 - 12)}.

وبذلك يتبين بجلاء أن الوحي الإلهي بكل أسمائه، من قرآن ، وكتاب، وذِكر، وفرقان، هو آيات بينات ، وكله حق من أوله إلى آخره ، وبمحكماته ومتشابهاته، لأن القرآن كتاب مُحكم حكيم يُفسر نفسه بنفسه.فهو كله حق ولا متشابه فيه ككتاب واحد مُحكم مُبين.وهذا ينقض مزاعم شحرور وأوهامه وأهوائه وتحريفاته المكشوفة.

النموذج الأخير- الثامن- من تحريفات شحرور للقرآن الكريم-**:** زعم أن القرآن الكريم ليست له أسباب نزول، فقال: (ولهذا فإن القرآن ليس له

أسباب نزول وقد قال عنه إنه أنزل دفعة واحدة عربياً وفي رمضان (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ... الآية) {البقرة 185) }،و(إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ [القدر : 1])[1].

أقول: ذلك الزعم باطل قطعا، وشاهد على شحرور بتحريف القرآن والكذب عليه . لأن القرآن الكريم ليس هو جزءا من الوحي المُنزل على النبي محمد عليه الصلاة والسلام، وإنما هو اسم من أسمائه، فهو القرآن، والكتاب، والذِكر ،والفرقان كما بيناه سابقا بآيات كثيرة جدا، فلا نعيد بيانه هنا. وبما أن الأمر كذلك، فالقرآن له أسباب نزول بلا شك، بعضها سجله القرآن الكريم كقوله تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ [البقرة : 219])، وبعضها الآخر سجلته روايات الحديث والسيرة النبوية.

ومما يُبطل زعمه أيضا ويفضحه ، أن الوحي المنزل على نبينا محمد عليه الصلاة والسلام هو الذي أنزله الله تعالى مرة واحدة في رمضان إلى السماء الدنيا، ثم هذا الوحي بكل أسمائه أنزله الله تعالى مُفرقا على نبيه حسب الحوادث والظروف. وهذا الوحي هو نفسه القرآن ، وقد أنزله الله مُنجما بدليل قوله تعالى: (وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً [الإسراء : 106]).و(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً [الفرقان : 32]) . فالقرآن الكريم هو نفسه الوحي المُنزل، وهو الذي أنزله الله تعالى دفعة واحدة ليلة القدر، ثم أنزله مُفرقا. لكن العجب من شحرور المُحرف الذي تعمد التحريف والافتراء على القرآن الكريم دون حياء انتصارا لأوهامه وأهوائه!!.

وبذلك يُستنتج من تلك النماذج أن الكاتب محمد شحرور أوّل القرآن الكريم تأويلات تحريفية مكشوفة عن سابق إصرار وترصد انتصارا لأوهامه وأهوائه وطائفته. مارس ذلك عندما تكلم عن مكونات القرآن الكريم ومضامينه، وزعم أن القرآن ليس هو كل الوحي المنزل على النبي محمد عليه الصلاة والسلام؛ وإنما هو جزء منه، والباقي تُمثله كتب أخرى، هي الكتاب، والفرقان، والذِكر.زعم ذلك معتمدا على التعامل مع آيات القرآن الكريم بالانتقاء والإغفال ،والتأويل التحريفي، وقصها عن سياقها على طريقة " فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ [الماعون : 4]" ،و " لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ

1 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: 93 .

[النساء : 43] . وتلك الممارسات هي أدلة قطعية على بطلان مزاعمه ، وانه ليس باحثا موضوعيا، ولا طالبا للحقيقة، وإنما هو كاتب مُحرف وضال مُضل!!!!

ثانيا: تحريف شحرور لمعنى المُحكم والمتشابه :

لما كان شحرور قد انحرف من البداية في قراءته للقرآن الكريم، واعترف أنه لا يقرأه قراءة علمية، وإنما يقرأه قراءة ذاتية مُتعصبة لهواه كما بيناه سابقا؛ فإنه اعتمد لتحقيق ذلك على تحريف معنى مُحكمات القرآن ومُتشابهاته كما جاءت في القرآن ، وفسرها على مقاسه ليتسنى له ممارسة التأويل التحريفي للقرآن الكريم انتصارا لأوهامه وأهوائه.

من ذلك أنه قال: (عندما قال تعالى : (كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ [هود : 1]) لا يعني كل آيات المصحف وإنما يعني "مجموعة الآيات المحكمات" وعندما قال : (كتَاباً مُّتَشَابِهاً)(الزمر 23) فإنه لا يعني كل المصحف وإنما يعني "مجموعة آيات متشابهات"،)[1].

أقول: ذلك فهم زائف متهافت باطل، لا يقوله إلا جاهل، أو جاحد معاند، أو صاحب هوى. قاله شحرور تعمدا لغايات تأويلية تحريفية في نفسه. وبيان ذلك هو أن معنى عبارة" المتشابه في القرآن" ليس لها معنى واحد، وإنما لها أكثر من معنى يُحدده سياق الآية. لكن شحرورا لم يفرق بين ذلك لغاية في نفسه. لأن معنى قوله تعالى: (هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ **وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ** ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ [آل عمران : 7])، يعني أنه توجد في القرآن آيات متشابهات يحتمل تفسيرها مُنفردة أكثر من معنى، أي أن معانيها غير واضحة ولا بيّنة وتحتاج إلى آيات بينات مُحكمات تحدد معناها . وتلك المتشابهات تُقابلها آيات القرآن المُحكمات الواضحات البينات التي هي أم الكتاب، أي أصله الذي يُبين متشابهاته .

لكن معنى كلمة "المتشابه" في آيات أخرى يختلف تماما عن معنى "وأُخر متشابهات " ، من ذلك قوله تعالى: (وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ

1 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: 53 .

الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ **هَـذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً** وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ [البقرة : 25])،و(وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ **مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ** كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ [الأنعام : 141])،و(اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً **مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ** تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ [الزمر : 23]).

واضح من تلك الآيات أن معنى " المتشابه " لا يعني عدم وضوح معاني تلك الآيات وأنها تحتمل أكثر من فهم، وأنها تقابل الآيات المحكمات، إنها لا تعني ذلك أبدا وإنما هي تتكلم عن التشابه الموجود بين الأشياء من جهة الصفات التي تجمع بينها. كالتشابه الموجود بين رزق الدنيا والآخرة. وكالتشابه والاختلاف الموجود بين فواكه وثمار الدنيا. وكالتشابه بين آيات القرآن الكريم في نظمه وحلاوته ودقته وروحانيته. فتلك الآيات لا علاقة لها بقوله تعالى: (**وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ**) مُقابل " مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ" .لأن هذه المتشابهات هي الآيات التي يحتمل تفسيرها أكثر من معنى، مقابل الآيات الواضحات البيّن فهمها. وأما " المتشابه الموجود في الآيات السابقة، فلا يتعلق بصعوبة الفهم، وإنما يتعلق بالمتشابه الموجود بين الثمار على اختلاف أنواعها، والمتشابه الموجود بين آيات القرآن الكريم في نظمه وحلاوته ودقته وروحانيته.

وبذلك يتبين فساد وبطلان تأويل شحرور عندما قال: (كِتَاباً مُّتَشَابِهاً)(الزمر 23) فإنه لا يعني كل المصحف وإنما يعني ''مجموعة آيات متشابهات''،)[1]. إنه تأويل تحريفي، لأن قوله تعالى: " و(اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً **مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ** [الزمر : 23]). لا يتكلم عن آيات القرآن المُحكمات والمتشابهات، وإنما يتكلم عن بعض صفات القرآن بأنه متشابه وثنائي في نظمه وحلاوته ودقته وروحانيته. فانظر إلى تحريفات شحرور وتأويلاته الباطلة انتصارا لأوهامه وهواه.

وبما أن الأمر كذلك فالكاتب محمد شحرور حرف معنى كلمة" المتشابه" في القرآن ؛ وحرّف أيضا قوله تعالى : (كتاب أحكمت

---

1 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: 53 .

آياتـه) {هـود 1} بقولـه: " فهـذا لا يعنـي كـل آيـات المصـحف وإنمـا يعنـي ‘‘مجموعة الآيات المحكمـات’’). وتفسـيره هـذا باطـل قطعـا، قالـه جهـلا أو تعمدا لغاية في نفسه. وتفصيل ذلك هو أن قوله تعالى: (هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَـابِ **وَأُخَرُ مُتَشَـابِهَاتٌ فَأَمَّـا الَّـذِينَ فـي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْـهُ** ابْتِغَـاء الْفِتْنَـةِ وَابْتِغَـاء تَأْوِيلِـهِ وَمَـا يَعْلَـمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ [آل عمران : 7]). أنه يعني أن من القرآن آيـات مُحكمـات واضـحات بينـات المعـاني هـي الأصـل فـي فهمـه إليهـا تُرجـع الآيـات الغامضات. ومنه آيات أُخر متشابهات تحتمل أكثـر مـن معنـى وبردهـا إلـى المحكمات يتبين معناها الصحيح.

واضح من ذلك أن الله تعالى أخبرنا بأن في القـرآن آيـات مُتشـابهات فـي معانيها عندما تُقرأ منفردة، لكنها ليست كذلك، وستُفهم ويتبين معناها عنـدما تُـرد إلـى الآيـات المُحكمـات خاصـة والكتـاب عامـة. وهـذا هـو الـذي نفـاه شحرور، لكن القرآن نقض زعمـه وبـيّن تحريفـه، وأكـد أن القـرآن كتـاب مُحكم بكل آياته بقوله : (الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُـهُ ثُـمَّ فُصِّلَتْ مِـن لَّـدُنْ حَكِـيمٍ خَبِيرٍ [هود : 1]). وهذا المعنى أكده أيضا قوله تعالى: (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِـلُ مِـن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ [فصلت : 42]). فالقرآن الكريم كله كتاب مُحكم حكيم مُفصـل مُبـين، ولا يأتيـه الباطـل أبـدا، ولا توجـد فيـه آيات متشابهات، لأن الآية ذكـرت بوضـوح أن كـل آيـات الكتـاب محكمـات ككتـاب يُفسـر نفسـه بنفسـه، لأن معناهـا سيتضـح بإرجاعهـا إلـى محكمـات الكتاب لأنه مُحكم حكيم مُفصل مُبين يُفسر نفسه بنفسه.

وبـذلك يتبـين بطـلان زعـم شـحرور وتحريفـه لمعنـى المتشـابهات فـي القـرآن الكـريم، وعليـه سـيقيم قسـما كبيـرا مـن كتابـه" الكتـاب والقـرآن" وسيكون باطلا قطعا لأن ما بني على باطل فباطل بلا شك.

ثم أن شحرورا تابع تحريفه فقال: (1 – الكتاب المحكم أي مجموعة الآيات المحكمات، وقد أعطاها تعريفاً خاصاً بها هو أم الكتاب. {منه آيات محكمات هن أم الكتاب} وبما أن الكتاب هو مصطلح فقد عرف بمجموعة الآيات المحكمات، حيث أن هذا المصطلح جديد على العرب، فالعرب تعرف أم الرأس: ‘‘ضربه على أم رأسه’’ ولكنها لا تعرف أم الكتاب، لذا فقد عرفه لهم، ولمصطلح ‘‘أم الكتاب’’ معنى واحد أينما ورد في الكتاب، أي لا يمكن أن يكون لهذا المصطلح معنى حقيقي وآخر مجازي، بل معناه الوحيد هو ما عرف به، وهو مجموعة الآيات المحكمات. والآيات

المحكمات هن مجموعة الأحكام التي جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم، والتي تحتوي على قواعد السلوك الإنساني "الحلال والحرام" أي العبادات والمعاملات والأخلاق والتي تشكل رسالته.
2 – وإذا فرزنا مجموعة الآيات المحكمات على حدة، فما تبقى من آيات الكتاب بعد ذلك هو كتابان أيضاً، وهما: الكتاب المتشابه، وكتاب آخر لا محكم ولا متشابه. وهذا الكتاب الآخر يستنتج من قوله تعالى (وأخر متشابهات) حيث لم يقل "والآخر متشابهات" فهذا يعني أن الآيات غير المحكمات فيها متشابهات وفيها آيات من نوع ثالث لا محكم ولا متشابهٍ)[1].

أقول: ذلك قول باطل وتافه متهافت، لا يقوله إلا جاهل أو صاحب هوى. إنه زعم باطل جملة وتفصيلا. أولا، إن القرآن الكريم مع تضمنه لآيات متشبهات فهي مُفسرة بمحكماته. وبذلك فهو كتاب مُحكم حكيم مُفصل مُبين لا توجد فيه آيات متشابهات أبدا. هو كذلك لأن القرآن يُفسر نفسه بنفسه. وهذه الحقيقية القرآنية الكبرى أشار إليها القرآن وأكدها بعدة آيات، منها قوله تعالى: (الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ [هود : 1])،و(طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ [النمل : 1])،و(لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ [فصلت : 42])،و(الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ [يونس : 1]).

وبما أن الأمر كذلك ، فإن الكتاب المُحكم هو القرآن كله، وليس هو " مجموعة الآيات المُحكمات" فقط كما زعم شحرور. لأن تلك الآيات التي هي أم الكتاب بمعنى أساس الكتاب واصله من جهة الإحكام والوضوح، قابلتها آيات متشابهات فيها غموض في الفهم وتحتمل أكثر من معنى من جهة؛ لكنها من جهة أخرى لا تحتمل وجوها متناقضة، لأن المتشابهات هي مُحكمات في ذاتها وليست متناقضة،وكتاب الله مُنزه عن التناقض لأنه كله حق وعلم، وإنما تحتاج إلى فهم صحيح سليم لفهم معانيها بإرجاعها إلى القرآن كله الذي سيُفسرها بنفسه.

ثانيا: ليس صحيحا أن (الآيات المحكمات هن مجموعة الأحكام التي جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم، والتي تحتوي على قواعد السلوك الإنساني "الحلال والحرام" أي العبادات والمعاملات والأخلاق والتي تشكل رسالته). وزعمه هذا باطل قطعا، وهو تحريف مُتعمد للقرآن الكريم ، لأن الله تعالى وصفه بأنه كله مُحكم حَكيم مُبين مُفصل، ولا يأتيه الباطل أبدا بدليل الآيات التي أوردناها أعلاه. ولاشك أن هذا القول بناه شحرور

---

1 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: 55 .

على تقسيمه الباطل والمُحرف للقرآن الكريم عندما قسمه إلى مجموعة كتب، وعلى تعريفه الباطل لمعنى النبوة والرسالة. وهذه المزاعم سبق أن بينا بطلانها فلا نعيده هنا، كما أننا أشرنا أيضا إلى أن هذا الشحرور سيبني على تقسيمه التحريفي للقرآن كثيرا من تحريفاته وأوهامه، منها كلامه أعلاه من جهة، وأنه سيزداد ضلالا وانحرافا وتحريفا للقرآن من جهة أخرى.

وبما أن الأمر كذلك، فالقرآن ككتاب واحد مُحكم حكيم لا يأتيه الباطل أبدا، ليس هو مجموعة كُتب، ولا منه آيات مُحكمات، وأُخر مُتشابهات، ولا قسم ثالث لا مُحكم ولا متشابهات، فكل هذه المزاعم باطلة، وإنما هو الكتاب، والقرآن والفرقان، والذِكر، مُحكم كله لا متشابه فيه ،ولا يأتيه الباطل أبدا .

وإنهاءً لهذا الفصل- الثاني- يُستنتج منه أن الكاتب محمد شحرور لم يدرس القرآن الكريم دراسة علمية، وإنما درسه دراسة ذاتية تحريفية عن سابق إصرار وترصد من جهة؛ ثم هجم عليه بالتحريف والتلاعب وضرب بعضه ببعض حسب هواه من جهة أخرى. فتوصل من ذلك إلى نتائج باطلة جملة وتفصيلا، كتقسيمه للقرآن الكريم إلى مجموعة كتب، وتعريفه الزائف لمعنى النبوة والرسالة. وتحريفه لمعنى المتشابهات في القرآن الكريم. وعليها أقام قسما كبيرا من كتابه" الكتاب والقرآن" وسيكون باطلا قطعا لأن ما بني على باطل فباطل بلا شك.

وتلك الممارسات هي أدلة قطعية على بطلان مزاعم شحرور ، وانه ليس باحثا موضوعيا، ولا طالبا للحقيقة، وإنما هو كاتب مُحرف وضال مُضل!!!! وهي شاهده عليه بالجهل والهوى،وأنه لم يدرس القرآن الكريم بعلم ونزاهة وحياد ، وإنما درسه بأوهامه وأهوائه لغايات تحريفية خطط لها سلفا.

*****

الفصل الثالث :
أباطيل شحرور في قوله بمادية المعرفة الإنسانية والجدل والتطور في الطبيعة والقرآن

أولا: نقض قول شحرور بأن العالم المادي هو أصل المعرفة الإنسانية
ثانيا: نقض قول شحرور بجدل التناقض في الطبيعة والقرآن
ثالثا : نقض تأويلات شحرور في قوله بالتطور العضوي

أباطيل شحرور في قوله بمادية المعرفة الإنسانية والجدل والتطور في الطبيعة والقرآن

زعم الكاتب محمد شحرور أن العالم المادي هو أصل المعرفة الإنسانية، وأن الكون بكل كائناته من جمادات وأحياء خاضع لجدل التناقض والتطور العضوي في الطبيعة والقرآن الكريم. فما تفاصيل زعمه؟، وهل تلك المزاعم صحيحة في ميزان العلم والشرع ، أم هي من تحريفات شحرور وأباطيله؟.

أولا: نقض قول شحرور بأن العالم المادي هو أصل المعرفة الإنسانية:

ادعى محمد شحرور أن المعرفة الإنسانية أصلها مادي، فقال: (من حق القارئ أن يسأل ما هو المنهج المتبع في هذا الكتاب، وكيف تم التوصل إلى هذه النتائج التي لا توجد في كتب السلف؟

إن النهج المتبع هو ما يلي:

-1 - العلاقة بين الوعي والوجود المادي هي المسألة الأساسية في الفلسفة، وقد انطلقنا في تحديد تلك العلاقة من أن مصدر المعرفة الإنسانية هو العالم المادي خارج الذات الإنسانية، ويعني ذلك أن المعرفة الحقيقية "غير الوهمية" ليست مجرد صور ذهنية، بل تقابلها أشياء في الواقع، لأن وجود الأشياء خارج الوعي هو عين حقيقتها، لذا فإننا نرفض قول الفلاسفة المثاليين: إن المعرفة الإنسانية ما هي إلا استعادة أفكار موجودة مسبقاً. وقد أكد القرآن الكريم هذا المنطلق بقوله{ وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ [النحل : 78]){النحل 78.}

– 2 - انطلاقاً من هذه الآية التي تقول: إن المعرفة تأتي من خارج الذات الإنسانية فإننا ندعو إلى فلسفة إسلامية معاصرة، تعتمد المعرفة العقلية التي تنطلق من المحسوسات عن طريق الحواس وعلى رأسها (السمع والبصر)، لتبلغ المعرفة النظرية المجردة، في ضوء المنجزات العلمية التي بلغتها الإنسانية في بداية القرن الخامس عشر الهجري، وندعو إلى رفض

الاعتراف بالمعرفة الإشراقية الإلهامية الخاصة بأهل العرفان وحدهم أو من يسمون "بأهل الكشف" أو "أهل الله.")[1].

– 3- الكون مادي والعقل الإنساني قادر على إدراكه ومعرفته، ولا توجد حدود يتوقف العقل عندها. وتتصف المعرفة الإنسانية بالتواصل، وترتبط بدرجة التطور التي بلغتها العلوم في عصر من العصور. وكل ما في الكون مادي. وما ندعوه الآن (فراغاً كونياً) هو فراغ مادي، أي أن الفراغ شكل من أشكال المادة. ولا يعترف العلم بوجود عالم غير مادي يعجز العقل عن إدراكه.

– 4- بدأت المعرفة الإنسانية بالتفكير المشخص المحدد بحاستي السمع والبصر، وارتفعت ببلوغها التفكير المجرد العام. لذا كان عالم الشهادة يعني في البداية العالم المادي الذي تعرف عليه الإنسان بحواسه، ثم توسع ليشمل ما أدركه بعقله لا بحواسه، وعليه فإن عالم الشهادة وعالم الغيب ماديان. وتاريخ تقدم المعارف الإنسانية والعلوم هو توسع مستمر لما يدخل في عالم الشهادة، وتقلص مستمر لما يدخل في عالم الغيب، وبهذا المعنى يظهر أن "علم الغيب" هو عالم مادي ولكه غاب عن إدراكنا الآن لأن درجة تطو العلوم لم تبلغ مرحلة تمكن من معرفته.

– 5 - لا يوجد تناقض بين ما جاء في القرآن الكريم وبين الفلسفة التي هي أم العلوم، وتنحصر بفئة الراسخين في العلم مهمة تأويل القرآن طبقاً لما أدى إليه البرهان العلمي، وذلك وفق قانون التأويل في اللسان العربي الذي شرحناه بشكل مستفيض في الباب الأول من هذا الكتاب، وفي ضوء أحدث المنجزات العلمية.

– 6 - إننا نتبنى النظرية العلمية القائلة: إن ظهور الكون المادي كان نتيجة انفجار هائل، أدى إلى تغير طبيعة المادة. ونرى أن انفجاراً هائلاً آخر، مماثلاً للإنفجار الأول في حجمه، سيؤدي حتماً إلى هلاك هذا الكون وتغيير طبيعة بالمادة فيه ليحل محله كون (عالم) مادي آخر. ويعني ذلك أن الكون لم ينشأ من عدم (مع التأكيد أنه لا قديم إلا الله)، بل من مادة ذات طبيعة أخرى. وأن هذا الكون سيزول ليحل محله كون آخر من مادة ذات طبيعة مغايرة، وهذا ما ندعوه "بالحياة الآخرة.")[2].

1 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: 42 .

2 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: 43 .

أقول: تلك الأقوال معظمها أباطيل ومزاعم باطلة وفيها تحريف وغش وخداع . لأنه أولا: إن المسألة الأساسية في الفلسفة ليست هي العلاقة بين الوعي والوجود المادي كما زعم الكاتب وإنما هي : هل الكون أزلي أم مخلوق؟؟. لأن معرفة ذلك هو المنطلق الذي تُبنى عليه النظريات العلمية والآراء الفلسفية المتعلقة بفلسفة الوجود. وبما أنه من الثابت شرعا وعلما أن الكون مخلوق وسائر إلى الزوال فإن الفلسفة المادية قد انهارت بعدما فقدت أصلها الأول الذي قامت عليه قديما وحديثا، لأنها كانت تقول بأزلية الكون. ولا يُمكن أن تكون علمية بعدما فقدت أصلها الأول . وبذلك فإن العلاقة بين الوحي والوجود المادي ليست كما زعم شحرور ولا غيره من الماديين ، لأنه أصبح من الضروري ومن الثابت شرعا وعلما أنه بما أن الكون مخلوق، وأنه يظم مخلوقات مادية وروحية ، فهو ليس ماديا محضا، ولا روحيا فقط، وإنما هو كون مادي روحي. فالإنسان مثلا ليس مادة، ولا روحا فقط، وإنما هو مادة وروح، ولا إنسان بلا روح، ولا إنسان بلا مادة. ولا يصح شرعا ولا علما القول بأن الروح هي انعكاس للمادة، لأن الله تعالى أخبرنا أن الإنسان مخلوق من البداية من تراب وروح، فهو كائن حي يجمع بين الروح والمادة ولا يُمكن أن يكون إنسانا إلا بهما، قال سبحانه: (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ [السجدة : 7])،و(فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ [الحجر : 29])،و(ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ [السجدة: 9]) .

وأما علما فبما أن الكون مخلوق ، ومن مخلوقاته الأجسام والأرواح والعقول كما هو مُشاهد وثابت علما، فهي بالضرورة مخلوقات أصلية وفي درجة واحدة،وليس بعضها تابع للأخر. فنحن أمام اختلاف تنوع وليس اختلاف تبعية. فنحن أمام أجسام مادية وأرواح وعقول. بدليل أن من حقائق العلم المعاصر ، أن الحياة لا تأتي إلا من الحياة من جهة؛ وأن كل محاولات العلماء لتخليق الحياة في المخابر العلمية باءت بالفشل الذريع من جهة أخرى. وهذا يعني قطعا بدليل العلم والشرع أن الروح والعقل ليسا انعكاسا للمادة، ولا المادة انعكاسا لهما، وإنما يعني أن الكون المخلوق مُكوّن من المادة والروح والعقل ابتداءً. وبهذا تسقط مزاعم شحرور فيما قاله عن المادية وتبعية الوعي لها.

ثانيا: إن مصادر المعرفة الإنسانية ليست محصورة في معطيات العالم المادي فقط، وإنما هي تنحصر عقلا وشرعا في: الوحي الصحيح، والعقل

الصريح- بديهيات العقول والفطرة- ، والعلم الصحيح. هذه هي مصادر المعرفة الصحيحة، ويجب التعامل معها بطريقة علمية بعيدة عن الأهواء والظنون والأوهام . وتلك المصادر أشار إليها الله تعالى بقوله سبحانه: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ [الحج : 8]) . فكل من يجادل في الله ، أو في مواضيع أخرى من دون أن ينطلق من تلك المصادر، أو من بعضها فهو لا يُجادل بعلم وإنما يُجادل بأوهامه وظنونه وأهوائه، وهذه ليست مصادر علمية ، ولا يعجز عنها أحد.وعليه فكل من يُجادل في الله ، أو في أي موضوع يجب عليه أن يجادل انطلاقا من الوحي، أو العقل البديهي ، أو العلم الصحيح، أو ببعضها، أو بها جميعا.

وبما أن الأمر كذلك، فلا يُمكن أن يتحصل الإنسان على المعرفة العلمية بحواسه والكون المادي الذي يراه فقط، وإنما ليتم ذلك لابد من وجود معرفة فطرية في الإنسان المتمثلة في الروح وصفاتها. فلو جردنا الإنسان من الروح وقدراتها فسيموت قطعا ولن يُحصّل معرفة أصلا. والإنسان المُعوّق ذهنيا مثلا ، لن يكون عالما. وهذا الأمر ثابت علميا فمن حقائق علم الوراثة أن كل كائن حي يولد بحقيبة وراثية تحمل برمجة وراثية هي التي تتحكم في صفاته الروحية والعقلية والجسدية، ولن يستطيع الانفلات منها، وهي معلومات مُسجلة في الصبغيات، فهي معلومات قبلية. ومن الصفات التي تحملها تلك البرمجة بدائه العقول والقلوب. فنحن نولد بصفات فطرية عقلية وقلبية، وجسدية ، كلها مُبرمجة في الشريط الوراثي لكل إنسان ، وبدونها لن يكون الإنسان إنسانا ، ولن يكتشف علما ولن يُنشئ حضارة. وعليه فليس صحيحا ما زعمه الشحرور، وإنما الصحيح هو أن الإنسان يولد بمعطيات واستعدادات ومعلومات قبلية، تظهر وتنمو تدريجيا حسب نموه وتفاعله مع محيطه الاجتماعي والطبيعي.

والشاهد على ذلك أيضا أننا لو أتينا مثلا بإنسان مُختص في علم الاقتصاد ولا يعرف شيئا عن علم الكيمياء مثلا، وطلبنا منه حل معادلاتها كيميائية ، فلن يحلها رغم سلامة عقله وحواسه وعلمه بالاقتصاد وإدراكه لما يُحيط به. إنه عَجز عن حلها لأنه ليست عنده معطيات ولا معرفة مُسبقة بذلك العلم. وهذا الأمر ينطبق على كل الناس في العلوم والأمور التي يجهلونها. وبما أن الأمر كذلك، فالإنسان الأول لم يكن في مقدوره أن يكتشف شيئا من الكون لو لم يزوده الله تعالى بمعطيات أولية، بها تمكّن من التعلم والتفاعل مع محيطه. وهذا الذي حدث لأبينا آدم عليه السلام، فبعدما

خلقه الله تعالى من تراب وسواه ونفخ فيه الروح علّمه وكلّفه، لقوله تعالى:(وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ [البقرة: 31-33).

ثالثا: إن استشهاد الشحرور بقوله تعالى: ({ وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ [النحل : 78]) هو استشهاد زائف وضده، وفيه تحريف وتلاعب وتغليط للقراء. لأن تلك الآية يجب فهمها فهما صحيحا أولا، ثم فهمها ثانيا على ضوء آيات أخرى، لأن القرآن الكريم كتاب مُحكم حَكيم يفسر نفسه بنفسة. لكن شحرورا أخذ جزءا من الآية وأغفل الباقي، فهي نفت أن يكون للإنسان عندما يولد أي علم بالواقع الذي وُلد فيه، فهو جديد بالنسبة إليه، وعندما يتفاعل معه يكتشفه ويتعلم، لكن هذا لا يحدث ولا يتمكن الإنسان من معرفته إلا بفضل القُدرات والغرائز والدوافع والمميزات والمعطيات التي يُولد بها، وهي صفات تتعلق بالروح والعقل والجسد. وهذا الأمر هو الذي أشارت إليه الآية بقولها: (وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ [النحل : 78]))، فلا بد من السمع والبصر والأفئدة ، ومن صفات الأفئدة أنها مقر للروح ، ومن خصائصها العقل والقوة.قال تعالى: (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ [الحج : 46]) ()، و(وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ [الأعراف : 179]).

كما أن ذلك الكاتب استشهد بتلك الآية حسب هواه من جهة، وأغفل آيات أخرى تنقض زعمه كله من جهة أخرى. منها قوله تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ [الأعراف : 11]) ، و(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ [الروم : 30])، و(وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ [الأعراف : 172])،و(وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ [البلد

: 10])،و(وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ([الشمس :7- 10] .

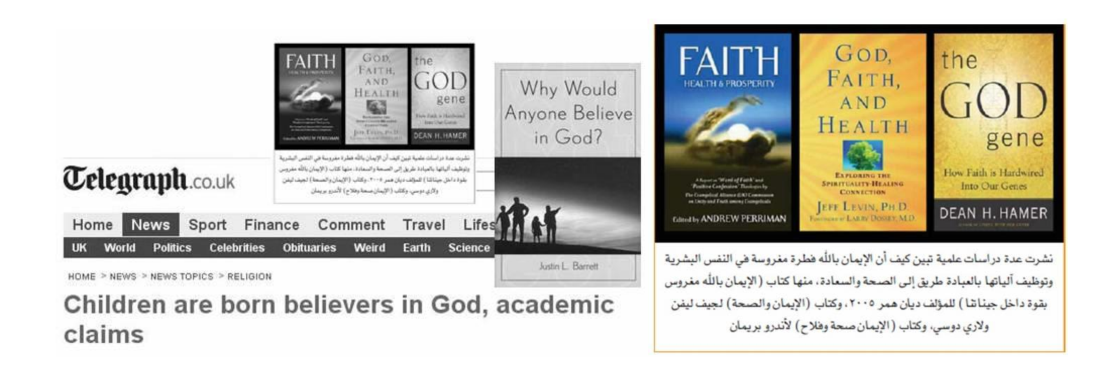
تلك الحقائق القرآنية أغفلها الكاتب شحرور لغايات في نفسه وهي تنقض مزاعمه من جهة، وتشهد عليه بالتحريف والتدليس وممارسته للانتقاء والإغفال في تعامله مع النصوص الشرعية من جهة أخرى. علما بأن تلك الحقائق التي أغفلها شحرور أثبتت التجارب العلمية المعاصرة جانبا منها. في مقدمتها أن الأطفال يُولدون وهم يؤمنون بالله بالفطرة والغريزة والطبيعة لا بالاكتساب. من ذلك مثلا أن خلاصة الأبحاث العلمية التي نشرت للمرة الأولى عام 2001م وأجريت على المخ بتقنية جديدة للأشعة السينية بكلية الطب بجامعة بنسلفانيا في فيلادلفيا بالولايات المتحدة دلت على أن: (("الإيمان بالله تصميم داخلي داخل المخ" .وبهذا لا يمكن لأحد التخلص منه إلا تعامياً عن الفطرة السوية التي جعلت الإنسان ينزع للتدين على طول التاريخ وتعطيلاً لقدرات هائلة وإمكانات بالغة التعقيد والتطور تمكنه من إدراك قدرة الله تعالى بالتفكر والاستقراء ... والتحليل والاستنتاج .. ويمكن وصف الإنسان وفق عبارات الدكتور / نيوبيرج نفسه بأنه: "موجه بقوة نحو التدين" ..وأن: "التجربة العملية لا يمكنها أن تخبرنا بطريقة مباشرة عن ذات الله ولكنها تخبرنا كيف خلق الإنسان لكي يعرفه ويعبده" .. وهى تخبرنا أن: "عبادة الله وظيفة والإيمان به مطلب طبيعي يماثل الطعام والشراب" ..وأن: "المخ البشرى ليس معداً تشريحياً ووظيفياً فحسب للإيمان بالله وعبادته وإنما هو أيضاً مهيأ عند قيامه بوظيفة العبادة لحفظ سلامة النفس والبدن بتوجيه العمليات الحيوية خلال منظومة عصبية وهرمونية متشابكة" .. وهكذا لم يعد الإيمان بالله تعالى في الدراسات العلمية الحديثة ضرباً من الفلسفة والخيال الشعبي كما كان يردد الملاحدة بلا مستند في أوائل القرن العشرين .فقد خاب ظنهم أن الإنسان قد صنع ديانته بعدما تأكد أن: "الله قد خلقه متديناً بطبيعته ومؤهلاً بقدرات كي يعرفه ويعبده"))[1].

ومنها أيضا مقال بعنوان : ((باحثون يتوصلون إلى أن الأطفال يولدون مؤمنين بالله))[2] .

---

1 فطرة الله التي فطر الناس عليها ، موقع منتديات حراس العقيدة ، على الشبكة المعلوماتية. وهشام المصري: حقائق هدمت الإلحاد من جذوره، موقع: http://www.eltwhed.com/vb/showthread.php?60055-.ومحمد دودح : الإيمان شفاء للنفوس والأبدان . موقع: https://www.eajaz.org/index.php/component/content/article/86-Twenty-eighth-issue/802-Faith

2 باحثون يتوصلون إلى أن الأطفال يولدون مؤمنين بالله ، موقع منتديات حراس العقيدة ، على الشبكة المعلوماتية.



وفيه أن ((الأطفال يولدون مؤمنين بالله ولا يكتسبون الأفكار الدينية عبر التلقي كما يقول الدكتور/ جاستون باريت - باحث متقدم في مركز علم الإنسان والعقل في جامعة أوكسفورد- حيث يقول: إن الأطفال الصغار لديهم القابلية المسبقة للإيمان بكائن متفوق لأنهم يعتبرون أن كل ما في هذا العالم مخلوق لسبب . ويقول هذا الباحث بأن الأطفال الصغار لديهم إيمان حتى إذا لم يتم تلقينهم ذلك عبر المدرسة أو الأهل ويضيف بأنه حتى إذا نشؤوا بمفردهم على جزيرة صحراوية فسيتوصلون للإيمان بالله .غالبية الأدلة العلمية في العقد الماضي أظهرت أن الكثير من الأشياء تدخل في البنية الطبيعية لعقول الأطفال مما ظننا مسبقاً . من ضمنها القابلية لرؤية العالم الطبيعي على أنه ذو هدف ومصمم بواسطة كائن ذكي مسبب لذلك الهدف .. إذا رمينا أطفالاً لوحدهم على جزيرة و تربوا بأنفسهم فسيؤمنون بالله ..اختبار نفسي تم القيام به على أطفال يؤكد بأنهم وبشكل فردى يؤمنون بأن كل شيء مخلوق لسبب محدد .ويضيف بأن ذلك يعنى بأن الأطفال يميلون للإيمان بالخلق وليس بالتطور بغض النظر عما سيقوله لهم المعلمون أو الأهل .ويقول الدكتور باريت بأن علماء الإنسان قد وجدوا في بعض الثقافات أطفال يؤمنون بالله مع أن التعاليم الدينية ليست في متناولهم.العقول الناشئة بشكل طبيعي للأطفال تجعلهم يميلون للإيمان بخلق إلهي وتصميم ذكي بدل التطور فهو غير طبيعي للعقول البشرية وصعب التقبل والاستيعاب. بقلم / مارتن بيكفورد . مراسل الشئون الدينية في صحيفة التلغراف))[1].

أما موقف شحرور المتعلق بالمعرفة الصوفية- العرفان، الإشراق، الغنوصية- فلاشك أنه موقف غير علمي عندما رفضها جملة وتفصيلا. والحقيقة أن، تلك المعرفة رغم أنها معرفة ضبابية ظنية ذاتية كثيرة الأوهام والأهواء ، والمخاطر والمزالق والخرافات وتنتهي بأصحابها إلى

1 باحثون يتوصلون إلى أن الأطفال يولدون مؤمنين بالله ، موقع منتديات حراس العقيدة ، على الشبكة المعلوماتية. و الإيمان_والعلم – الإيمان بخالق وبالغيب مغروز فينا بالأبحاث العلمية والمصادر، موقع: /https://muslims-res.com . وأحمد دعدوش: الإلحاد ووجود الله، موقع: https://al-sabeel.net .

الاعتقاد بخرافة وكفرية وحدة الوجود، وتعني أنه لا موجود إلا الله، وأن الكون هو الله والله هو الكون؛ فإنها من جهة أخرى يُمكن أن تكون معرفة صحيحة في مجالها الوجداني بشرط أن تُمحص بميزان الوحي والعقل والعلم، ولا تتقدم على هذه المصادر، وإنما يجب أن تبقى تابعة لها دائما، وإلا لن تكون معرفة علمية وإنما هي أوهام وظنون وأهواء غالبا.

رابعا: إن قول الكاتب محمد شحرور بأن العقل البشري لا تحده حدود يتوقف عندها ، هو زعم باطل لا يقوله إلا جاهل، أو جاحد معاند ، أو صاحب هوى. هو باطل لأن الإنسان مخلوق، له بداية وستكون له نهاية حتمية كالكون، والمخلوق محدود القدرات والصفات بالضرورة، ومن هذا حاله فلا يُمكن أن تكون قدراته العقلية ولا الجسدية ليست محدودة. والشواهد العلمية على ذلك كثيرة جدا، منها أن ما يعرفه العلماء عن الكون بعد عشرات قرون من البحث هو قليل جدا بالمقارنة إلى ما يجهلونه عنه . وأن العلم عجز عن علاج كثيرا من الأمراض، حتى سماها أمراضا مزمنة، كمرض السكر، والحساسية، والإيدز. وعندما اكتشف عالم الذرة لم يتمكن من معرفة كنهها وحقيقتها وتعامل معها ظاهريا، ونفس الأمر ينطبق على الجاذبية والكهرباء.

وأما قوله بأن العلم لا يعترف بوجود عوالم غير مادية، هو كلام باطل قطعا، وليس من العلم في شيء، ولا يقوله إلا جاهل، أو جاحد معاند، أو صاحب هوى. لأن العلم مع أنه يبحث في المادة، فهو لم ينكر وجود عوالم أخرى، ولا يوجد أي دليل ينفي وجودها. ولا يستطيع أن ينكرها بعدما تمكن من اكتشاف وجود عوالم كثيرة لا نراها بالعين المجردة، وحتى عندما نراها بالمجاهر الالكترونية نرى آثارها فقط، وأما هي فلا تُرى . وبذلك يكون العلم المعاصر بدأ من المادة الموضوعية وانتهى إلى عالم غير مرئي ، وأصبح يتعامل مع الأشباح، كتعامله مع الذرة ومكوناتها، والبكتريا والفيروسات. وبما أن ذلك حاله فلا يُمكن للعلم أن يدعي ما زعمه الكاتب شحرور، وإنما أقصى ما يقوله هو: إن وجود عوالم غير مادية هو أمر مُمكن، ولا يُمكن للعلم المادي أن يخوض فيها، ولا أن يثبتها ولا أن ينفيها.

وأما زعم شحرور بأن عالم الغيب والشهادة هما ماديان ، فهو زعم باطل قطعا شرعا وعلما. لأنه بينا سابقا أن الكون مُكون من المادة والروح، وعليه فالغيب الماضي والحاضر والمستقبل هو غيب مادي وروحي بالضرورة. وهما غيبان حقيقيان وليسا غيبيّن وهميين. وهذا

الغيب يُمكن للإنسان أن يكتشف جانبا منه، لكنه لن يستطيع أن يكتشف كل غيوب الماضي والحاضر والمستقبل بحكم محدودية قدرات الإنسان كما بيناه سابقا.

وأما قوله بأنه لا يوجد تناقض بين ما جاء به القرآن والفلسفة، فهو كلام عام وغير صحيح في معظمه، لأن الفلسفة ليست فلسفة واحدة، ولا مذهبا واحدا،وإنما هي فلسفات ومذاهب كثيرة متناقضة فيما بينها، ومخالفة للعلم والوحي والعقل في أكثر جوانبها. وقد أظهر العلم المعاصر بطلان معظم الفلسفات القديمة والحديثة، كالأفلاطونية، والأرسطية، والماركسية، والعلمانية، والحَداثية[1]؛ لأنها لم تقم على وحي صحيح، ولا على عقل صريح، ولا على علم صحيح. وليس في تلك الفلسفات إلا اتجاه واحد صحيح مع كثير من الدخن وهو الموافق للوحي والعقل والعلم. وهذا الاتجاه يُمثله العلماء الراسخون في العلم الصحيح القائم على الوحي والعقل والعلم. وهؤلاء لا يُمارسون تأويل القرآن وفق التأويل في اللسان العربي المُحرف، وإنما يُمارسون الفهم والشرح الصحيحيّن – وهو التأويل الشرعي- انطلاقا من القرآن وبلسانه ومعجمه الذي يتضمنه القرآن بداخله من جهة؛ وبلغة العرب التابعة للقرآن والموافقة له من جهة أخرى.

وأما زعم شحرور بأن الكون لم يُخلق من عدم وإنما خُلق من مادة سابقة مغايرة، فهو زعم باطل، وكلام بلا علم. لأن الخلق من عدم ليس مستحيلا، ولا مخالفا للشرع ولا للعلم، كما أن إنكار الخلق من عدم والقول بوجود مادة سابقة لخلق الكون هو شرك وقول بوجود أزلي مع الله. وهذا باطل قطعا بحكم أن الله تعالى خالق كل شيء، ولا شريك له. وبيان ذلك من الشرع والعقل والعلم، فأما شرعا فإن القرآن الكريم قد تكلم عن الخلق بشكل واضح، وحدد معناه. وتفصيل ذلك هو أن معنى عبارة " الخَلْق" ، مأخوذ من فعل: خَلَقَ ،يَخلُقُ ، وهو فعل من أفعال الله تعالى، فهو الخالق والخلاق ولا يتصف بفعل الخلق على الحقيقة إلا الله تعالى، لقوله تعالى: ((بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ)(يس: 81))، و((ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ)(غافر : 62)) ،و((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (فاطر: 3))، و((وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ [النحل : 20]))،و((وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ

1 عن ذلك مثلا أنظر: خالد كبير علال: جنايات أرسطو في حق العقل والعلم. وكتاب:مخالفة الفلاسفة المسلمين لطبيعيات القرآن الكريم.وكتاب: نقد العقل الملحد . وكتاب: وقفات مع أدعياء العقلانية.

يُخْلَقُونَ [الفرقان : 3])،و { أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ [الأعراف : 54] }.

واضح من تلك الآيات المتعلقة بفعل الخَلق أنه يعنى إيجاد الشيء بعد أن لم يكن موجودا ، إما من عدم أو من مادة كانت مخلوقة من قبل. بدليل قوله تعالى: ((إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (يس : 82))، و((الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ استوى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً)(الفرقان : 59))، فلم يقل أنه سبحانه خلقها من مادة كانت مخلوقة، لكنه عندما تكلم عن الكائنات الحية التي خلقها بعد خلق الكون من عدم كالحيوان والإنسان والجن فإنه أشار إلى انه خلقها من مادة كانت مخلوقة من قبل، فقال: ((وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)(النور : 45))، و((الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ (السجدة : 7))، و((وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ)(الرحمن : 15)). وفي الحالتين فإن الله تعالى قادر على الخلق من عدم، ومن غير عدم، ويبقى معنى الخلق هو إيجاد بعد عدم.

ونفس ذلك المعنى نصت عليه معاجم اللغة، ، منها قول ابن منظور في لسان العرب: ((ومن صفات الله تعالى الخالق والخلاَّق ولا تجوز هذه الصفة بالألف واللام لغير الله عز وجل وهو الذي أَوجد الأَشياء جميعها بعد أَن لم تكن موجودة وأَصل الخلق التقدير فهو باعْتبار تقدير ما منه وجُودُها وبالاعتبار للإِيجادِ على وَفْقِ التقدير خالقٌ والخَلْقُ في كلام العرب ابتِداع الشيء على مِثال لم يُسبق إِليه وكل شيء خلَقه الله فهو مُبْتَدِئه على غير مثال سُبق إِليه أَلا له الخَلق والأَمر تبارك الله أَحسن الخالقين))[1].

وبما أن الأمر كذلك، فإن القرآن الكريم قد ذكر صراحة أن الله خلق الكون ، ولم يقل أبدا أنه خلقه من مادة سابقة، وإنما خلقه ابتداء من دون مادة، أي أنه خلقه من عدم . كما أنه لم يقل أنه خلقه من ماء أبدا، ولا له علاقة بالماء الذي عليه العرش، وإنما خلقه خلقا خاصا ومر في مراحل دامت مُددا طويلة .

وأما عقلا ، فإنه لا يُوجد أي مانع عقلي يمنع من أن يخلق الخالق مخلوقاته من عدم ،فهو أمر مُمكن وليس مُستحيلا . وبما أنه هو الخالق ،

1 ابن منظور الإفريقي : لسان العرب ، ج 2 ، ص: 171 .

وعلى كل شيء قدير ، فإنه بالضرورة قادر على أن يخلق من عدم ومن غيره ،وإلا ما كان خالقا . وهذا ليس أمرا خرافيا ، بل أنه أمر معقول وعادي تماما وطبيعي جدا بأن يكون الخالق قادرا على الخلق من عدم ،وإنما الخرافة هي القول بأن المعدوم يخلق نفسه ، أو أن المخلوق قادر على أن يَخلق من عدم . لكن الأمر مُختلف تماما بالنسبة لله تعالى، فإنه سبحانه قادر على الخلق من عدم، و إلا ما كان خالقا .

وأما علماً ، فإن العلم المعاصر كما أنه قال بخلق العالم وعدم أزليته، فإن فكرة الخلق من عدم-أي من لاشيء- أصبحت هي أيضا لها مكانتها في علم الفيزياء الحديثة، وعنها يقول الفيزيائي منصور حسب النبي :((وياليتها من نتيجة مذهلة يتحدث عنها علماء الفيزياء الآن ، بعدما كانوا قديما يقولون: إن المادة والطاقة لا تفنى ولا تُستحدث ،وهذا صحيح طبعا في طور التسخير-أي بعد الخلق- ، أما في طور الخلق الإلهي فهناك قانونان، أحدهما: كن فيكون من جهة ، والخلق من عدم من جهة أخرى)) .والخلق من عدم لا يحتاج مطلقا إلى زمن سابق لأن الزمان هنا هو افتراض ذهني لا وجود له فيزيائيا عند بداية الخلق ، و هو ما يُسمى في الفيزياء الحديثة بأنه ((قفزة كمية في الزمكان دون حاجة لمادة أو طاقة))[1].

وقال أيضا: أنه يجب التمييز بين الخلق من عدم بلا زمن ،والخلق بالأمر الإلهي المُسخر بقوانين ثابتة ، وهو الخلق من مادة سابقة , والخلق الأول لا يتم إلا بـ: كن فيكون ،ولا يحتاج لزمان ولا لمادة ، ولا لطاقة . فهو خلق من لا شيء في لا زمن ،وعندما يُوجد هذا النوع من الخلق يصبح خاضعا للنوع الثاني من الخلق الذي هو في طور التسخير الخاضع –في المكان والزمان- لمقادير محددة ثابتة يدرسها العلماء . وقال أحد كبار الفيزيائيين: ((إن لحظة الانفجار العظيم لا تخضع لقوانيننا العادية الفيزيائية ، لأنها تُوحي لنا بالخلق من عدم))[2] .

وذكر الفيزيائي محمد باسل الطائي أن خلق الكون لا يخضع للقانون الأول للديناميكا الحرارية الذي يقول: إن المادة لا تفنى ولا تستحدث من عدم[3]. لأن هذا القانون لا يتعلق بالخالق، ولا ببداية الخلق من عدم، و((هذا القانون صحيح في جميع الحالات إلا في لحظة واحدة هي اللحظة الأولى

1 منصور حسب النبي : الزمان بين العلم و القرآن ، ص: 123، 124 ، 126 .

2 نفس المرجع ، ص: 128 .

3 محمد باسل الطائي: خلق الكون بين العلم والإيمان ، دار النفائس ، بيروت ، 1998، ص: 102 .

لخلق الكون . في هذه اللحظة بالذات تم خرق هذا القانون ... وهذا ما تقرره الفيزياء المعاصرة ... إذن فالخلق حصل من عدم محض ...))[1]. فهو قانون يتعلق بالكون بعد خلقه ومحكوم به. فكان هذا القانون من المخلوقات، يخص المخلوق لا الخالق، فلا الإنسان ولا مخلوق آخر يستطيع أن يخلق شيئا ، وإنما الخالق هو الوحيد القادر على الخلق. وهذا القانون شاهد قطعي على أن الكون خلقه الخالق من عدم. لأن القانون يقول بأن المادة لا تُستحدث من عدم بالنسبة للإنسان في تعامله مع المادة، فهو لا يستطيع أن يفنيها ولا أن يستحدثها أو يخلقها من عدم، لكن بما انه من الثابت علميا أن الكون خُلق من عدم عندما حدث الانفجار الكبير والذي بدأ من الصفر[2]، فهذا يعني أن الخالق سبحانه وتعالى خلق الكون من عدم، ولم يخلقه من مادة موجودة مسبقا.

وتجب الإشارة هنا إلى أن القول بأن الكون خُلق من عدم لا يعني أن العدم خلق نفسه فأصبح موجودا، فهذا مستحيل قطعا لأن العدم لا شيء، واللاشيء يستحيل أن يصبح شيئا بنفسه، وإنما المقصود أن الخالق عز وجل هو الذي خلق الكون من عدم. بمعنى أنه سبحانه أوجده بقدرته وأمره من عدم فأصبح شيئا. وبذلك يظهر بطلان زعم شحرور بأن الكون لم يُخلق من عدم وإنما خُلق من مادة سابقة مغايرة.

وبذلك يتبين مما ذكرناه بطلان زعم محمد شحرور بأن العالم المادي هو أصل المعرفة الإنسانية، وإنما الصحيح هو أن الكون مادي وروحي وعقلي معا. فالعِلم الإنساني أصله من المادة والروح والعقل، ولا إنسان بلا روح، ولا إنسان بلا مادة، وإنما هو روح وجسد، وليس هو روح لا جسد، ولا هو جسد لا روح.

ثم أن شحرورا واصل كلامه عن المعرفة الإنساني، فكان مما قاله: (وبما أن فهم الإنسان للحقيقة هو فهم نسبي دائماً له علاقة بتطور المعارف والأرضية المعرفية للإنسان فقد لزم أن تصاغ الحقيقة بلغة إنسانية مطواعة لهذا الفهم النسبي عن طريق التشابه في الصيغة الثابتة. واللسان العربي في بنيته ومفرداته يحمل هذه الخاصية "التشابه" بوضوح، هذا أحد وجوه أصالة هذا اللسان، ولهذا كان اللسان العربي هو الوعاء الذي حمل مطلق الحقيقة ونسبية الفهم الإنساني. ففي الصياغة القرآنية العربية تظهر قمة الجدل الداخلي بين الحقيقة المطلقة للوجود والفهم النسبي الإنساني لهذا

---

1 محمد باسل الطائي: خلق الكون بين العلم والإيمان ، دار النفائس ، بيروت ، 1998، ص: 102 .

2 محمد باسل الطائي: خلق الكون بين العلم والإيمان ، دار النفائس ، بيروت ، 1998، ص: 96 ، 100 وما بعدها.

الوجود في مرحلة ما، وفي هذا المعنى تكمن قمة إعجاز القرآن للناس جميعاً، على اختلاف عصورهم واختلاف مداركهم تبعاً لاختلاف أرضياتهم المعرفية)[1] .

أقول: ذلك القول باطل في معظمه، لا يقوله إلا جاهل، أو صاحب هوى، وهو هدم للعقل والوحي والعلم، **لأنه أولا،** إن نسبية الفكر والعلم لا تعني أن كل ما يصل إليه الإنسان ليس صحيحا، وإنما تعني أن ما يصل إليه بفكره وعلمه يتضمن الصحيح والخطأ ، الصدق والكذب، وبعضه يحتمل الأمرين ويبقى معلقا حتى يتم التأكد منه، إما أن يصح فيُقبل، وإما لا يصح فيُرفض. والشاهد على ذلك أن العلم المعاصر أكتشف حقائق كثيرة من العالم وتم التأكد منها، بالتجربة وتحويلها إلى تكنولوجيا مُطبقة في الواقع، ولو لم تكن صحيحة قطعا ما نجح تطبيقها وتحويلها إلى تكنولوجيا . كما انه اظهر عدم صحة كثير من النظريات القديمة والحديثة، كإثباته أن الكون مخلوق وليس أزليا، وأن الأرض متحركة وليست ثابتة، وأنها كروية وليست مستطيلة ولا مربعة.

وبما أن الأمر كذلك، فلا يُمكن أن تتغير الحقائق العقلية والشرعية والعلمية التي تم التأكد منها، فهي لن تتغير إلى الأبد، وإنما تتغير النظريات والفهوم المطروحة التي لم يتم التأكد من صحتها، إما بالرفض أو بالقبول. كما أن اكتشاف حقائق علمية جديدة لا ينفي الحقائق السابقة، وإنما يؤدي إلى تراكم الحقائق العلمية يوظفها الإنسان لفائدته ولتطوير العلم أيضا. وعليه فقول شحرور بأن فهم الإنسان للحقيقة نسبي دائما هو قول باطل قطعا، وشاهد عليه بالجهل أو بالهوى. فلو كان الفكر والعلم كما زعم لما قامت للفكر ولا للعلم قائمة. ومن الثابت قطعا أن كل العلوم تقوم على قطعيات تم التأكد منها ، ولولاها ما حقق الإنسان الانتصارات العلمية الحديثة في مختلف مجالات العلوم . وتطور الأفكار والعلوم لا ينفي الحقائق وإنما يُثبت صحيحها ويُبطل سقيمها.

ثانيا: إن اللغة البشرية هي وسيلة للكتابة والعلم تحمل المطلق والنسبي معا، وليست هي التي جعلته كذلك، وإنما حسب المعطيات والحقائق التي توصل إليها الإنسان من جهة؛ كما أن الوحي الإلهي من جهة أخرى هو حقائق كله وليس نسبيا ، ويمكن أن يأتينا بأي لغة اختارها الله تعالى، فهو

---

1 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: -72 – 73 .

ليس خاصا باللغة العربية دون غيرها من اللغات، لأنه سبحانه قد أنزل كتبا بلغات أخرى. فكل لغة يُمكنها أن تحمل كلام الله وفهوم البشر له. كما أن فهمنا لكلام الله ليس نسبيا دائما كما زعم شحرور، فهو زعم باطل قطعا. لأن فهمنا لقطعياته ومحكماته هو فهم مُطلق وليس نسبيا، بمعنى أنه فهم حقيقي ثابت مؤكد لا يتغير، ولا يحتمل فهما مناقضا له. من ذلك فهمنا لأصول الإيمان والإسلام: الإيمان بالله، واليوم الآخر، والنبوة، واليوم الآخر، والجنة والنار، والصلاة، ، والزكاة، والحج، والربا، والصدق والكذب، والوحي. وأما فهمنا للمتشابهاته فهو تابع للمحكمات، والقرآن قد فسره ، لأنه كتاب مُحكم حَكيم؛ وإنما يتطلب منا الفهم الصحيح لها من جهة، كما أن فهمها الصحيح من جهة أخرى لا يُمكن أن يكون مناقضا ولا مخالفا لمحكمات القرآن. فإن أوصلنا فهمنا إلى ذلك، فهذا دليل قطعي على فساده وتهافته، وليس دليلا على تطور حقائق الشرع كما زعم شحرور.

وإنهاءً لما ذكرناه يُستنتج منه أن أصل المعرفة الإنسانية ليس ماديا فقط كما زعم محمد شحرور، وإنما هو مادي وروحي وعقلي معا.ولا يُمكن أن تكون تلك المعرفة مادية فقط، وإنما هي بالضرورة يجب أن تكون مادية وروحية وعقلية. وهي معرفة قائمة على المطلق والنسبي معا، فلا هي مطلقة كلها، ولا هي نسبية كلها. بمعنى أنها معرفة قائمة على الحقائق والقطعيات ،ولا يُمكن أن تتغير فتنقلب باطلة من جهة؛ وقائمة أيضا من جهة أخرى على المعطيات الظنية والراجحة، والضعيفة، ويُمكن أن تُثبت فتصبح قطعية ، أو تُنقض فيقوم الدليل على بطلانها.

ثانيا: نقض قول شحرور بجدل التناقض في الطبيعة والقرآن:

زعم الكاتب محمد شحرور أن الكون والقرآن قائمان على جدل التناقض. وعندما أورد قوله تعالى:(وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ [الأنعام : 141])؛ قال: (جاءت هذه الآية لتبين أن الحركة الجدلية التي يكمن فيها سر التطور هي القانون الناظم لاختلاف الأنواع في النباتات، ويؤدي ذلك إلا الاختلاف في المأكل، لذا قال: {والنخل والزرع مختلفاً أكله}وحين ذكر الزيتون والرمان بصيغة متناقضة بقوله: {متشابهاً وغير متشابهٍ} بين أن الزيتون والرمان تولدا نتيجة لطفرة نباتية، أي أنه كان هناك نبات حصل فيه صراع عنصرين متناقضين داخلياً أدى إلى طفرة نتج عنها الزيتون والرمان، وكل واحد

منهما {متشابه وغير متشابه}. أما قوله تعالى: {جناتٍ معروشاتٍ وغير معروشات} فهنا ذكر إحدى مراحل التطور النباتي بشكل عام. بدأت الحياة النباتية بالنباتات الزاحفة "معروشات"، وتطورت إلى نباتات قائمة "غير معروشات"، فكان تطور النبات من نباتات زاحفة إلى نباتات غير زاحفة "قائمة بذاتها" نتيجة لصراع عنصرين متناقضين داخلياً حيث أن صيغة "هو وغير هو" هي صيغة التناقض. وهكذا نرى أن المتناقضات الداخلية المذكورة في الآيات السابقة هي السر الكامن وراء التطور في الكائنات الحية النباتية "والحيوانية" منذ بداية الحياة على الأرض. وهكذا أيضاً نفهم قوله تعالى: (مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً [نوح :13-14])}[1].

أقول: تلك المزاعم زائفة متهافتة ، أقامها على مفهوم باطل للثنائية والتنوع في الكون، فجاء معظم ما قاله عن حكاية الجدل في الكون باطل ويشهد عليه بالتحريف والتلاعب انتصارا لهواه. وتفصيل ذلك أولا ، يجب أن نُعرّف معنى التناقض، ونفرّق بينه وبين التنوّع. والتناقض هو{ اختلاف قضيتين بالسلب ، والإيجاب بحيث يقتضي لذاته أن تكون إحداهما صادقة والأخرى كاذبة }[2]. بمعنى آخر أنه اختلاف قضيتين بالنفي والإثبات. وعليه فنحن هنا أمام نوعيّن من الاختلاف، هما: اختلاف تناقض، وهو المُعرّف أعلاه، واختلاف تنوّع، لا يقوم على النفي والإثبات، وإنما يقوم على التنوع، ويشمل قضيتين فأكثر.

وبما أن الأمر كذلك فإن الكون لا يقوم على التناقض كما زعم شحرور والظاهر أنه لا يعرف المعنى الصحيح للتناقض، والحقيقة أن الكون يقوم على الثنائية والتنوع والانسجام والتكامل والتناغم والتوازن المدهش بين الكائنات الجامدة من جهة، وعلى الصراع والتعاون والانسجام والتكامل بين الإنسان وأخيه الإنسان وبين الحيوانات فيما بينها من جهة أخرى. والحقيقة أن الثانية التي نراها في الكون هي أن التغيرات والتحولات التي تطرأ على الكائنات الحية كلها محدودة وتتحرك في إطار ثابت لا يُمكن أن تتجاوزه، وتبقى كذلك إلى أن يموت الكائن الحي، ثم تتكرر العملية مع أفراد أخرى من نفس الأنواع إلى أن ينتهي الكون . فنحن أمام تحولات في إطارات ثابتة ، فكل كائن حي يولد ثم يموت، ثم تتكرر العملية، فنحن لسنا أمام تحولات تُطور الأحياء عضويا إلى كائنات جديدة، وتبقى العملية مُستمرة، وهذه

1 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: 229 .

2 السيوطي: معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم ، مكتبة الآداب، القاهرة، 2004 ، ص: 141 .

الآلية لا وجود لها في الكون. وبما أننا أمام تحولات في إطارات ثابتة لنفس الأنواع، فزعم شحرور كله باطل، لأنه لا يوجد تناقض بين الأحياء، ولا تطور مُستمر يُطورها إلى أحياء جديدة .

ثانيا: إن القول بأن التغيرات والتحولات في الطبيعة تُؤدي إلى اختلاف أنواع النباتات والحيوانات، هو زعم باطل وخطأ علمي فادح، لأنه من الثابت علميا أن كل نوع من أنواع الأحياء إلا وله برمجة وراثية يولد بها وتُوجه وتُسيّر كل أفراده ولا يُمكن إن تتغير إلى أن ينقرض الكائن دون أن يحدث فيه أي تطور عضوي يؤدي إلى تغير نوعه. وهذا الأمر ثابت بأدلة الحفريات والواقع والتجارب المخبرية، ليس هنا موضع تفصيله[1].

كما أن قول شحرور : { وحين ذكر الزيتون والرمان بصيغة متناقضة بقوله: {متشابهاً وغير متشابهٍ} بيّن أن الزيتون والرمان تولدا نتيجة لطفرة نباتية، أي أنه كان هناك نبات حصل فيه صراع عنصرين متناقضين داخلياً أدى إلى طفرة نتج عنها الزيتون والرمان، وكل واحد منهما {متشابه وغير متشابه} ، هو قول باطل قطعا، لأن الاختلاف بين الزيتون والرمان من جهة التشابه من عدمه ليس تناقضا، وإنما هو اختلاف تنوع لا اختلاف تناقض. وكل الثمار ليست متناقضة، وإنما هي متعددة الأنواع مع وجود التشابه، كالتشابه الموجود بين أوراق الرمان والزيتون،لكن الثمرات مختلفة شكلا وطعما. وهذا التنوع والتعدد ليس تناقضا، لأن التناقض هو اختلاف قضيتين أو أمرين بالإثبات والنفي.وهذا لا وجود له في الأشجار ولا الثمار، والموجود هو اختلاف تنوع وتعدد لا اختلاف تناقض. فمن الخطأ الفادح والجهل المركب القول بوجود تناقض جدلي في الأشجار،أو في الأحياء الأخرى.

كما أن التنوع في الثمار لا يعود إلى الطفرة كما زعم شحرور، فهذا زعم باطل ومُضحك تشهد عليه انه لا يعرف معنى الطفرة التي تصيب الخلايا. لأن ثمار كل نوع مرتبطة بالبرمجة الوراثية لكل نبات، ولا تتغير أبدا إلى أن يموت الفرد فتبقى في النوع، أو ينقرض النوع. وإما الطفرة فهي حالة مرضية تصيب الخلية تضرها ولا تنفعها وقد دلت التجارب المخبرية أن الطفرات تضر ولا تنفع، ولا يُمكن أن تُحوّل نوعا إلى نوع آخر في النباتات ولا الحيوانات. وتبين من دراسة الحفريات الحيوانية والنباتية أن تلك الأحياء عاشت آلاف وملايين السنين دون أن تتطور

1 عن ذلك أنظر : خالد كبير: نقض شجرة التطور العضوي بالقرآن الكريم وعلم الحفريات . وفضائح التطوريين. والكتابان متوفران إلكترونيا.

بالطفرات ولا بدونها. وقد فشلت كل التجارب المخبرية التي حاولت أحداث طفرات لتطوير النوع، كما حدث مع ذبابة الفاكهة، فباءت كلها بالفشل الذريع[1].

وأما قول شحرور: (وهكذا أيضاً نفهم قوله تعالى: (مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً [نوح :13- 14])}[2]؛ فهو أيضا زعم باطل قطعا، وتحريف مُتعمد للقرآن ، لأن الآية الثانية لم تتكلم عن التطور العضوي أصلا، وإنما ذكرت أن الله خلق الجنين البشري في مراحل في بطن أمه، ولم تقل أن الله طوّر الإنسان من حيوان مثلا. لأن الثابت شرعا أن أول إنسان وهو آدم عليه السلام خلقه الله تعالى خلقا خاصا من الطين ثم نفخ فيه من روحه، ولم يُطوره. كما أن قوله تعالى: { وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً }، لا يعني طوّركم أطوارا،وإنما خلقكم في مراحل في بطون أمهاتكم، وهي المذكورة في قوله تعالى: { ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ [المؤمنون : 14] }. علما بأن الخلق يناقض التطور العضوي المزعوم. لأن الخلق لا يُمكن أن يكون تطورا، والتطور لا يُمكن أن يكون خلقا كما سنبينه لاحقا.

وبما أن الأمر كذلك، فكل ما قاله شحرور عن تطور الكائنات الحية وصراع التناقضات الداخلية كلام باطل من أساسه وما هو إلا أوهام وأهواء من جهة، وتشهد عليه بالتحريف والجهل والتعصب للباطل من جهة أخرى.

ثم أنه قال: { والآن يمكن أن نلخّص القانون الأول للمادة وحركتها في هذا الكون كما يلي: إن قانون المتناقضات الداخلي "الثنائية في الشيء الواحد" يقوم على علاقة تجاذب وتنابذ "تناقض بين عنصرين مكونين لأي شيء مادي موجودين معاً في ذات الشيء" يؤديان إلى حركة ضمن الشيء نفسه ينجم عنها تغير شكل الشيء باستمرار.)[3].

أقول: ذلك القانون المادي المزعوم لا وجود له في الكون قطعا، وإنما هو قانون وهمي بناه شحرور وأمثاله من الماديين والشيوعيين على أوهامهم وأهوائهم ونزعتهم المادية. والحقيقة أن الكون لا يقوم على ذلك التناقض المزعوم، بل ولا وجود له أصلا كما بيناه سابقا؛ وإنما يقوم على الثنائية

---

1 عن ذلك أنظر : خالد كبير: نقض شجرة التطور العضوي بالقرآن الكريم وعلم الحفريات . وفضائح التطوريين. والكتابان متوفران إلكترونيا. و نقض خرافة التطور العضوي الموجه.

2 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: 229 .

3 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: 230 .

المنسجمة والمتناغمة والمتكاملة والمتعاونة، والتغيرات والتحولات البناءة التي تجعل الكون قائما ومتوازنا مدهشا في إطار ثابت لا يُمكن أن يتجاوزه من جهة، وتحولاته الدائمة ليست في حركة مُستمرة دائمة وإنما هي حركة تسير نحو الانحدار في إطار ثابت وليس مُستمرا من جهة أخرى. وهذه الظاهرة تخضع لها كل الكائنات الجامدة والحية، والمعروفة في علم الفيزياء بالأنتروبيا . بمعنى أن الكون كله يسير في إطار ثابت نحو الفوضى والاضطراب إلى أن ينتهي. وهذه الحقيقة كما ذكرها الشرع مرارا، ويراه الناس بأعينهم في الطبيعة فقد أثبتها العلم أيضا بدليل القانون الثاني للديناميكا الحرارية.

وتفصيل ذلك أن ((الكون يسير بوتيرة ثابتة نحو زيادة الانتروبيا- الفوضى، والتلف، والانهيار، والعشوائية- . ونحن نرى تأثير القانون الثاني حوالينا في كل شيء، فنحن نعمل بكل جد لكي نرتب غرفة وننسقها، ولكن ما أن نتركها لشأنها حتى تنتشر فيها الفوضى من جديد بسرعة وبكل سهولة حتى وان لم ندخلها، اذ سيعلوها الغبار والعفن. وكم نلاقي من الصعوبات عندما نقوم بأعمال صيانة البيوت والمكائن وصيانة أجسادنا ونجعلها في أفضل وضع ،ولكن كم يكون سهلا تركها للتلف وللبلى . والحقيقة هي أن ما يتعين علينا عمله هو لا شيء ، فكل شيء يسير ذاتيا نحو التلف ونحو الانهدام ونحو الانحلال والتفكك والبلى وهذا هو ما يعنيه القانون الثاني)).فعلم ((الفيزياء يؤكد لنا بأن جميع التغيرات والتحولات والتفاعلات الجارية في الكون منذ نشأته تسير نحو زيادة الانتروبيا، أي نحو زيادة الفوضى وزيادة التفكك والانهدام والانحلال، فكيف يمكن إذن أن يتم أي تطور نحو نظام أفضل واعقد وارقي ؟!...كيف يمكن هذا وفي ظل أي قانون ؟... والحقيقة أن القانون الثاني قانون شامل وقانون عام، ولعله أشمل قانون كوني على الإطلاق))[1].

ذلك القانون الفيزيائي الكوني الشامل ينص على أمرين أساسيين ينفيان التطور المزعوم، ويُثبتان الخلق: الأول هو أن الكون بكل ما فيه مخلوق وسائر إلى الزوال. الثاني: إن كل أنواع الأحياء بحكم أنها مخلوقة وجزء من الكون هي أيضا تعيش دورتها المحددة وفق برمجتها الوراثية والتي تنتهي بالضرورة إلى التدهور والفناء وفق القانون الثاني للديناميكا الحرارية. وبما أن الأمر كذلك فلا يُمكن لأي كائن حي أن يتطور إلى كائن

1 مناقضة علم الفيزياء لفرضية التطور، مدونة نسف الإلحاد ، موقع http://antishobhat.blogspot.com/، على الشبكة المعلوماتية . وهيثم طلعت : موسوعة الرد على الملحدين العرب ، ص: 294 . و موسوعة ويكيبيديا : نقد التطور ، على الشبكة المعلوماتية.

آخر، وإنما سيعيش وفق طبيعته ثم يموت .وهذا ينطبق على كل الأحياء، مما يعني قطعا أن كل كائن حي خُلق ولم يتطور، ولن يتطور، ولا يستطيع أن يتطور، ولا يريد أن يتطور لأنه خاضع لذلك القانون الفيزيائي الكوني. وليس صحيحا أن ذلك القانون لا ينطبق على الأحياء، فهذا زعم باطل ، لأن الثابت واقعا أن الأحياء هي أيضا تمر بدورة حياة تبدأ بالولادة وتنتهي بالشيخوخة ثم الموت مرورا بمراحل العمر الأخرى.

ونفس الأمر يحدث على مستوى الخلايا، فهي أيضا تخضع لذلك القانون، فتُصاب باللأنتروبيا ،فتتراكم بداخلها الطفرات التي تعجز عن إصلاحها ، وبتراكمها تضعف وتنهار إلى أن تموت، فيعجز الكائن الحي ويشيخ ويمرض إلى أن يموت. وذلك أن خلايا الأحياء بسبب الطفرات وغيرها تعرضها للانحطاط المعروف بـ " الانتروبيا الجينية " يحدث ذلك بوتيرة سريعة ، فزودها الله تعالى بخاصية الصيانة الداخلية[1]؛ وهي تعمل بنسبة تصحيحية عالية جدا، لكنها لا تعمل بنسبة 100%، فتتراكم بداخلها هذه النسبة الضئيلة من الطفرات تدريجيا حتى تنتهي بالكائن إلى الضعف والانحطاط والانقراض[2].وهذا يعني قطعا أن الطفرات لا يُمكنها أن تُطوّر الكائن الحي،وإنما تُضعفه وتدمره وتقتله.وهي بذلك تدمر أيضا حكاية الجدل والتطور المستمر!!

والشاهد على ذلك أيضا ما ذكره عالم الوراثة الأمريكي جون سانفورد في كتابه " الأنتروبيا الجينية وسر الجينوم" بأنه بغض النظر عن الطفرات التي تصيب الخلية أهي مفيدة –وهي قليلة جدا- أو ضارة- كثيرة جدا- فإن ذلك إن أبطأ تدهور الخلية فإنه لن يوقف انحطاطها وتدهورها[3]، لأن ظاهرة انحطاط مورثات الخلية وتدهورها تعمل على تآكلها وهذا ينطبق على جميع الكائنات الحية[4]. علما بأن الطفرات هي أخطاء في نسخ المعلومات بداخل الخلية تُصيب الحمض النووي وبتراكمها يتدهور ويفقد وظيفته في النهاية[5].

وانطلاقا من تلك المعطيات العلمية، فإن كل ما قاله شحرور عن حكاية جدل التناقضات في الطبيعة، وتأثيرها في تطور الأحياء والنباتات والكون، ما هو إلا مزاعم باطلة، ودعاوى فارغة ، ولا تتفق مع علم، ولا شرع، ولا عقل ، ولا واقع ، وما هي إلا أباطيل وأوهام وأهواء.كما أن وجود الثنائية

---

1 شون دويل: القضية العلمية ضد التطور،7/ يناير/ 2017 ، https://creation.com/scientific-against-evolution

2 ألياكس وليامز : الطفرات المفيدة حقيقة أم خيال ، https://creation.com/beneficial-mutations-real-or-imaginary-part-2 .و منى زيتون : الطفرة .. الآلية البديلة ، مدونة نقد التطور ، موقع Critique of Evolution .

3 دون باتن: علم الوراثة النباتي: التطور الداروينى مستحيل ، https://creation.com/geneticist-evolution-impossible

4 روبرت كارتر: الإنتروبيا الجينية والكائنات الحية البسيطة ، https://creation.com/genetic-entropy-and-simple-organisms

5 ديفيد كاتشبول: الوقت: لا يوجد صديق للتطور ، https://creation.com/time-no-friend-of-evolution

والزوجية والحركية في الكون بجماده وأحيائه ليست قائمة على التناقض، ولا على الاستمرارية، وإنما هي قائمة على التكامل والتناغم والتعاون جمعا بين التغير في إطار الثبات.

ثالثا : نقض تأويلات شحرور في قوله بالتطور العضوي:

عندما تكلم شحرور عن التناقض والاستمرارية في الطبيعة- وقد بينا بطلانهما- فإنه طبق زعمه على الكائنات الحية، وقال بتطورها العضوي، ثم ألحق بها البشر الأول، فقال: (قد ورد مصطلح البشر في الكتاب ليعبر عن الوجود الفيزيولوجي لكائن حي له صفة الحياة كبقية المخلوقات الحية وقد شرحت في القانون الأول للجدل كيف نمت الحياة وتطورت عن طريق البث الذي يحتوي على الطفرات الحياتية التي أدت إلى ظهور البشر وقد متميز البشر في الظهور ككائن حي مستقل في الفترة التي ظهرت فيها الأنعام { خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنْ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ [الزمر : 6]} (الزمر 6). ففي هذه الآية نلاحظ أن وجود الإنسان البشري قد تزامن مع ظهور الأنعام وقد شرحت في بحث مفردات الذكر معنى الإنزال والتنزيل. وكيف أن الإنسان في رحم الأم يمر بكل مراحل التطور التي مر بها وهي الظلمات الثلاث وهي المرحلة الحيوانية البحرية والمرحلة الحيوانية البحرية البرية والمرحلة الحيوانية البرية. وعندا شرح الكتاب إحدى مراحل خلق الإنسان بالمعنى العام وذلك بالمقارنة مع الجان قال: {ولقد خلقنا الإنسان من صلصالٍ من حمأ مسنون} (الحجر 26).)[1]. و(لقد تطور الإنسان من البشر وتميز من "بقية البهائم" بالربط الذهني بين الشيء وصورته وذلك من خلال صيغة لغوية)[2] .

أقول: ذلك القول باطل جملة وتفصيلا، وهو من أوهام شحرور وأباطيله وأهوائه، ومن تحريفاته وتدليساته وغشه وخداعه. ولا يقوله إلا جاهل ، او صاحب هوى مُصر على التحريف عن سابق إصرار وترصد. **وتفصيل ذلك أولا،** إن قوله بالتطور العضوي للكائنات الحية ومنها الإنسان هو زعم باطل قطعا قاله من دون أن يقدم ولا دليلا واحد يؤيده. كما أن القول بخرافة التطور هو كلام باطل قطعا بأدلة علم الحفريات والشرع، وعلم الوراثة والواقع ، والتجارب المخبرية من جهة، كما أنه لا يوجد ولا دليل واحد

1 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: 280 – 281 .

2 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: 280 – 281 .

صحيح يثبت خرافة التطور العضوي من جهة أخرى. وليس عند التطوريين إلا الأوهام والظنون ، والكذب والتحريف وتزوير الحفريات وإخفاء التي يعجزون عن تزويرها، ولو عندهم دليل واحد صحيح لأقاموا الدنيا ولم يُقعدوها. كما أن قوله بأن الطفرات الحياتية أدت إلى تطور الأحياء على الأرض هو كلام باطل ومُضحك وشاهد على جهل شحرور وكذبه على العلم والناس. لأن الطفرات يستحيل أن تُطوّر الأحياء، وهي أمراض تُصيب الخلايا فتضرها ولا تنفعها كما بيناه سابقا.

وأما الأدلة العلمية التي تنقض القول بخرافة التطور العضوي،وتُبطل مزاعم شحرور فهي كثيرة جدا، سبق أن فصلتها في بعض كتبي[1]، لكني أذكر منها هنا خمسة أدلة موجزة تجنبا للإطالة وتخفيفا على القارئ.

أولها: تبين من الحفريات المكتشفة أن الأحياء في العصر الكمبري- منذ نحو 550 مليون سنة وما قبله إلى نحو ثلاثة ملايير سنة ،لم تظهر من سلف واحد ولا كانت لها شجرة حياة تطورية كما يدعي التطوريون وبينوه في شجرتهم المزعومة- كما في الشكل الأول- ؛وإنما ظهرت متفرقة ومتعددة ومتنوعة ومنفصلة عن بعضها في شكل مجموعات إحيائية منتشرة في الأرض. و((يشكل الانفجار الكمبري حلقة رئيسية في تاريخ الحياة . وإذا كان التطور صحيحًا ، يتوقع المرء أن يبدأ السجل بنوع واحد من الحياة الحيوانية ، ثم يزداد إلى نوعين ، وهكذا. ومع ذلك ، أظهرت الدراسات الأحفورية أن جميع الشُعب كانت موجودة في البداية ، كل منها متميز عن الآخر وكل منها مجهز بالكامل للعمل والبقاء على قيد الحياة. وحتى الأسماك الفقارية كانت موجودة في الجزء الأسفل من العصر الكمبري. لقد انقرضت بعض الأحياء خلال السنوات اللاحقة ، لكن معظمها استمر إلى الوقت الحاضر. لا توجد شجرة تطورية موجودة في الحفريات ، كما ادعى داروين وتلاميذه. بدلا من ذلك ، هو أشبه بالعشب من شجرة.))[2].ولم توجد في قاعدة الكمبري أدلة حفرية تشير إلى وجود أصول مشتركة لتلك الأحياء[3].

---

1 منها: نقد العقل الملحد. ونقض خرافة التطور العضوي الموجه. ونقض شجرة التطور بالقرآن الكريم وعلم الحفريات.

2 جون ، د موريس: الطبيعة الحقيقية لسجل الأحافير ، 1 فبراير 2010 ، موقع: معهد أبحاث الخلق: ICR التابع لمركز ديسكفري: /http://www.icr.org/article/real-nature-fossil-record

3 النظرية الداروينية مقابل السجل الأحفوري http://www.arn.org/docs/stasfig/stasis1.htm

ومنها أيضا ،أن الشواهد الحفرية أظهرت ((غياب الأدلة الأحفورية للمراحل المتوسطة الانتقالية بين الكائنات)) وهو غياب حقيقي وواقعي[1]. وكانت أنواع الأحياء تظهر في ((التسلسل بشكل مفاجئ جدا ، وتُبدي درجة ضئيلة أو معدومة من التغير أثناء وجودها في السجل...))[2]. ولم يكشف سجل الحفريات تطورا سريعا ولا شديد البطء ، وإنما أظهر حقيقتين هامتين، هما: الظهور المكتمل والمفاجئ للأحياء، فكانت تظهر فجأة ومكتملة تماما. الثانية: الثبات والركود ، فكانت الأحياء كما أنها ظهرت مكتملة فإنها بقيت على هيئتها مع تعديلات ضئيلة[3] حتى تصل إلينا أو تنقرض[4]. فلا وجود أصلا للحلقات الانتقالية التطورية بين الأحياء، مما يعني بطلان القول بالتطور العضوي.

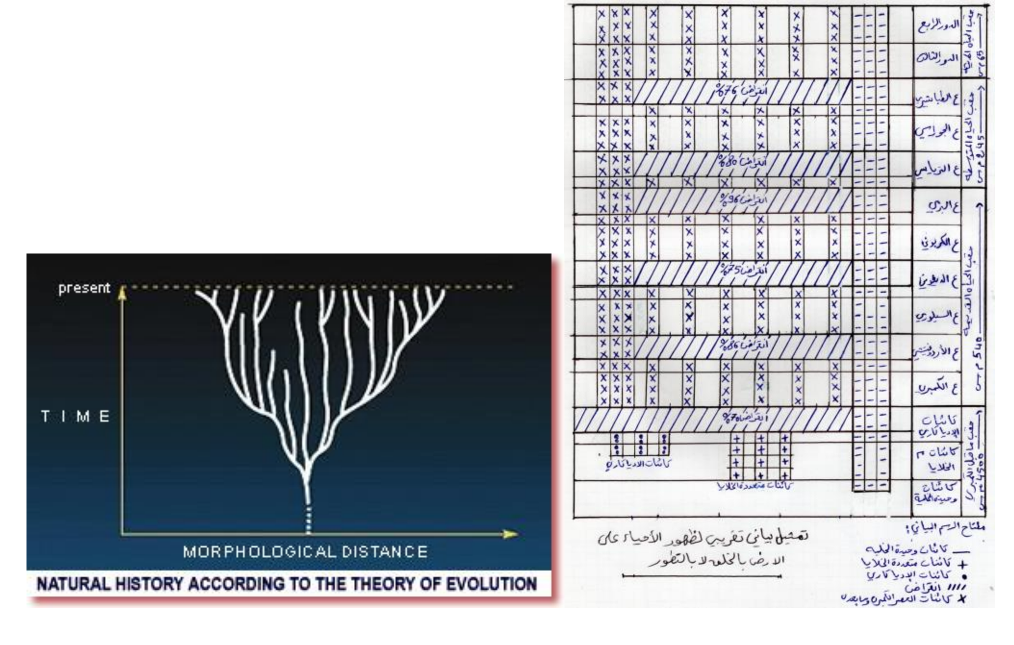
وقد ظلت الأحياء تظهر في حالة انفجارات إحيائية متكررة بنسب مختلفة، أكبرها خمسة انفجارات ظهرت بعد انقراضات كبيرة جدا. تظهر في شكل مجموعات منفصلة عن بعضها ولا سلف لها . ويُمكن إيجاز ما قلناه وتوضيحه بشكل مركز وشامل في الجدول الآتي كما هو مُبين في الشكل الثاني.وهو جدول يُمثل التاريخ الحقيقي للأحياء على وجه الأرض، يُثبت الخلق وينقض شجرة التطور – كما هي مبينة في الشكل الأول- ويُهدمها من أساسها وينسفها نسفا لأنها شجرة وهمية زائفة اختلقها التطوريون وفصّلوها على مقاسهم.

1 نقلا عن: اراء اشهر علماء التطور المعاصرين حول نظرية التطور من خلال قراءات من كتبهم العلمية، مدونة لا للإلحاد ، على الشبكة المعلوماتية.

2 أحمد يحيى: السجل الاحفورى يقول :لا للتطور ، مدونة : نظرية التطور وحقيقة الخلق ، الموقع: http://creationoevolution.blogspot.com/ .

3 أحمد يحيى: السجل الاحفورى يقول :لا للتطور ، مدونة : نظرية التطور وحقيقة الخلق ، الموقع: http://creationoevolution.blogspot.com/ .

4 وذلك التغير الضئيل الذي يظهر على بعض الأحياء ليس تطورا عضويا وإنما هو تغير يظهر على بعض أفراد النوع الواحد وليس خارج النوع مثل ما نراه في أجناس البشر وفي سلالات الكلاب مثلا. فالتطور العضوي المزعوم المغير للأنواع لا وجود له .



ش: 1- شجرة التطور كما توهمها واختلقها التطوريون[1] ش: 2 يُمثل التاريخ الحقيقي للأحياء[2]

الدليل الثاني: يتمثل في ظاهرة عدم التغير-التطور- الذي ساد تاريخ الأحياء منذ ما قبل الكمبري إلى اليوم. وهي ظاهرة عامة وشاملة تنطبق على كل أنواع الأحياء ومجموعاتها وفي كل الأزمنة الجيولوجية. فكانت ظاهرة عدم التغير- **الركود الدائم- والظهور المفاجئ سمة غالبة** على كل الأحياء[3]. هذه الظاهرة كانت عندما تستمر ملايين السنين مصاحبة لكل الأحياء إما أنها تتوقف بالنسبة لمعظم الأحياء بسبب الانقراضات التي كانت تُبيدها، وهنا تنقرض دون سلف[4]، وتظهر بعدها أحياء جديدة كما سبق أن بيناه؛ وإما أنها تستمر على قيد الحياة وتعيش مئات الملايين من السنين وتبقى حية إلى اليوم، كما هو حال الأحياء المجهرية كالبكتريا والجراثيم والفيروسات، ومختلف أنواع الحشرات كالنمل واليعاسيب وغيرها. فظاهرة الركود الدائم بنوعيه التي سادت الأحياء قديما وحديثا هي دليل قطعي على انه لا مكان لخرافة التطور العضوي، لأن الركود الدائم ينقضها بوجوده ونتائجه. لأن الأحياء المنقرضة ظلت راكدة دون تطور حتى أبيدت فلم تتطور ولا تركت خلفا، والأحياء الراكدة المستمرة هي على حالها وطبيعتها فلم تتطور إلى اليوم. وهذا النوع بقيت من أجناسه نحو 70% إلى اليوم

---

1 أبو حب الله : ما كشفت عنه سجلات الحفريات والمتحجرات، مدونة ((أبو حب الله)) على الشبكة المعلوماتية .

2 خالد كبير علال: نقض شجرة التطور العضوب بالقرآن الكريم وعلم الحفريات ، الكتاب منشور إلكترونيا .

3 أنظر عن ركود الأحياء وعدم تطورها: http://www.arn.org/quotes/Stasis.html

4 كيسي وسكين : هدية عيد ميلاد داروين ، معهد ديسكفري ، الولايات المتحدة الأمريكية، على الشبكة المعلوماتية، www.discovery.org/csc.

دون أن تتغير[1]. وهو يُمثل بحق أدلة دامغة قطعية تؤرق التطوريين وتنقض شجرتهم وتهدمها أصلا وفرعا.

الدليل الثالث – على بطلان التطور- : الغياب التام للحلقات الوسيطة الانتقالية ، فلو كان التطور حقيقة علمية، لوجدنا عشرات بل ومئات الملايين من الحفريات والمتحجرات الانتقالية التي تبين حدوث التطور حسب الآلية التطورية بحيث يتطور الكائن تدريجيا عبر حالات تطورية انتقالية ، كأن نجدها فيها نسبة التحول قد بلغت مثلا السدس، أو الخمس، أو الربع، أو الثلث، أو النصف حتى يتحول الكائن نهائيا من نوع إلى نوع آخر حسب زعم التطوريين. لكن هذا الأمر لا وجود له قطعا في الحفريات ولا الواقع ولا في التجارب المخبرية . وغيابها دليل قطعي على بطلان التطور ولا ينفع الزعم بوجود كائنات تمثل حلقات وسيطة ، كخلد الماء مثلا، لأن الصحيح أن هذا الكائن هو على طبيعته قديما وحديثا ، ولا يقبل التطور لأنه يجمع صفات تنفي تطوره. فهو مخلوق على تلك الطبيعة وإلا أين الملايين من الحفريات المفروض وجودها لو كان التطور حقيقة علمية؟؟ . فلو كان التطور " حقيقة علمية" لعثرنا على ملايين الحلقات الوسيطة، وبما أننا لم نعثر على ذلك، فلا شك أن التطور العضوي المزعوم لم ولن يحدث.

الدليل الرابع: يتعلق بمعطيات علم الوراثة، وأدلته دامغة بل وقطعية في إثبات الخلق ونقض التطور وشجرته، ولا تنفع معها تلاعبات وتخمينات وتحريفات التطوريين فيما يختلقونه ويتعلقون به من شبهات وشكوك يُثيرونها باسم علم الوراثة ويُخرجونها تخريجات تطورية على مقاسهم بمختلف وسائل الغش والتحريف والخداع ليس هنا موضع تفصيلها[2].وأما أدلة علم الوراثة التي تنقض التطور وشجرته ، فمنها: إنه من الثابت أن كل نوع من أنواع الأحياء لا يُمكنه أن يتناسل خارج نوعه ، وإن حدث ضمن الجنس الواحد كما يحدث بين الحصان والحمار فينتج البغل، ثم يتوقف التناسل . والإنسان مثلا لا يُمكنه أن يتناسل مع القرود ، ولا مع غيرها من الحيوانات، وقد باءت بالفشل كل محاولات التناسل بين الإنسان والأحياء الأخرى. ومنها أن كل نوع من الأحياء له برمجته الوراثية التي تحدد نوعه ضمن أفراد سلالاته وهي التي توجهه وتتحكم في صفاته ولا يُمكنه مخالفتها، فلا يتطور، ولا يستطيع أن يتطور، ولا يريد أن يتطور. ومنها

---

1 هالي بابلي: التطور والجيولوجيا الجزء الثاني والعشرين ومحاولات الرد على مشكلة انفجار الكامبريان http://drghaly.com/articles/display/

2 أنظر مثلا كتابنا: نقض خرافة التطور العضوي الموجه .

أيضا انه ثَبُت بالتجارب المخبرية والمشهودة أن الصفات المكتسبة لا تورث، مما يعني أن الأحياء لا يُمكنها أن تتطور وتخرج عن طبيعتها المحفوظة في برمجتها الوراثية. ومنها أن الطفرات التي تصيب الأحياء في الطبيعة أو التي تُحدث في المخابر لا يُمكنها أن تطور الأنواع إلى أنواع جديدة، لأنها عامل هدم في الخلية ولا يُمكنها تغيير طبيعة الكائن وتطويره عضويا كما بيناه سابقا. وهذا يعني أن كل جهود التطوريين في علم الوراثة لتأييد العقيدة التطورية هي جهود تحريفية لا تختلف عن جهودهم التضليلية في علم الحفريات[1] . فهي كلها أعمال زائفة متهافتة مُغرضة مُخادعة تكشف تحريفات التطوريين وفضائحهم من جهة، وتقدم الأدلة الصحيحة على بطلان التطور وصحة أدلة الخلق من جهة أخرى.

الدليل الأخير- الخامس- : يتعلق بدليل الحفريات، ومفاده أنه قد أظهرت كثير من الكشوفات أنه تم العثور على أحياء حديثة كثيرة عاصرت وعاشت مع الديناصورات وغيرها من الزواحف منذ نحو 70 مليون سنة، وجدت معها في نفس طبقاتها الصخرية. من ذلك ما ذكره عالم الحفريات الأمريكي كارل فيرنر بأنه تم العثور على الكثير من الحيوانات الحديثة في جميع طبقات صخور الديناصورات ، هي: الترياسي ،و الجوراسي ، والطباشيري[2]. تم العثور فيها على حفريات من مختلف الأجناس والأنواع: فقاريات ، ولا فقريات، ومفصليات، كالحشارات، والقشريات، والمحار، والأسفنج، والأسماك ، والبرمائيات ، والزواحف ، والطيور ، والثدييات تظهر كلها في نفس تلك الطبقات[3]. ومن الأسماك التي تشبه الموجودة الآن: سمك السلمون، وسمك الحفش، والرنجة. ومنها الضفادع والسلمندر في مواقع الديناصورات[4].ومن الزواحف التي تم العثور عليها في نفس تلك الطبقات، وهي مشابهة للأحياء الموجود الآن: الأفاعي، والسحالي، والسلاحف، والتماسيح[5]. وأكد كارل فيرنر على أن تلك الأحياء الحديثة التي وجدت مع الزواحف والديناصورات في نفس طبقاتها قد تم إخفاؤها ولا تعرضها المتاحف العالمية المعروفة، كالمتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي[6]. وذكر أيضا ((أن المتاحف الكبرى لديها أعداد كبيرة من هذه

---

1 للتوسع في دليل علم الوراثة أنظر: نقض خرافة التطور العضوي الموجه .

2 دون باتن : حفريات حية : حجة قوية للقائلين بالخلق ، موقع: https://creation.com/werner-living-fossils

3 دون باتن : حفريات حية : حجة قوية للقائلين بالخلق ، موقع: https://creation.com/werner-living-fossils

4 دون باتن : حفريات حية : حجة قوية للقائلين بالخلق ، موقع: https://creation.com/werner-living-fossils

5 دون باتن : حفريات حية : حجة قوية للقائلين بالخلق ، موقع: https://creation.com/werner-living-fossils

6 دون باتن : حفريات حية : حجة قوية للقائلين بالخلق ، موقع: https://creation.com/werner-living-fossils

و دون باتن : الطيور الحديثة وجدت مع الديناصورات، يوليو 2012م موقع: http://creation.com

الأحافير "في الطابق السفلي" لكن لا يتم عرضها .وقال: إن أمناء المعرض قد أخبروه أن الناس "غير مهتمين" برؤية عرض "عمر الديناصورات" الذي يعرض كائنات من الطراز الحديث إلى جانب الزواحف العملاقة)) [1] . والحقيقة أن التطوريين هم الذين أخفوها عن الناس، وليس الناس لا يهتمون بها، فكيف يهتمون بها وهم لا علم لهم بها أصلا؟؟

وبما أن الأمر كذلك، والتطوريون يزعمون أن الأحياء الحديثة كالثدييات والطيور، لم تعاصر الديناصورات وإنما تطورت منها ، فإن زعمهم هذا باطل من دون شك، ويعني قطعا أن الثدييات والطيور لم تتطور من الديناصورات ولا الزواحف ولا غيرها من الأحياء. لأنه لا يُمكن للثدييات والطيور أن تتطور من الديناصورات وهي قد عاصرتها وعاشت معها في نفس الزمان والمكان. ومما يؤكد صحة هذا، وصحة ما قاله ذلك العالم عن تلك الحفريات المكتشفة من جهة، ويثُبت عدم صحة قول التطوررين من جهة أخرى؛ هو أن الأدلة السابقة أثبتت كلها بطلان القول بالتطور. فجاء هذا الدليل- الخامس- وأكد ما قالته من ناحية، وتعضد بها هو أيضا من ناحية ثانية، واتفقت كلها على إثبات الخلق ونقض التطور العضوي من ناحية ثالثة.

ثانيا: إن قول شحرور بأن البشر تطوّر من أحياء سبقته فهو باطل بحكم أن التطور العضوي خرافة مُتسترة بالعلم وكذبة كبيرة باسمه كما بيناه أعلاه. كما أن استدلال شحرور على قوله بخرافة التطور بقوله تعالى: (خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنْ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ [الزمر : 6])، هو شاهد عليه بأنه يكذب على القرآن ويُحرفه انتصارا لهواه. لأن تلك الآية صريحة في أن الله خلقنا كما خلق الأحياء الأخرى ولم يقل " طوركم " وإنما قال" خلقكم" ، والفعلان يتناقضان ولا يتطابقان، لأن التطور هو حدوث تغيرات عضوية مستمرة في الكائن حتى يتغير ويصبح كائنا جديدا؛ لكن الخلق يعني الإيجاد من عدم، أو بعد عدم. فهو إيجاد كائن جديد لا سلف له ، وهذا خلاف التطور وينقضه أيضا ولا يُمكن الجمع بينهما. كما أن استدلاله بإنزال الأنعام على زعمه هو شاهد عليه بالكذب والتحريف، لأن الآية قالت بأن الله انزل الأنعام، ولم تقل أنه طوّرها، فهي لم تتطور، وإنما أنزلها الله

---

1 أنظر مقال: التركيز: الأخبار والآراء، https://creation.com/focus-372 .

تعالى إلى الأرض من خارجها من جهة، وهي مخلوقة أيضا من جهة أخرى بدليل قوله تعالى: (وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ [النحل : 5]) . فهي مُنزلة ومخلوقة وليست مُتطوّرة، فلماذا تتكلم يا شحرور بلا علم، وتتعمد الافتراء على الله والقرآن والناس؟؟!! .

ثالثا: إن زعم شحرور بأن الإنسان تطور من البشر ، بمعنى أن آدم عليه السلام ليس هو البشر، وإنما هو نفسه تطور من كائن سبقه اسمه البشر هو زعم باطل قطعا ،لأن التطور العضوي باطل بلا شك وخرافة باسم العلم كما بيناه أعلاه، ولأن القول بذلك باطل أيضا بأدلة القرآن والسنة الصحيحة، التي أكدت وبينت أن البشر هو آدم، وآدم هو البشر، وأولاده هم بشر، وهم الإنسان، وهم بنو آدم أيضا. والأدلة على ذلك كثيرة ، أهملها شحرور وحرّف بعضها حسب هواه.

وتفصيل ذلك هو **أن** الحقيقة هي أن آدم هو أول إنسان وأول بشر، وأول إنسان وأول بشر هو آدم –عليه السلام-. وليس صحيحا أن كل إنسان بشر وليس كل بشر إنسان ، ولا العكس: كل بشر إنسان وليس كل إنسان بشر؛ وإنما الحقيقة هي أن كل إنسان بشر، وكل بشر إنسان، وكل بني آدم إنسان وبشر، كما أن آدم هو أول بشر وأول إنسان.

وبيان ذلك[1] هو أن التفريق بين آدم وبين الإنسان الأول، أو بين آدم والبشر الأول بدعوى أن ذلك يدل على وجود مخلوقيّن ولا يدل على وجود مخلوق واحد له ثلاثة أسماء، هو تفريق باطل وفيه تحريف للنصوص الشرعية وتلاعب بها وافتراء عليها. والصحيح هو أن آدم له ثلاثة أسماء: آدم، والإنسان، والبشر، وهي كلها لمسمى واحد هو أدم- عليه السلام- وليست لمسميّين ، ولا لثلاثة مسميات . سُمي آدم بتلك الأسماء الثلاثة لأن كلا منها يُمثل صفة أساسية أو أكثر من الصفات التي تميز بها . فاسم آدم قيل أنه سُمي بذلك لكون ((جسده من أديم الأرض، وقيل لسمرة في لونه، يقال رجل آدم نحو أسمر، وقيل سُمي بذلك لكونه من عناصر مختلفة وقوى متفرقة))[2]. وقيل أن أصل تسمية آدم بالبشر مأخوذ من البشرة ظاهر الجلد، و ((جمعها بُشر وأبشار وعُبّر عن الإنسان بالبشر اعتبارا بظهور جلده من الشعر بخلاف الحيوانات التي عليها الصوف أو الشعر أو الوبر

---

1 نقلا عن كتابنا: نقض خرافة التطور العضوي الموجه .

2 الراغب الأصفهاني: غريب القرآن ن ص: 14 .

واستوي في لفظ البشر الواحد والجمع))[1]. وقيل أنه سُمي إنسانا لأن من صفاته أنه ينسى[2].

علما بأن إطلاق عدة أسماء على مسمى واحد معروف في لغة العرب وفي لغات الشعوب الأخرى. كإطلاقهم عدة أسماء على السيف، منها: الصارم، والحسام، والمهند، والبتار . وقد استخدم القرآن أيضا هذا الأسلوب ، فكما أطلقه على آدم فقد أطلقه أيضا على المعاد الأخروي، فهو: يوم القيامة، ويوم الحساب، ويوم الحشر، ويوم التغابن ، ويوم الآخرة . ونفس الأمر أطلقه على الجنة، فهي: دار النعيم، ودار الخلد، والفردوس، ودار القرار، ودار السلام ، ودار الآخرة. ونفس الأمر يُقال عن النار.

علما بأن الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة فصلت ذلك الأمر ووضحته وتشهد بنفسها على بطلان ما زعمه شحرور وأمثاله ، بدليل أنها أطلقت تلك الأسماء على مخلوق واحد هو آدم عليه السلام ولم تطلقها على شخصين ولا على ثلاثة. ثم أطلقت تلك الأسماء على أبناء آدم من بعده . فسماهم الكتاب والسنة بني آدم، والإنسان، والبشر. والنصوص الشرعية الآتية تُثبت ذلك وتنقض مزاعم وتحريفات شحرور وأمثاله من التطوريين.

منها نصوص تتعلق بالإنسان الأول، كقوله تعالى: ((وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاء مَّهِينٍ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ)(السجدة: 7-9))،((وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ)(الحجر: 26))،و((وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ)(المؤمنون: 12-14)) .

ومنها نصوص تتعلق بالبشر الأول كقوله تعالى: ((وَلَقَدْ خَلَقْنَا **الإِنسَانَ** مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ وَالْجَآنَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ **بَشَراً** مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلآئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ)(

1 الراغب الأصفهاني: غريب القرآن ن ص: 47 .

2 محمد بن ابي بكر الرازي: مختار الصحاح ، ص: 20 .

الحجر: 26-33)). و((إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ **بَشَراً** مِن طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ)(ص:71- 76)).

واضح من تلك الآيات أن البشر الأول هو نفسه الإنسان الأول لأنهما وُصفا بوصف واحد في أصلهما ومراحل تكونهما ، فنحن أمام شخص واحد من صفاته: مخلوق من طين ،ومن ((صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ))، ثم التسوية ونفخ الروح ((ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ)(السجدة: 7-9))،و((فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي))(الحجر: 29)). فالإنسان الأول هو نفسه البشر الأول، وقد خلقه الله خلقا ولم يُطوّره من كائن سبقه.

ومنها نصوص ذكرت آدم عليه السلام باسمه ووصفته بصفتيّن أساسيتين، هما: انه مخلوق من تراب، وطين ، وأن الله أسجد له ملائكته ، وهما صفتان وُصف بهما البشر الأول، بدليل قوله تعالى: ((وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ)(الأعراف: 11-12)).و((إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ)(آل عمران: 59)).و((وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ)(الروم: 20)).

وذلك يعني أن البشر الأول هو نفسه آدم، وآدم هو نفسه البشر الأول.وبما أنه تبين أن الإنسان الأول هو نفسه البشر الأول، وأن البشر الأول هو نفسه آدم ، فإن هذا يعني بالضرورة أن الإنسان الأول هو آدم عليه السلام، وقد خلقه الله تعالى خلقا خاصا ولم يُطوّره من كائن سبقه.

تلك الحقيقة تؤيدها وتُثبتها وتعمقها الشواهد الشرعية الآتية: منها أن الله تعالى وصف الإنسان الأول والبشر الأول وآدم بأنهم خلقوا من طين، كقوله تعالى: ((وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ)(السجدة: 7-9))،و((إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ)(ص:70)).و((ثم قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ)(الأعراف:11-12)). فنحن أمام شخص واحد مخلوق من الطين له ثلاثة أسماء، وقد خلقه الله خلقا خاصا ولم يُطوّره من كائن سبقه .

ومنها أننا نحن البشر والآدميون تشملنا آيات قرآنية ونندرج فيها كلنا تكلمت عن الإنسان الأول والبشر الأول وآدم وأبنائه باسم الإنسان، مما يدل على أن اشمل اسم لنا هو الإنسان. والآيات هي قوله تعالى: ((وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاء مَّهِينٍ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ)(السجدة: 7-9))، و((وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ)(المؤمنون: 12-14)).

واضح من تلك الآيات أنها تكلمت عن الإنسان الأول وأبنائه، وهذا يتضمن بالضرورة البشر الأول وآدم وأولاده. فنحن أبناء الإنسان الأول والبشر الأول وآدم. وأشارت إلى خلق الإنسان الأول من الطين وهذا ينطبق أيضا على البشر وآدم كما بيناه أعلاه. مما يعني أن الإنسان الأول هو نفسه البشر الأول وآدم، وأن اسم الإنسان هو أشمل وأجمع اسم سمانا الله تعالى به.

ومن ذلك أيضا أن القرآن الكريم عندما يتكلم عن الإنسان الأول، والبشر الأول وآدم عليه السلام يتكلم عن هؤلاء على أنهم يمثلون شخصا واحدا لا أنهم يمثلون شخصيّن أو ثلاثة .

ومنها أن القرآن الكريم عندما يخاطبنا نحن عباد الله يخاطبنا على أننا أبناء شخص واحد هو نفسه آدم والإنسان الأول والبشر الأول، ولا يُخاطبنا على أننا أبناء ثلاثة أباء ولا اثنين . من ذلك قوله تعالى: ((يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ)(الأعراف: 27)).

ومنها أيضا أن الله تعالى خاطبنا نحن الآدميين بالإنسان، بمعنى أننا أبناء الإنسان الأول ، كقوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ)(الانفطار: 6))،و((وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً)(العنكبوت: 8))،و((إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ)(العصر: 2))، و((إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ)(إبراهيم : 34))، و((كُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراً)(الإسراء: 13)). وفي الحديث يقول النبي –

عليه الصلاة والسلام-:((مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ))[1].

وتكلم الله عنا وأشار إلينا على أننا بشر، بمعنى أننا أبناء البشر الأول، كقوله تعالى: ((وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ (الشورى : 51)) . و((فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً (مريم : 26))، و((إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ)(المدّثر : 25))،و((فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قِوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ (هود : 27))، و((أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاء وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَراً رَّسُولاً (الإسراء : 93))، و((وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُواْ إِذْ جَاءهُمُ الْهُدَى إِلاَّ أَن قَالُواْ أَبَعَثَ اللّهُ بَشَراً رَّسُولاً (الإسراء : 94)) ، و((وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَراً مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَّخَاسِرُونَ (المؤمنون : 34)) ،و((وَقُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ (يوسف : 31)) . وفي الحديث يقول النبي –عليه الصلاة والسلام-:((إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض وأقضي له على نحو ما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذ فإنما أقطع له قطعة من النار))[2].

وخاطبنا الله تعالى بأننا أبناء آدم ، كقوله سبحانه:((يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (الأعراف : 35))، و((أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ)(يس: 60))،و((يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ)(الأعراف: 27)). وفي الحديث يقول النبي –عليه الصلاة والسلام-:((إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم)) [3].

وبما أننا كذلك، وقد خلقنا الله تعالى من نفس واحدة، ومن ذكر وأنثى، ولنا أبوان، وسمانا بني آدم لقوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي

1 البخاري: الصحيح ، ج 3 ، ص: 103، رقم: 2320 .

2 البخاري: الصحيح ، ج 9 ص: 25 ، رقم: 6967 .

3 البخاري: الصحيح ، ج 3 ، ص: 50 ، رقم: 2039.

خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء)(النساء : 1))،و((يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ)(الأعراف: 27))، و((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى)(الحجرات : 13))، و((أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (يس : 60))؛ فإنه يتبين من كل ذلك أن آدم عليه السلام هو نفسه الإنسان الأول، والبشر الأول، وان الإنسان الأول هو نفسه البشر الأول، وآدم ، وأن البشر الأول هو نفسه الإنسان الأول وآدم. فنحن أبناء شخص واحد له ثلاثة أسماء : آدم ، والإنسان ، والبشر، أوجده الله تعالى بالخلق لا بالتطور .فنحن: بنو آدم، وبنو الإنسان ، وبنو البشر. وبذلك تسقط مزاعم شحرور وأمثاله من التطوريين في زعمهم بأن الشرع أشار إلى أن آدم مسبوق بمخلوق شبه بشري أو شبه إنساني تطوّر منه آدم. إنها مزاعم وشبهات باطلة قطعا.

رابعا: لا يصح الاحتجاج بقوله تعالى ((وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء..}[البقرة:30))، للزعم بوجود بشر قبل آدم عليه السلام، بدعوى أن اعتراض الملائكة على الله تعالى عندما أخبرهم بأنه سيخلق بشرا هو دليل على وجود بشر، أو أوادم قبل آدم أو ما يُشبه آدم. لا يصح ذلك لأنه اعتراض يجب أن يوضع في إطاره الصحيح ضمن قطعيات الشرع ومُحكماته ولا يُحرّف عن سياقه ومعناه. لا يصح ذلك لأنه من الثابت شرعا أننا نحن البشر أبناء آدم عليه السلام ، فهو أبونا وأول إنسان وأول بشر أوجده الله تعالى بالخلق لا بالتطور. وأما قول بعض أهل العلم بأن اعتراض الملائكة ربما يدل على انه وُجد أوادم قبل خلق آدم وإلا كيف عرفت الملائكة بأنه سيفسد في الأرض و يسفك فيها الدماء؟. فالحقيقة هي أنه حتى وإن سلمنا بذلك جدلا فلا يعني وجود بشر قبلنا وإنما يعني وجود مخلوقات عاقلة وُجدت قبلنا أفسدت في الأرض وسفكت فيها الدماء وليس بيننا وبينها أية علاقة عضوية ولا عقلية ولا حضارية. لأن الشرع حسم أمرنا بأننا أبناء آدم وهو أول إنسان وأول بشر خلقه الله تعالى.

علما بأن اعتراض الملائكة ليس دليلا قطعيا على وجود مخلوقات عاقلة سبقتنا وعاشت على الأرض وأفسدت فيها. لأنه يُحتمل أنها اعترضت من باب الاحتمال والتخمين وقراءة المستقبل بناء على صفات البشر التي ربما عرفوا بعضها من وصف الله له بأنه سيكون خليفة في الأرض. أو مما استنتجوه قياسا على صفات المخلوقات التي عاشت في الأرض وكانت في

صراع واقتتال وسفك للدماء فيما بينها . أو مما رأته من إفساد الجن في الأرض وتسخيرها للحيوانات لصالحها مما أدى إلى سفك دمائها . لكن الذي لاشك فيه هو أن الإنسان الأول، هو البشر الأول، وهو نفسه آدم عليه السلام-، هو الذي خُلق خلقا خاصا ولم يتطور من كائن قبله،ولم يُسبق بإنسان مثله .

وبذلك يُستنتج مما ذكرناه أن كل ما قاله شحرور عن التطور العضوي، وتطور الإنسان من البشر هو كلام باطل، ومزاعم متهافتة، تشهد عليه بالجهل والتعصب للباطل، والكلام بلا علم، والإصرار على ممارسة التحريف والتخريف انتصارا لأوهامه وأهوائه. وبما أن الأمر كذلك ، فلاشك أن كل ما قاله شحرور عن نشأة اللغة عند الإنسان هو باطل قطعا لأنه بناه على خرافة التطور العضوي من جهة؛ كما أن تركيزه على اللغة ليس في محله ومتهافت لأن بطلان التطور العضوي شرعا وعلما ينقض مزاعمه المتعلقة باللغة من أساسها، لأن عدم تطور الإنسان يستلزم حتما عدم تطور أجهزته وأعضائه!!.

وختاما لهذا الفصل- الثالث- يتبين جليا بطلان القول بحكاية جدل التناقض في الطبيعة والقرآن واستمراره ، لأن وجود الثنائية والزوجية والحركية في الكون بجماده وأحيائه ليست قائمة على التناقض، ولا على الاستمرارية، وإنما هي قائمة على التكامل والتناغم ،والانسجام والتعاون جمعاً بين التغير في إطار الثبات.كما أن قول شحرور بالتطور العضوي وتستره بالعلم والشرع هو قول باطل قطعا، بدليل العلم والوحي والواقع، ولا يقول به إلا جاهل، أو جاحد معاند مُحرف، أو صاحب هوى.

*****

الفصل الرابع

نقض تأويلات شحرور لمعنى الإنزال والتنزيل ومعني الأمي في القرآن الكريم

أولا: نقض تأويل شحرور لمعنى الإنزال والتنزيل في القرآن
ثانيا: نقض تأويل شحرور لمعنى الأمي في القرآن

نقض تأويلات شحرور لمعنى الإنزال والتنزيل ومعني الأمي في القرآن الكريم

أَوَّلَ الكاتب محمد شحرور معاني الإنزال والتنزيل، والأمي في القرآن الكريم تأويلات تحريفية عن سابق إصرا وترصد ، وعن مكر وخداع انتصارا لأوهامه وأهوائه، وتطبيقا لما خَطط لها سلفا.ووصفي له بذلك ليس كذبا عليه، ولا تحريفا لكلامه، ولا اتهاما له؛ وإنما هو حق وعدل كما سيتبين من خلال المبحثيّن الآتيين:

أولا: نقض تأويل شحرور لمعنى الإنزال والتنزيل في القرآن:

تكلم شحرور عن الإنزال والتنزيل في القرآن الكريم والفرق بينهما، فكان مما قاله:{ إن شرح الفرق بين الإنـزال والتنزيل يعتبر أحد المفاتيح

الرئيسية لفهم الكتاب بشقيه: النبوة والرسالة كما له علاقة كبيرة بمبادئ التأويل. فبدون فهم الفرق بين الإنزال والتنزيل لا يمكن فهم قوله تعالى: { وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ [الحديد : 25]} ، وقوله: (يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً [الأعراف : 26]). إذ قال إنه تم إنزال الحديد وقال إنه تم إنزال اللباس على بني آدم. وقال أيضاً: (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً [يوسف : 2]) . وقال: { إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ [القدر : 1] }. فكيف نفهم إنزال الحديد وإنزال القرآن؟ أما عن التنزيل فقال: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلاً [الإنسان : 23]). وقال: (تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ [الجاثية : 2]) } . وقال: (تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ [فصلت : 2])، وقال: (تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ [الواقعة : 80])...)[1].

و{أما التنزيل فكيف نوفق بين قوله (تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ} (الواقعة 80) و { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلاً} (الإنسان 23) وبين قوله: { وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى [طه : 80] }؟ وكيف نفهم (وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ [البقرة : 57]) ؟ أي كيف نفهم الإنزال والتنزيل في المن والسلوى وفي القرآن.فعن القرآن قال: "نزلنا وأنزلنا" وعن المن والسلوى قال أيضاً: "نزّلنا، وأنزلنا" وعن الماء قال: (وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً [الفرقان : 48]) ،وقال: (وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكاً فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ [ق : 9]) .وعن الذكر قال: (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ...[النحل : 44]) . فما هو الإنزال والتنزيل للقرآن؟ والإنزال والتنزيل للمن والسلوى؟ والإنزال والتنزيل للماء؟ والإنزال والتنزيل للملائكة والذكر حيث قال عن الملائكة : (وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلآئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى ...[الأنعام : 111]) ،و(وَقَالُواْ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكاً لَّقُضِيَ الأمْرُ ثُمَّ لاَ يُنظَرُونَ [الأنعام : 8]). كيف نفهم الإنزال والتنزيل في هذه الحالات بشكل ينسجم بعضها مع بعض وينسجم مع قوانين الحقيقة. أي يجب أن يكون بينهما رباط منطقي مع مطابقة موضوعية}[2].

ثم أنه بعدما تساءل وأَشكل كلامه، وأثار شبهات حول آيات ذكرها، انتهى إلى تعريف الإنزال والتنزيل فقال:{ والآن لنأخذ التنزيل والإنزال:

1 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: 147 .

2 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: 147 .

فالتنزيل: هو عملية نقل موضوعي خارج الوعي الإنساني. **والإنـزال:** هـو عملية نقل المادة المنقولـة خـارج الـوعي الإنسـاني، مـن غيـر المـدرك إلـى المدرك، أي دخلت مجـال المعرفـة الإنسـانية. هـذا فـي حالـة وجـود إنـزال وتنزيل لشيء واحد مثل القرآن والماء والملائكة والمـن والسـلوى. أمـا فـي حالة وجود إنزال دون تنزيل كما في حالة الحديد واللباس، فإن الإنـزال هـو عملية الإدراك فقط "أي المعرفة فقط". لنأخذ الآن أمثلة عادية على الإنـزال والتنزيل، وأود أن أنوه بـأن المكتشـفات العلميـة والتكنولوجيـة فـي النصـف الثـاني مـن القـرن العشـرين هـي التـي سـمحت لنـا بفهـم الإنـزال والتنزيـل والجعل بهذه الدقة. }[1].

و{**المثـال الأول:** مبـاراة حيـة فـي كـرم القـدم بـين البرازيـل والأرجنتـين تجري في المكسيك. فاللاعبون الأساسـيون المؤلفـون مـن أنـاس أحيـاء مـن لحم وعظم ودم يلعبون فـي المكسـيك. وهنـاك فـي دمشـق شـخص يريـد أن يشهد هذه المباراة حية. فحتى يشهد هذا الشخص في دمشـق المبـاراة الحيـة في المكسيك وتدخل ضمن إدراكه يجب القيام بعمليات على الشكل التالي:

1. الوجود المادي للمباراة فعلاً قبل التكلم عن أي نقل أو إدراك.
2. التقاط المباراة صوتاً وصورة أو صوتاً فقط أو صورة فقط.
3. بث المبـاراة عـن طريـق الأمـواج بواسـطة الأقمـار الصـناعية إلـى كـل أنحاء الأرض بما فيها دمشق.
4. وجود جهاز تلفزيون أو راديو لاقـط، يأخـذ هـذه الأمـواج ويحولهـا مـرة ثانية إلى صوت وصورة أو إلى صوت فقط. فعند ذلـك يـدرك المشـاهد فـي دمشق ما حدث في مباراة المكسيك).

(ثم هناك حالة ثانية للنقل إذا لم يكن هناك بـث، وذلـك بـأن تسـجل المبـاراة على شريط فيديو صوتاً وصورة أو على شريط كاسيت صوتاً فقط، وينقلهـا شخص إلى دمشق. في هذه الحالة يجـب أن يكـون فـي دمشـق جهـاز فيـديو وتلفزيون أو جهاز تسجيل لكي يعيد المباراة حتى تصل إلى إدراك المشـاهد في دمشق).

و(الآن لنناقش في هذا المثال أين الإنزال وأين التنزيل: عمليـة المبـاراة الأصلية عن طريق الأمواج من المكسيك إلى دمشق هي التنزيـل، لأن هـذه العملية تمت خارج وعي المشـاهد فـي دمشـق، والنقـل حصـل ماديـاً خـارج وعـي المشـاهد بواسـطة الأمـواج. أمـا عمليـة دخـول الأمـواج إلـى جهـاز

[1] محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: 149 – 151 .

التلفزيون ليحولها إلى صوت وصورة أي إلى حالة قابلـة لـلإدراك مـن قبـل المشاهد فهذا هو الإنزال}[1].

و{**المثال الثاني:** عملية نقل واقع جبل قاسيون إلى إنسان يعيش في القـاهرة عن طريق مخططات:

- العملية الأولى: عملية رفع قاسيون إلى مخطط طبوغرافي.
- العملية الثانية: عملية نقل هذا المخطط إلى القاهرة ليشاهد إنسان ما.

ففـي العمليـة الأولـى تـم النقـل المـادي إلـى المخطـط بطريقـة قابلـة لإدراك الإنسان في القاهرة. هذا المخطط مؤلف من إحداثيات ومقياس 1/100 مثلاً ومن خطوط تسوية "كونتور" لتبيـان التضـاريس الـتلال والوديـان. فعمليـة نقل الجبل من الواقع إلى مخطط قابل لـلإدراك هـو الإنـزال، وعمليـة النقـل المادي للمخططات من دمشق إلى القاهرة هي التنزيل. إذاً فهناك حالتان:

الحالة الأولى: أن يتم التنزيل قبل الإنزال كما في المباراة.
الحالة الثانية: أن يتم الإنزال قبل التنزيل كما في المخطط.
ولكن في هاتين الحالتين يجب أن يكون هناك وجود مسبق للشيء قبل عملية الإنزال والتنزيل. فوجـود اللاعبـين والمبـاراة فـي المكسـيك فعـلاً قـد سـبق عمليـة التنزيـل والإنـزال ووجـود الجبـل فعـلاً قـد سـبق عمليـة الإنـزال والتنزيل.}[2].

أقول: ذلك التعريف لمعنى الإنزال والتنزيل في القرآن الكريم باطـل جملـة وتفصـيلا، وشـاهد علـى شـحرور بأنـه محـرف ومتلاعـب وصـاحب أوهام وأهـواء ، ولا يقـول ذلـك إلا جاهـل أو مُغـرض مُحـرف لغايـات فـي نفسه. كما أنه وقع في انحراف منهجي كبير، وتناقض صارخ صريح، فهو يتكلم عن الإنزال والتنزيل وتعريفهما فـي القـرآن الكـريم ، ولـم يرجـع إليـه عندما عرفهما؛ وإنما عرفهما تعريفـا ذاتيـا تحريفيـا حسـب هـواه. وتفصـيل ذلك فيما يأتي:

أولا: بما أن القرآن الكريم كتاب مُحكم حكيم مُبيّن مُفصّل ، يحمل معجمه اللغوي بداخله، ويُفسر نفسه بنفسه، فإنه يجب على كل من يريد فهـم القـرآن فهما صحيحا، أو يعرضه عرضا علميا أن يرجع إليه ويتركه يـتكلم ويفسـر نفسه بنفسه ولا يتدخل في توجيه معانيه أبدا. وكل من لا يتعامل مـع القـرآن بهذا المنهج فهو جاهل، أو مُحرف يتعامل معه بهواه. ومن هذا حاله لا قيمة لما يقوله في ميزان الشرع والعقل والعلم.

---

1 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: 149 – 151 .

2 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: 149 – 151 .

وبما أن الأمر كذلك،فإن القرآن الكريم عندما استخدم كلمتي " الإنـزال "، والتنزيـل" ، فقـد عرفهمـا وبـيّن معانيهمـا بطريقتـه الخاصـة. فبالنسـبة لعبارة"الإنزال "، ومنه فعل" أنـزل"،و" أنزلنـا"، فـإن القـرآن الكـريم بـيّن معناه في عـدة آيـات، منهـا قولـه تعـالى: { الَّـذِي جَعَـلَ لَكُـمُ الأَرْضَ فِرَاشـاً وَالسَّمَاء بِنَاء **وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً** فَأَخْرَجَ بِهِ مِـنَ الثَّمَـرَاتِ رِزْقـاً لَّكُـمْ فَـلاَ تَجْعَلُـواْ لِلّهِ أَنـدَاداً وَأَنـتُمْ تَعْلَمُـونَ [البقـرة : 22]}،و{وَهُـوَ الَّـذِيَ **أَنـزَلَ مِـنَ السَّمَاءِ مَاءً** فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبّـاً مُّتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِـن طَلْعِهَـا قِنْـوَانٌ دَانِيَـةٌ وَجَنَّـاتٍ مِّنْ أَعْنَـابٍ وَالزَّيْتُـونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِـي ذَلِكُـمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ [الأنعام : 99] }،و{هُوَ الَّذِي **أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً** لَّكُـم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ [النحل: 10] }.

واضح من تلك الآيات أن " الإنزال " في القرآن يعني الإسقاط والحَـط والإهباط من أعلـى إلـى أسـفل. فـالله تعـالى أسـقط المطـر مـن السـماء إلـى الأرض، وأهبط آدم وزوجه من الجنة إلى الأرض، وأنزل القرآن على نبيـه محمد عليه الصلاة والسلام.

وأما معنى " التنزيل " ، ومنه فعل " نَزّل " ، و" نَزّلنا"، فقد بيَنه القرآن الكريم، بقوله تعالى: { وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّـاسِ عَلَـى مُكْـثٍ وَنَزَّلْنَـاهُ تَنزِيلاً [الإسراء : 106]}،و{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنـزِيلاً [الإنسـان: 23] }،و{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ [الحجر : 9] }.

واضح من ذلك أن الله تعالى بعدما أخبرنا أنه أنزل القرآن كاملا في ليلـة القدر ، فإنه بعد ذلـك فرّقـه ، ثـم نَزّلـه تنـزيلا، أي أنزلـه مُفرقـا شـيئا فشـيئا حسب ظروف وحوادث الدعوة الإسلامية.

وبما أن الأمـر كـذلك، فمـا هـي العلاقـة بـين " الإنزال"،والتنزيـل" فـي القرآن الكريم ؟. تتبين لنا من الجمع بين قولـه تعـالى: {إِنَّـا أَنْزَلْنَـاهُ فِـي لَيْلَـةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَـهْرٍ (القدر: 1 - 3)}،وبين قوله سبحانه: { وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً [الإسراء : 106]}.واضح من ذلك، أن الإنزال الأول للقرآن في ليلة القدر، كان إنزالا كاملا من السماء إلى السـماء الـدنيا. وأمـا الإنـزال الثـاني للقرآن ، فهو إنزال مُفَرّق على دفعات حسب الحوادث من السماء الدنيا إلـى

الأرض. وكلاهما إنزال، الأول كلي، والثاني مُجزّأ على دُفعات، فهو تنزيل. وإذا نظرنا إلى التنزيل بنظرة كلية لا مُجزأة فهو إنزال أيضا. وبما أن الأمر كذلك، فيجوز لُغة أن يُعبّر عن الاثنين بالإنزال من باب التجوّز، أو إطلاق اسم الكل على الجزء، والجزء على الكل، أو بحكم أن التنزيل يتضمن الإنزال، وسياق الكلام يُحدد النوع المقصود ولا يكون ذلك تناقضا. كما أن التنزيل يتضمن الإنزال بالضرورة، لأنه لا تنزيل دون معنى الإنزال من جهة؛ والإنزال لا يتضمن بالضرورة التنزيل،وإنما يتضمنه بالإمكان من جهة أخرى.

ثانيا: بالنسبة للآيات التي استشهد بها شحرور وأَشكلها وأثار حولها شبهات وجعلها إشكالا، ليجد لنفسه مبررا ليُحرف معنى " الإنزال" و"التنزيل" حسب هواه. فإن الحقيقة هي أن تلك الآيات ليست كما زعم، ولا هي متناقضة ، وإنما هي آيات مُبينات واضحات عندما نعرضها على القرآن الكريم ونفهما بمفاهيمه ومعجمه اللغوي. من ذلك مثلا أن شحرورا تساءل كيف نفهم ونوفق بين: (قوله تعالى:{ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ [الحديد : 25]} ، وقوله: (يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً [الأعراف : 26]). إذ قال إنه تم إنزال الحديد وقال إنه تم إنزال اللباس على بني آدم)[1].

أقول: ذلك ليس إشكالا ولا تناقضا، لأن إنزال الحديد من السماء إلى الأرض هو أمر علمي وطبيعي جدا، فهو ليس مرفوضا ولا مستحيلا عقلا ولا علما. بحكم أن الكون كله كان كتلة ملتهبة واحدة، ثم انقسم على نفسه إلى كواكب وشموس وغيرها. ثم أن الأرض مثلا انفصلت عن الشمس ثم بردت.ثم بعد ذلك تساقطت على الأرض معادن كثيرة من الفضاء وما تزال تسقط إلى اليوم على شكل نيازك ومذنبات وأجسام غريبة. فما المانع من أن يكون الحديد من المعادن التي تكونت خارج الأرض ثم أسقطه الله تعالى عليها ؟ . بل هناك من علماء الطبيعة من قال بذلك ليس هنا موضع تفصيله[2].

ونفس الأمر يُقال في قوله تعالى:{يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم وريشاً} (الأعراف 26). فهو ليس مُنكرا ولا مستحيلا، فيُمكن أن يُفسر ذلك بأن الله تعالى علّم الناس ارتداء اللباس بواسطة أبيهم

1 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: 147 .

2 أنظر ذلك في الشبكة المعلوماتية.

آدم وأمهم حواء ، فهما قد لبسا الملابس في الجنة، وعندما هبطا منها بأمر من الله، كانا يرتديان الملابس. ومنهما تعلم الأبناء ارتداء اللباس وصناعتها.فالنموذج الأول من الملابس كان مُنزلا ، ولم يُصنع في الأرض.

ويُمكن تفسيره أيضا، بأن المقصود من ذلك الإنزال ليس إنزال الملابس جاهزة، وإنما إنزال مصادرها. ومصادر اللباس منذ القديم حيوانية، أو نباتية . فالأصواف والأوبار والأشعار من الأنعام، وهي لم يخلقها الله تعالى على الأرض، وإنما أنزلها إليها . بدليل قوله تعالى: ((وَأَنزَلَ لَكُم مِّنْ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ)(الزمر : 6)). فالآية واضحة لا تقبل تأويلا صحيحا غير الذي صرحت به ،هو أن الله تعالى لم يخلق الأنعام في الأرض، وإنما خلقها خارجها، ثم أنزلها إليها.

والقطن والكتان مثلا من النبات، ومنهما يصنع الإنسان اللباس، لكن الذي يُنبتهما هو الماء، والماء ينزل من السماء. والماء ضروري لصناعة كل أنواع اللباس .

وأما تساؤل شحرور عن " كيف نوفق بين ((إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً [يوسف : 2]) . وقال: { إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ [القدر : 1] }. فكيف نفهم إنزال الحديد وإنزال القرآن؟)[1]. فالأمر واضح جدا، أنزله الله تعالى بلسان عربي وليس بلسان آخر. والقرآن أنزله كله مرة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر. وأما الحديد فهو أيضا تم إنزاله من السماء كما بيناه أعلاه. فأين الإشكال ، أو التناقض؟؟

وأما اعتراض شحرور بقوله : (أما عن التنزيل فقال: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلاً [الإنسان : 23]). وقال: (تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ [الجاثية : 2]) } . وقال: (تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ [فصلت : 2])، وقال: (تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ [الواقعة : 80])...)[2]. فالأمر هو أيضا واضح لمن تدبر وفهم القرآن بالقرآن، وكان طالبا للحق لا للتحريف. لأن أنزل من الإنزال، و" نزلنا" من التنزيل ، ومعناهما بيناه سابقا. وعليه فالله تعالى نزّل القرآن على محمد عليه الصلاة والسلام مفرقا في دفعات حسب حوادث الدعوة وظروفها، ولم يُنزله عليه دفعة واحدة عندما انزله كله إلى

1 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: 147 .

2 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: 147 .

السماء الدنيا. وبذلك يكون ذلك القرآن الذي نزل مُفرقا هو تنزيل من الله تعالى نزّله على نبيه. فهو تنزيل وليس إنزالا، فأين الإشكال هنا ؟؟ .

وأما قوله : { أما التنزيل فكيف نوفق بين قوله (تنزيل من رب العالمين} (الواقعة 80) و {إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً} (الإنسان 23) وبين قوله: {ونزلنا عليكم المن والسلوى} (طه 80)؟ }[1]؛ فلا يوجد أي إشكال، ولا تناقض، لأن تلك الآيات كلها تكلمت عن التنزيل لا الإنزال، وعبارة" نزّلنا " من التنزيل وليست من الإنزال، وفِعله " أنزلنا " . وعليه فالذي حدث في تلك الآيات الإنزال المُجزّأ وليس الإنزال الكلي مرة واحدة. فالله تعالى أنزل القرآن على نبيه بعدما أنزله إلى السماء الدنيا في ليلة القدر ، ثم أنزله بعد ذلك مُفرقا. وكذلك أنزل ذلك الرزق على بني إسرائيل عندما كانوا في أرض التيه مُفرقا. بمعنى أوصله إليهم مفرقا حسب قبائلهم .

وأما قوله :{ وكيف نفهم (وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ [البقرة : 57]) ؟ أي كيف نفهم الإنزال والتنزيل في المن والسلوى وفي القرآن.فعن القرآن قال: ‘‘نزلنا وأنزلنا’’ وعن المن والسلوى قال أيضاً: ‘‘نزّلنا، وأنزلنا’’ وعن الماء قال: (وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً [الفرقان : 48]) ،وقال: (وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكاً فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ [قـ : 9]) .وعن الذكر قال: (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ...[النحل : 44]) . فما هو الإنزال والتنزيل للقرآن؟ والإنزال والتنزيل للمن والسلوى؟ والإنزال والتنزيل للماء؟ والإنزال والتنزيل للملائكة والذكر حيث قال عن الملائكة : (وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلآئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى ...[الأنعام : 111]) ،و(وَقَالُواْ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكاً لَّقُضِيَ الأمْرُ ثُمَّ لاَ يُنظَرُونَ [الأنعام : 8]). كيف نفهم الإنزال والتنزيل في هذه الحالات بشكل ينسجم بعضها مع بعض وينسجم مع قوانين الحقيقة. أي يجب أن يكون بينهما رباط منطقي مع مطابقة موضوعية}[2].

فأقول: إن الجمع بين " الإنزال " و"التنزيل" في تلك الآيات حسب مواضعها، ليس إشكالا ولا تناقضا إذا فهمناها فهما صحيحا وفسرناها بالقرآن الكريم في تفريقه بين الإنزال والتنزيل كما بيناه سابقا. وعليه فإن

---

1 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: 147 .

2 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: 147 .

إنزال المن والسلوي على بني إسرائيل في أرض التيه تضمن إنزاليّن:الأول يتعلق بالإنزال ككل وبشكل عام من البداية إلى النهاية دون تفريق بين المراحل التي مر بها، ولا بالرزق المُنزل. وأما " التنزيل " فيتعلق بالمرحلة الأخيرة وحدها، وفيها تم التفريق بين نوعي الرزق، وتوزيع كل نوع، ثم تفريق النوعيّن على قبائل بني إسرائيل الاثنتي عشرة،{ وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطاً أُمَماً [الأعراف : 160]}. والله أعلم بالصواب.

وفيما يتعلق بالتوفيق بين " الإنزال " ، و" التنزيل في القرآن فقد سبق أن بيناه أعلاه. وأما التوفيق بين إنزال المطر وتنزيله ، فعندما ننظر إليه كظاهرة طبيعية عامة ينزل على الأرض فهو إنزال، لكن عندما ننظر إليه حسب سقوطه على الأقاليم والمناطق المناخية كماً وزماناً وفصولاً، فهو تنزيل. وأما التوفيق بين تنزيل الملائكة، وإنزال المَلَك ، فهو أيضا واضح، ففي قوله تعالى: (وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلآئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللّهُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ [الأنعام : 111])، فإن كلمة" نزّلنا" تتعلق بإنزال مُتعدد ومُفرّق للملائكة، يتنزلون إلى المشركين ، فهو تنزيل وليس إنزالا . وأما الإنزال في قوله تعالى: (وَقَالُواْ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكاً لَّقُضِيَ الأمْرُ ثُمَّ لاَ يُنظَرُونَ [الأنعام : 8])، فهو يتعلق بإنزال واحد وكلي، لا تعدد فيه ولا تفريق.

وبذلك يتبين أن الاعتراضات والتساؤلات والشبهات التي أثارها شحرور حول الإنزال والتنزيل ليست إشكالات ولا متناقضات، وفهمها بالقرآن الكريم ليس غامضا ولا صعبا، ولا مستحيلا؛ وكان يُمكنه فهمها لو رجع إلى القرآن وفهمه فهما صحيحيا وتركه يتكلم ويُفسر نفسه بنفسه. لكنه لم يفعل ذلك لأنه صاحب هوى يحمل تفسيرا ذاتيا تحريفيا مُسبقا ليفرضه على تلك الآيات لغايات في نفسه.

وبما أن الأمر كما بيناه أعلاه، فإن اعتراضات شحرور على عبارتي " الإنزال"، و"التنزيل " في القرآن هي اعتراضات زائفة متهافتة. وتعريفه لمعنى " الإنزال"، و" التنزيل" هو تعريف ذاتي تحريفي وباطل ومخالف لما قاله القرآن الكريم عن معنى الكلمتين. لأنه أسقط أصل معنى " الإنزال"،و" التنزيل"، وهو الإسقاط، والحَط، والإهباط من أعلى إلى أسفل. فجاء تعريفه ذاتيا تحريفيا ناقصا فاسدا وفارغا من معنى " الإنـزال "،

والتنزيل"، في القرآن الكريم واللغة العربية الموافقة له. وعليه فإن المثاليّن اللذين أوردهما شحرور وشرح بهما تعريفه والمُتعلقيّن بالمباراة والجبل، لا يصلحان لشرح وتفسير معنى " الإنزال"، و" التنزيل" في القرآن. لأنهما تضمنا معنى النقل، والتصوير، والرسم ، والكشف، ولم يتضمنا معنى الإنزال . فمثاله الأول تضمن الكشف عن شيء غير مرئي إلى مرئي. غيُر مُدرَك إلى مُدرَك. وهذا ليس إنزالا،ولا تنزيلا، لان الكشف لا يتضمن بالضرورة الإنزال، فقد يتم على مستوى أفقي . وكذلك الإنزال لا يلزم الكشف ، فقد يُنزل شيء ما من مكان مرئي إلى آخر مرئي . وأما المثال الثاني المتعلق بالجبل فليس إنزالا ولا تنزيلا، ولم يتضمن معنى الإنزال أصلا، ولا حدث فيه إنزال حقيقي وإنما هو رسم ونسخ.

وبذلك يتبين أن المثاليّن اللذيّن شرح بهما شحرور معنى الإنزال والتنزيل لا يصلحان لذلك، لأنهما لم يتضمنا معنى الإسقاط، والحَط، والإهباط من أعلى إلى أسفل. فلا توجد فيهما عملية إنزال ولا تنزيل أصلا. فلا تعريفه صحيح ولا المثالان صحيحان يعبران عن الإنزال والتنزيل كما ورد في القرآن الكريم من جهة، وكل ما بناه من أفكار على تعريفه لهما فهو باطل من جهة أخرى.فالأمر كله تحريفات وأوهام وأهواء لغايات في نفس شحرور.

ثانيا: نقض تأويل شحرور لمعنى الأمي في القرآن:

عرّف الكاتب محمد شحرور معنى الأمي في القرآن الكريم، فقال: (أولاً: لنعرف ما معنى كلمة الأمي التي وردت في الآيات السابقة. لقد أطلق اليهود والنصارى على الناس الذين لا يدينون بدينهم أي ليسوا يهوداً ولا نصارى لفظ الأمي (وجاءت من كلمة غوييم العبرية "الأمم"). وهو ما نعبر عنه اليوم بالدهماء أو الغوغاء أو العامة، لأن هؤلاء الناس كانوا جاهلين ولا يعلمون ما هي الأحكام في كتاب اليهود والنصارى، والنبوات التي جاءت لهم. ومن هنا جاء لفظ الأمي التي تعني:

1 – غير اليهودي والنصراني.

2 – الجاهل بكتب اليهود والنصارى...

وهذا واضح في الآية رقم 20 من آل عمران (وَقُل لِّلَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ [آل عمران : 20]) فالذين أوتوا الكتاب هم اليهود والنصارى والباقي من الناس هم الأميون)[1].

أقول: ذلك التعريف ناقص جدا، ولا يُعبر عن المفهوم الشامل والصحيح والدقيق، لمعنى الأمي في القرآن والسنة واللغة العربية. وهو تعريف ذاتي تحريفي أكثر مما هو تعريف علمي ، قاله شحرور وفصّله على مقاسه لغايات في نفسه. وعليه فإن التعريف الصحيح لمعنى الأمي يجب أولا تعريفه من القرآن الكريم، ثم من السنة النبوية ثانيا، ثم بأقوال العلماء المختصين في علوم الشريعة واللغة العربية ثالثا. وأي تعريف لمعنى الأمي لا ينطلق من تلك المصادر فلن يكن تعريفا علميا صحيحا دقيقا شاملا مقبولا.

أولا: إن الأمي في القرآن الكريم ليس هو الذي لا علم له بكتب اليهود والنصارى وليس منهم ؛ وإنما هو أوسع من ذلك وأدق، ويعني أن الأمي هو الذي لم يتعلم علما من العلوم سماعا ولا قراءة. وهذا التعريف ينطبق انطباقا تاما على النبي الأمي الخاتم محمد عليه الصلاة والسلام. بدليل الآيات القرآنية الآتية:

منها قوله تعالى:((هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (الجمعة : 2)). هؤلاء العرب الأميون الذين أُرسل فيهم خاتم الأنبياء من أحوالهم وصفاتهم أنهم : لم يكن لهم علم بتزكية ولا بكتاب إلهي، ولا بحكمة ربانية، وكانوا في ضلال مُبين، فجاء محمد-عليه الصلاة والسلام- ليعلمهم الكتاب والحكمة والتزكية وليخرجهم من الضلال المُبين وهو نفسه كان مثلهم أيضا قبل نبوته. فهم كانوا أميين لعدم علمهم بالتزكية والكتاب والحكمة، ولأنهم كانوا في ضلال مبين. فهم أميون بتلك الصفات.

الثانية، قوله تعالى:((وقل لِّلَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ))-آل عمران : 20 -، نحن أمام أمتين، أمة كان عندها في الأصل كتاب إلهي فلها علم به ، فهي من أهل الكتاب . وأمة أخرى ليس عندها كتاب إلهي ، فلا علم لها به، فهي ليست من أهل الكتاب، وهي أمة العرب قبل الإسلام وغيرها من الأمم التي ليس عندها كتاب إلهي.فالأصل

1 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: 139 – 140 .

هنا هو وجود الكتاب والعلم به أي لا أمية، أو عدم وجود الكتاب ولا العلم به ،أي وجود أُمية .

وقد سمى اليهود والنصارى غيرهم من الشعوب بالأميين بدعوى انه لا علم لهم بالكتب المنزلة عليهم. قال تعالى: (وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِماً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ **لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ** وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ [آل عمران : 75]).

الثالثة ، قوله تعالى عن اليهود: ((وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ)(البقرة : 78)). هؤلاء الصنف من اليهود وصفهم الله بالأميين رغم أن اليهود من أهل الكتاب ،وسموا غيرهم بالأميين لعدم معرفتهم بالكتاب الإلهي. تلك الطائفة من اليهود هي من الأميين، لأنهم لا يعلمون الكتاب فهماً ولا سماعاً ولا قراءة ولا كتابة، وإنما يتمنون ويظنون، فهم جاهلون بكتابهم . وذلك الوصف هو وصف عام يشمل كل مظهر من مظاهر الأمية،فنحن أمام أميين من أهل الكتاب، لأنه لا علم لهم بكتابهم.

وبذلك يتبين من تلك الآيات أن معنى الأمي وتعريفه هو الذي لا علم له بالكتاب الإلهي فهما ولا ممارسة ولا قراءة من جهة؛ وهو الذي لا علم له بالعلوم الأخرى أيضا. لأن الأمية لا تقتصر على عدم العلم بالكتاب الإلهي فقط، وإنما هي تشمل أيضا كل أنواع العلوم والكتب الأخرى. فالذي له علم بعلوم الكتاب الإلهي ويجهل العلوم الأخرى، فهو أمي في العلوم التي لا يعرفها. والذي له علم بالعلوم الطبيعية ويجهل العلوم الشرعية، فهو أمي في علوم الشريعة. وهذا المفهوم سيتعمق أكثر لاحقا عندما نستخرج صفات النبي الأمي محمد عليه الصلاة والسلام من خلال الآيات القرآنية التي نصت على أنه كان أميا لا يعلم علما من العلوم سماعا ولا قراءة ولا كتابة.

ثانيا: عثرتُ على حديثين نبويين يُساعدان على تحديد معنى الأمي: الأول صحيح ، والثاني ضعيف لكنه يصلح لتحديد معنى الأمي ، بحكم أنه أثر قديم، وموافق لما قاله القرآن والحديث الأول، ولما قاله كثير من أهل العلم.

الأول، مفاده أن النبي-عليه الصلاة والسلام قال: ((إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسُبُ ، الشَّهْرُ هَكَذَا وَهَكَذَا يَعْنِي مَرَّةً تِسْعَةً وَعِشْرِينَ وَمَرَّةً ثَلَاثِينَ))[1].

---

1 البخاري: الصحيح، ج 3 ص: 28.

واضح من الحديث أنه عرّف الأمية بعدم العلم ، فأمة العرب لم يكن لها علم بالكتابة ولا بالحساب غالبا، والكتابة علم، والحساب علم أيضا. وجمعه بين الكتابة والحساب هو شاهد قوي على أن الأمية تعني عدم العلم بالسماع وبغيره ولا تقتصر على عدم القراءة والكتابة ، بل إن الحديث لم يذكر القراءة هنا أصلا. كما أنه ذكر جانبا واحدا من أمية العرب التي كانوا عليها. فلا شك أن أمية العرب كانت تشمل جوانب أخرى، بدليل قوله تعالى: ((هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (الجمعة : 2)).

علما بأن ذلك الحديث ليس وصفا لأمة الإسلام، وإنما هو وصف لأمة العرب قبل الإسلام ، لأن أمة الإسلام جاء الإسلام ليزكيها ويعلمها الكتابة والحكمة. قال تعالى: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ [الجمعة : 2]) . وقد تحقق ذلك في الواقع، بالقرآن وبتعليم النبي-عليه الصلاة والسلام- لأمته القرآن والسنة. وعلى يديه ظهرت طائفة القراء الذين تفرغوا للعلم سماعا وقراءة وكتابة.

الحديث الثاني: هو حديث ضعيف ، لكنه يصلح شاهدا لغويا معبرا عن معنى الأمي عند السلف الأول ،و يؤيد ما ذكرناه عن معنى الأمي من جهة ، ويتقوى معناه بالحديث الصحيح وبالآيات المذكورة سابقا من جهة أخرى. ومضمونه ((أن الله يُعافي الأميين يوم القيامة ، ما لا يُعافي العلماء))[1] . فالأميون مقابل العلماء، فهم الذين لا يعلمون ، فلا علم عندهم بالسماع ولا بالقراءة ولا بالكتابة. فهذا الحديث والذي سبقه بيّنا أن الأمية تعني عدم العلم بأي علم، وليست مقتصرة على عدم معرفة القراءة والكتابة، ولا على معرفة علوم الشريعة، ولا على كتب أهل الكتاب.

ثالثا: توجد شواهد كثيرة من أقوال العلماء المتقدمين والذين من بعدهم، تُحدد معنى الأمي تحديدا صحيحا، وتتفق مع النصوص الشرعية التي حددت معنى الأمي. منهم: المفسر مجاهد بن جبر(ت 103هـ) ، فسّر معنى الأميين في قوله تعالى : ((وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ))(البقرة : 78)) ، بأنهم أناس من اليهود لا يفقهون الكتاب

1 ابن الجوزي: العلل المتناهية ،ط1 ، تحقيق : خليل الميس دار الكتب العلمية – بيروت ، 1403 ،ج 1 ص: 140 . و ابن كثير : تفسير ابن كثير ، ج 1 ص: 124 . و الألباني: السلسلة الضعيفة ، مكتبة المعارف – الرياض ،ج 7 ص: 155 .

الذي أنزله الله على موسى-عليه السلام- [1]. فَهُم لا علم لهم بالكتاب، ولم يتعلموه ، لذا فهم من الأميين.

الثاني : إمام الحنفية أبو حنيفة النعمان (ت150هـ) ، يقول : إذا تعلّم الأمي سورة أثناء الصلاة ، فإنه يقرأها و يبني عليها ، ثم غيّر فتواه[2]. والشاهد هنا قوله " إذا تعلّم الأمي سورة "، فالذي لا يحفظ سورة فهو من الأميين، وإذا تعلمها فهو ليس منهم فيما يتعلق بذلك الأمر. فالأمية هنا عدم التعلم .

الثالث: المؤرخ محمد بن إسحاق بن يسار المديني (ت 151 هـ) صاحب السيرة النبوية المشهورة ، قال : ((كانت العرب أميين لا **يدرسون** كتابا ،**ولا يعرفون** من الرسل عهدا))[3] . فهم أميون لأن من صفاتهم أنهم لا يدرسون كتابا سماعا ولا قراءة ، ولا عِلم لهم بأخبار الرسل.

الرابع: الفقيه أبو يُوسف يعقوب (ت 182 هـ) صاحب أبي حنيفة ، كان يقول عن صلاة الأمي : ((و أما نحن فنرى إذا صلى الأمي بقوم أميين وبقوم يقرؤون فصلى بهم تمام الصلاة ، و قد قعد قدر التشهد ، ثم عَلِمَ سورة ، إنه تُجزيه صلاته ،وصلاة من خلفه ممن لا يقرأ . وأما من كان يقرأ فصلاته فاسدة))[4] . واضح من كلامه أن الأمي هو الذي لا يحفظ شيئا من القرآن، فإذا عَلِم سورة أي حفظها ارتفعت أميته. فعدم الحفظ من صفات الأمية، والحفظ من صفات التعلم والمُتعلم.

الخامس: الفقيه محمد بن الحسن الشيباني (ت 189هـ) ،ذكر أنه سأل صاحبه أبا حنيفة النعمان فقال له : ((أرأيت رجلا أميا صلى بقوم أميين ، ومنهم من يقرأ ، و فيهم من لا يقرأ ...)) . و سأله أيضا : ((أرأيت إن افتتح بهم الصلاة وهو أمي ، فصلى بهم تمام الصلاة ، فلما قعد قدر التشّهد و لم يُسلّم ، عَلِمَ سورة ...)) . و سأله أيضا : ((قُلتُ : إذا افتتح أمي بقوم الصلاة ، فصلى بهم ركعة ، أو ركعتين ، أو ثلاثة ، ثم عَلِمَ سورة . قال : صلاتهم فاسدة . قلتُ : وكذلك لو كان فيهم قوم يقرؤون . قال : نعم))[5] . واضح من كلامه أن الذي لا يحفظ شيئا من القرآن هو من الأميين، وأما

1 الطبري: تفسير الطبري ، ج 1 ص: 416 ، ج 10 ، ص: 152 . و ابن كثير : التفسير ، ج 1 ص: 165 .

2 محمد بن الحسن الشيباني: المبسوط ، ج 1 ص: 185 .

3 السيرة النبوية ، ص: 22 .

4 محمد بن الحسن الشيباني المبسوط ، ج1 ص: 186 .

5 محمد بن الحسن الشيباني ، المبسوط ج 1 ص: 185، 186 ، 187 .

الذي يحفظه فليس منهم. والقراءة المذكورة تعني قراءة الحفظ وليست القراءة من كتاب.

السادس: إمام الشافعية محمد بن إدريس الشافعي(ت 204 هـ) ، قال:((فإن أَمّ أمي بمن يقرأ أعاد القارئ ، وإن اِئتم مثله أجزأه))[1]. نفس معنى الأمي المذكور أعلاه، فالذي لا يحفظ القرآن هو من الأميين، والذي يحفظه فليس منهم، لأنه عَلِمَ شيئا من القرآن .

السابع: شيخ بصري نقل عنه أبو عثمان الجاحظ (ت 250 أو 255 هـ) أنه كان يقول عن أمية النبي-عليه الصلاة والسلام- : ((إن الله إنما جعل نبيه أميا لا يكتب ولا يحسب ،ولا ينسب ولا يقرض الشعر ،ولا يتكلف الخطابة، ولا يتعمد البلاغة لينفرد الله بتعليمه الفقه وأحكام الشريعة ويقصره على معرفة مصالح الدين دون ما تتباهى به العرب من قيافة الأثر وعيافة الطير ومن العلم بالأنواء وبالخيل وبالأنساب...))[2]. ذلك الشيخ عرّف الأمية تعريفا صحيحا جامعا واضحا، فالنبي-عليه الصلاة والسلام- كان أميا لأنه لم يتعلم علما من العلوم وإنما الله تعالى هو الذي تولى تعليمه. ولا ينقص من هذا التعريف عدم معرفتنا باسم ذلك الشيخ الذي عاش في زمن الجاحظ أو قبله ، لأن الشاهد هنا هو تعريف الأمي عند أهل العلم من المتقدمين، فكان هذا الشيخ البصري من بين الذين عَرّفوا الأمية تعريفا صحيحا شاملا موافقا للشرع والواقع من جهة، وأن معنى الأمي في أيامه وعصره كان يعني عدم تعلم علم من العلوم من جهة أخرى، وليس معناه كما زعم محمد شحرور.

الثامن: النحوي اللغوي أبو علي قطرب (206 هـ) عرّف الأمية بقوله: ((الأمية الغفلة والجهالة))[3]. بمعنى قلة الفهم وعدم العلم. فالأمي هو الذي لم يتعلم العلم فهو جاهل به وغافل عنه.

التاسع: المفسر ابن جرير الطبري(ت 310هـ-) فسر قوله تعالى: ((وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ (البقرة : 78))، بقوله: ومعناه، ومنهم فريق لا يكتبون، ولا يدرون ما في الكتاب الذي عرفتموه الذي هو عندهم))[4]. ونصّ على أن الأمة الأمية من العرب

---

1 إسماعيل بن يحيى المزني : مُختصر المزني ، ص : 26 .

2 الجاحظ : البيان و التبيين ، الطبعة الأولى دار صعب – بيروت ، 1968ج 1 ص: 405 ، 574 .

3 الراغب الأصفهاني: غريب القرآن ، ص: 23 .

4 الطبري: تفسير الطبري، ج 2 ص: 260 .

هم الذين ((لا يقرؤون كتابا ،ولا وعوا من علوم أهل الكتاب علما ...))[1].
جمع الطبري بين صفتين من صفات الأمي، هما: جهل الكتابة وعدم العلم بالكتاب دراية وفهماً. فالأمي هو الذي لا علم له بالكتاب سماعا ولا قراءة ولا كتابة.

العاشر: اللغوي أبو القاسم الزجاج (ق: 4 هـ)، قال: ((الأمي الذي على خِلقة الأمة لم يتعلم الكتاب فهو على جبلته))[2]. فالأمي هو الذي لم يتلق تعليما وبقي على جبلته التي خُلق عليها.

الحادي عشر: المفسر أبو الليث السمرقندي الحنفي (ق: 4هـ)، أورد قول الزجاج وعقب عليه فقال: ((قال الزجاج :الأمي المنسوب إلى ما عليه جبلة الأمية. يعني هو على الخِلقة التي خُلقت لأن الإنسان في الأصل لا يعلم شيئا ما لم يتعلم))[3]. فالأمي هو الذي لم يتعلم علما سماعا ولا قراءة ولا كتابة.

وآخرهم- الثاني عشر: المحدث مجد الدين بن الأثير الجزري(ت 606هـ) أورد حديث: ((''إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب'' وعلّق عليه بقوله: ((أراد أنهم على أصل ولادة أمهم لم يتعلموا الكتابة والحساب فهم على جبلتهم الأولى))[4]. معنى كلامه أن العرب كانوا أميين لأنهم لم يعلموا العلم وبقوا على جبلتهم الأولى كما ولدتهم أمهاتهم.

وبذلك يتبين بأدلة الشرع وأقوال العلماء أن التعريف الصحيح للأمي هو الذي لم يتعلم علما من العلوم سماعا ولا قراءة ولا كتابة ، ولا كان يعرف القراءة ولا الكتابة ولا كان قادرا على تأليف الكتب، وليس هو فقط الذي لا يقرأ ولا يكتب فهذه صفة جزئية من صفات الأمي لأنه يُمكن أن يكون الإنسان عالما مؤلفا وهو لا يعرف القراءة ولا الكتابة. فتعريف شحرور لمعنى الأمي ليس صحيحا.

ثم واصل شحرور كلامه عن الأمي، فقال**:** (وفي سورة الأعراف الآية 157. (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ [الأعراف : 157]) أمي لأنه ليس منهم لأنه قال: (الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ [الأعراف : 157]) وكذلك جاءت في الآية 158 حيث أتبعها بأن محمدا

---

1 تفسير الطبري ، ج 1 ص: 141 و ما بعدها ، 416 و ما بعدها ، و ج 4ص: 639 .

2 ابن منظور الافريقي: لسان العرب، ج 6 ص: 63 .

3 أبو الليث السمرقندي الجنفي: بحر العلوم ، ج 1 ص: 93 .

4 أبو السعدات بن الأثير الجزري: النهاية في غريب الحديث والأثر، ج 1 ص: 53 .

صلى الله عليه وسلم هو رسول الله إلى الناس جميعاً اليهود والنصارى والأميين علماً بأنه لم يكن أصلاً يهودياً ولا نصرانياً بل من الفئة الثالثة وهي الأميون... ومن ها هنا نرى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أمياً بمعنى أنه غير يهودي وغير نصراني، وكان أمياً أيضاً بكتب اليهود والنصارى وكانت معلوماته عن كتبهم هي بقدر ما أوحي إليه بعد بعثته صلى الله عليه وسلم.)[1].

أقول: ذلك القول هو من تحريفات شحرور،إنه حصر معنى الأمي في معنى ضيق يعني عدم العلم بكتب أهل الكتاب، وعدم الانتساب إليهم ، مع أن معنى الأمي أوسع من ذلك بكثير وليس محصورا فيه، ولا يصح إضافة شرط عدم الانتساب إلى أهل الكتاب. لأن هذا ليس شرطا علميا وإنما أضافه اليهود والنصارى ولا يصح الأخذ به. وعليه فإن المعنى العام والصحيح للأمي هو عدم تعلم علم من العلوم، ولا يتغير المعنى . كقولنا: هؤلاء أميون لم يتعلموا علما من العلوم سماعا ولا قراءة من الكتب، فهذه أمية عامة . وإذا قلنا: هؤلاء علماء بعلم الفيزياء وأميون في علوم الشريعة.،هذه أمية خاصة، لأنهم هم من علماء الفيزياء، ومن الأميين بعلوم الشريعة. فهل معنى الأمية تغير؟، وماذا يعني ذلك؟. لم يتغير معنى الأمية والذي يعني عدم تعلم علم من العلوم سماعا ولا قراءة، وإنما الذي حدث أن مجاله في القول الأول كان واسعا شمل عدم تعلم أي علم من العلوم والثاني ضاق مجاله وأصبح يعني معرفة علم من العلوم وجهل علوم أخرى. والنبي عليه الصلاة والسلام كان أميا بالمعنى العام لا الخاص فقط، فهو كما انه لم يكن له علم بكتب اليهود والنصارى، ولا كان منهم فهو أيضا، لم يتعلم أي علم من العلوم سماعا ولا كتابة قبل نبوته ولا بعدها.ثم أصبح عالما بالنبوة لا بالتعلم، بدليل قوله تعالى: (وَأَنزَلَ اللّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً [النساء : 113]). فهو علم نبوة لا علم كسبي، وعليه فالنبي كان أميا وبقي أميا لذلك، وصفه الله تعالى بالنبي الأمي، وهو وصف حقيقة وتشريف لا وصف ذم ولا تحريف للتاريخ.

ثم قال شحرور: (أما إسقاط هذا المعنى على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أمياً أي لا يقرأ ولا يكتب فهذا خطأ، فكما قلت: إن الكتابة هي تجميع الأشياء بعضها إلى بعض لإخراج معنى مفيد "موضوع" فهل كان النبي صلى الله عليه وسلم عاجزاً عن تأليف جملة مفيدة أو كتابة كتاب "تأليف"؟ إنّ الكتاب الذي أرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى كسرى هو

1 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: 140 .

كتاب النبي صلى الله عليه وسلم لأنه هو الذي أملاه وصاغه. والقراءة تعني العملية التعليمية "تتبع المعلومات" ثم القدرة على استقراء نتائج منها ومقارنتها بعضها ببعض. فالاستقراء والمقارنة جاءا من القراءة، فهل كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يقرأ؟)[1].

أقول: قوله فيه تحريف وتلاعب، وكلام بلا علم. وقد نفى أمية النبي عليه الصلاة والسلام دون دليل. كما أنه أخلط بين المعرفة العامة التي يعرفها كل الناس ولا تسمى علما، وبين العلم بمعنى التعلم ومعرفة علم من العلوم ،أو أكثر . ولاشك أن الأميين الذين لم يتعلموا علما من العلوم لهم القدرة على نطق جملة مفيدة وإملاء رسالة أو خطاب ليُكتب ويرسل إلى من يريدون. لكن هذه معرفة عامة بحكم إنهم بشر يعقلون ويتكلمون ولهم تجارب في الحياة ،وهذه معرفة فطرية . لكنهم لن يستطيعوا معرفة علم من العلوم، ولا أن يقرؤوا كتابا، ولا أن يؤلفوا مُصنفا، ولا أن يكتبوا رسالة ولا جملة. والنبي أملى رسائل أرسلها إلى الملوك، بحكم أنه نبي، لأن الله تعالى علمه علما لدنياً، لكنه لم يُعلمه الكتابة والقراءة من الكتب،ولا علمه علم النبوة بالتعلم على طريقة عامة الناس، وبقي أميا طوال حياته . وكان له كُتاب يكتبون له القرآن والرسائل التي وجهها إلى الملوك وغيرهم.

ثم أن شحرورا قال: (قد يقول البعض – وهذه هي الحجة التي يوردها كثير من الناس – إنه عندما جاء الوحي إلى محمد صلى الله عليه وسلم قال له: اقرأ، فأجاب النبي صلى الله عليه وسلم: ما أنا بقارئ، واستنتجوا أنه لا يقرأ. وأقول إنه إذا أمر سعيد زيداً أن يذهب، فقال زيد "ما أنا بذاهب" فهل هذا يعني بالضرورة أن زيداً مشلول أو بلا أقدام. هل هذا يعني أن زيداً لا يستطيع الذهاب أو أنه لا يريد الذهاب. ثم هل يعني أن جبريل قدم للنبي صلى الله عليه وسلم مادة مخطوطة لكي يقرأها خطأً. فهنا خلطنا بين إرادة النبي صلى الله عليه وسلم للقراءة وبين عدم استطاعته، وظننا أن جبريل قدم له مادة مخطوطة على قرطاس ليقرأها، لأنه عندما قال له في المرة الثالثة: اقرأ فأجاب النبي صلى الله عليه وسلم: ما أنا بقارئ. فقال جبريل : (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ [العلق : 1]). فسكت النبي صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآيات ولم يقل ما أنا بقارئ)[2].

أقول: ذلك القول زعم باطل بلا شك، وقبل تفصيله أذكر أولا حديث نزول الوحي على النبي محمد عليه الصلاة والسلام: (عن عائشة أم

1 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: 141 .

2 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: 141 .

المؤمنين أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ؛فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ،ثم حُبب إليه الخلاء .وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه. وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك. ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء. فجاءه الملك فقال: اقرأ ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ ،قلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ ، فقلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: {اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم} ؛فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع) ...)[1].

واضح من الحديث، أن الإصرار والتكرار من جبريل على الأمر بالقراءة ثلاث مرات يُشير إلى أنه أمره بالقراءة من شيء مكتوب في صورة ورقية أو إلكترونية، فلا يوجد أي مانع من أن يأمره بذلك، ونحن في عصرنا عندنا نصوص ورقية وأخرى إلكترونية. كما أن إصرار وتكرار النبي عليه الصلاة والسلام على رفض القراءة بقوله: (ما أنا بقارئ) ، هو دليل دامغ بأنه يعني أنه لا يستطيع أن يقرأ لأنه أمي، وليس أنه لا يريد أن يقرأ.

كما أن توقف جبريل عليه السلام عن الأمر بالقراءة، وتوقف النبي عليه الصلاة والسلام عن قوله : " ما أنا بقارئ " يعني أن جبريل توقف عن الأمر بالقراءة من شيء مكتوب، ثم أمره بأن يتبعه بالقراءة لفظا لا قراءة من كتاب. بمعنى أنه أمره أن يكرر ما يقرأ عليه. وهنا توقف النبي عليه الصلاة والسلام عن قوله " ما أنا بقارئ" واتبع جبريل في القراءة لفظا لا كتابة. وهذه هي الطريقة التي كان جبريل ينزل بها عليه بالوحي.قال تعالى: (فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ([القيامة : 18-19). فالنبي عليه الصلاة والسلام كان فعلا أميا ، ومن أميته أنه لم يكن يقرأ ولا يكتب.

وأما المثال الذي اعترض به شحرور على من يستدل بأن النبي لم يكن يقرأ بقوله " ما أنا بقاري "، فهو مثال لا يصلح للاعتراض، لأن القول " ما أنا بذاهب " يختلف عن القول" لا أذهب" الأول يعني أنه يوجد مانع يمنعه

1 مسلم : الصحيح، رقم: 6378 ، ج 1 ص: 7 ، ص: 3 .

من الذهاب، والثاني يعني أنه هو لا يريد أن يذهب مع قدرته على الذهاب. وعليه فوجود المانع هو الذي يمنعه من الذهاب، فإن كان مانعا دائما كأن يكون مشلولا، فهو لن يذهب بمفرده. وإن كان مؤقتا، كمرض عارض، أو أمر طارئ، فهو سيذهب عندما يزول المانع ،وفي الحالتين لا يستطيع أن يذهب حالا . وأما بالنسبة للنبي عليه الصلاة والسلام، فهو عندما قال" ما أنا بقارئ"، فهو قد نفى عن نفسه معرفته بالقراءة مُطلقا وأصر على موقفه، لأنه لا يعرفها. وبما أن الأمر كذلك، وبينا في هذا المبحث بأدلة شرعية ولغوية وتاريخية أن النبي كان أميا لم يتعلم علما من العلوم سماعا ولا قراءة، فإن قوله " ما أنا بقارئ" يعني قطعا أنه كان يعني به عدم معرفته للقراءة.

ثم أن شحرورا قال: (قد يقول البعض: ألم يكن النبي صلى الله عليه وسلم أمياً بمفهومنا الخاطئ للقراءة والكتابة؟ أقول: نعم لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم من أول حياته إلى وفاته أمياً بالخط أي كان لا يخط ولا يقرأ المخطوط وجاء هذا المعنى في قوله تعالى : (وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ [العنكبوت : 48]) ،و(بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ [العنكبوت : 49])[1].

أقول: ذلك القول باطل قطعا، وهو من أوهام شحرور وأهوائه لغايات تحريفية في نفسه.، وهو قد أقام كتابه كله على التحريف والافتراء والغش والخداع . والحقيقة أن النبي عليه الصلاة والسلام كان أميا بمعنى أنه لم يتعلم علما من العلوم سماعا ولا قراءة، كعدم معرفته بالخط كتابة ولا قراءة، لأن هذا هو أيضا من العلم الذي يُتعلم.فأميته كانت عامة تعني عدم تعلمه أي علم من العلوم، وهذا ينقض زعم شحرور الذي نفى تعلمه للخط وقراءته ولم ينف عنه تعلمه للعلوم سماعا . والأدلة على بطلان زعمه وصحة ما قلتُه كثيرة جدا أذكر منها ما الأدلة الآتية:

أولها : بما أنه سبق أن بينا المعنى الصحيح للأمي بأدلة الشرع وأقوال علماء الشريعة واللغة، فتبين أن معنى الأمي هو الذي لم يتعلم علما من العلوم سماعا ولا قراءة، ولا خطاً ولا كتابة. وبما أن الأمر كذلك، والله تعالى قد وصف نبيه محمد بأنه النبي الأمي في قوله سبحانه: (قُلْ يَا أَيُّهَا

1 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: 141 .

النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِـي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ **وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ** الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ [الأعراف : 158])،و(الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ **النَّبِيَّ الأُمِّيَّ** الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ [الأعراف : 157])؛ فلا شك أن النبي محمدا عليه الصلاة والسلام كان أميا لم يتعلم علما من العلوم سماعا ولا قراء كما يتعلم كل الناس؛ وإنما الله تعالى هو الذي علمه بعدما اصطفاه نبيا وأنزل عليه وحيه، علمه علم النبوة لا علم التعلم، فهو ليس علما مُكتسبا وإنما هو علم نبوة. ولو كان قد تعلم علما من العلوم سماعا أو قراءة كما يتعلم كل الناس لما سماه الله ووصفه بالنبي الأمي. فهو حتى بعد نبوته ما يزال مُتصفا بذلك لأنه لم يتعلم علما كما يتعلم الناس، وما يزال لا يقرأ ولا يكتب.

الدليل الثاني: قوله تعالى: ((وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ (العنكبوت: 48))، التلاوة هي القراءة ،وهنا عامة تعني الأمرين : التلاوة حفظاً، والتلاوة قراءة من كتاب، فالنبي-عليه الصلاة والسلام- لم يتعلم كتابا بالسماع ولا بالقراءة ولا بالكتابة، ولا كان له علم بكتاب من الكتب. وهذه الآية ذكرها شحرور فأخذ بشطرها الأخير، وأهمل شطرها الأول الذي نصّ بصراحة أن النبي عليه الصلاة والسلام لم يكن له علم بأي كتاب تعلما ولا حفظا ولا قراءة، لكنه لما كان محرفا فقد أغفل ذلك وفسر الآية حسب هواه كعادته .

الدليل الثالث: ، قوله تعالى: ((وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)(الشورى : 52)). فالنبي-عليه الصلاة والسلام- لم تكن له دراية ولا معرفة بالكتاب ولا بالإيمان والدين وشرائعه قبل أن ينزل عليه الوحي. وهذا يعني أنه لم يتعلم أي علم من العلوم ولا كانت له دراية به قبل نبوته بالسماع ولا بالقراءة ولا بالكتابة، فلما نزل عليه الوحي علمه الله علماً لدنياً بوحيه .

الدليل الرابع: ، قوله تعالى: ((((وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُوناً فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِياً فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (القصص : 45)). معنى ذلك : بما أن محمدا-عليه الصلاة والسلام- لم يكن حاضرا مع أهل مدين بما تلاه من أخبارهم وإنما الله تعالى هو الذي أوحى إليه ذلك،

فهذا يعني أن محمدا لم يكن عالما بأخبارهم قبل نبوته. فالنبي-عليه الصلاة والسلام- لم يكن له علم بهم لأنه كان أميا.

الدليل الخامس: ، قوله تعالى: ((تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (هود: 49)).فالنبي عليه الصلاة والسلام لم يكن له علم بأخبار الماضين، لأنه كان أميا. فمن مظاهر أمية نبينا-عليه الصلاة والسلام- أنه لم يكن على علم بأخبار الماضين هو ولا قومه. فلم يكن مطلعا عليه بالسماع ولا بالقراءة ولا بالكتابة.ولذلك وصفه مع قومه قبل النبوة بأنهم أميون (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ [الجمعة : 2]).

الدليل السادس، قوله تعالى: ((وَأَنزَلَ اللّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً (النساء: 113))، فالله هو الذي علم نبيه، فلم يكن نبينا متعلما ولا عالما ولا تعلم علما بالسماع ولا بالقراءة ولا بالكتابة وإنما الله تعالى هو الذي علم نبيه عليه الصلاة والسلام، لأنه كان أميا ولم يتعلم علما من العلوم سماعا ولا قراءة ولا كتابة.

الدليل السابع: يتعلق بتعريف النبي الأمي، هو قوله تعالى:((وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَـذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ (النحل : 103). واضح من الآية أن قريشا لم تتهم محمدا بأنه كان له عِلم أو تَعلم من قبل، وإنما زعمت أن بشرا يعلمه. فهو لم يكن تعلم علما ، ولا تعلم الذي يقول به ،ولو كان كذلك لما اتهمته قريش بأن بشرا يعلمه. لم تتهمه بذلك لأنها تَعلم انه كان أميا لم يتعلم علما من العلوم، وإلا كان من السهل لها أن تتهمه بذلك لو كان قد تعلم علما من العلوم.

الدليل الأخير – الثامن -: يتعلق بقوله تعالى: ((وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً)(الفرقان:5- 6)). الشاهد هنا هو أن المشركين قالوا بأن محمدا اكتتب ما جاء به من أخبار ولم يقولوا أنه كان يعلمها، ولا تعلمها، ولا قرأها ولا كتبها. بمعنى أنهم اتهموه بأنه يتلق ذلك من أناس مجهولين ، وهذا اعتراف تاريخي صادق وهام جدا بأن محمدا- عليه الصلاة والسلام- كان أميا لم يتعلم علما من العلوم سماعا ولا قراءة ،

ولا كان يكتب ولا يقرأ . سجله عليهم القرآن الكريم ووافقهم عليه من جهة وكذبهم من جهة أخرى عندما أبطل زعمهم بأن محمدا اكتتب القرآن عن أناس مجهولين، وقال لنبيه أن يقول لهم ولغيرهم: ((قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً)(الفرقان:5- 6)). فالنبي عليه الصلاة والسلام لم يتعلم علما من العلوم سماعا ولا قراءة، وإنما الله تعالى هو الذي علمه وأنزل عليه كتابه.

ومن خلال تلك الآيات يتبين منها أنها شرحت وبينت وحددت صفات ومعنى وصف القرآن للكريم لمحمد-عليه الصلاة والسلام- بأنه النبي الأمي.وعندما نجمعها يتضح لنا أن محمدا كان أميا لأنه لم يتعلم علما من العلوم، ولم يكن له علم بأي كتاب، ولا كان يتلو كتابا من الكتب، ولا كان يقرأ ولا يكتب، ولا كان عالما بأخبار المتقدمين؛ وإنما الله تعالى هو الذي علمه عندما أكرمه بالنبوة. فنبينا-عليه الصلاة والسلام- كان أميا لأنه لم يتعلم علما من العلوم ، وعِلمه الذي تعلمه لم يكن مُكتسبا وإنما كان علما إلهيا نبويا.

وختاما لهذا الفصل- الرابع- يُستنتج منه أولا، إن الكاتب محمد شحرور تبنى تعريفا تحريفيا لمعنى كلمتي " الإنزال" و" التنزيل " في القرآن الكريم، حرفه قصدا لغايات في نفسه. فقد فرّغهما من معناهما الأصلي، والذي يعني الإسقاط ، والحَط ، والإهباط من أعلى إلى أسفل. فلا تعريفه لهما كان صحيحا، ولا المثالان اللذان أوردهما لشرح تعريفه كانا صحيحين يعبران عن معنى الإنزال والتنزيل كما ورد في القرآن الكريم من جهة، وكل ما بناه من أفكار على تعريفه فهو باطل من جهة أخرى.

ثانيا: وتبين أيضا أن الأمي شرعا ولغة ليس هو الذي لا علم له بكتب أهل الكتاب، ولا هو الذي ليس منهم كما زعم شحرور، وإنما هو الذي لم يتعلم علما من العلوم سماعا ولا قراءة سواء كان من أهل الكتاب أم لم يكن منهم. وذلك هو حال النبي محمد –عليه الصلاة والسلام- فقد كان أميا بمعنى أنه لم يتعلم علما من العلوم سماعا ولا قراءة ولا كتابة، وليس فقط أنه لم يكن يقرأ ولا يكتب كما زعم شحرور؛ فهو قد كان كذلك لكنه لم يتعلم أصلا أي علم من العلوم. علماً بأن الذين حددوا أمية النبي-عليه الصلاة والسلام- من علماء الإسلام في أنه لا يقرأ ولا يكتب لم يقصدوا بأنه تعلم بالسماع ولا كان بمقدوره تأليف الكتب ، ولا أنهم نفوا العلم عن الذين

تعلموه بالسماع؛ وإنما عرّفوا الأمي بصفة جزئية ظاهرة عبروا بها عن الكل ، ومفاده أن الأمي هو الذي لم يتعلم علما من العلوم.

*****

الفصل الخامس
نقض متفرقات من أباطيل شحرور وأهوائه

النموذج الأول : نقض قول شحرور بأن القرآن عين كلام الله

النموذج الثاني:: نقض قوله بأن القرآن مُترجم إلى اللغة العربية من الكتاب المكنون

النموذج الثالث: نقض تفسيره لآية { فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ }
النموذج الرابع: نقض قول شحرور في القضاء والقدر
النموذج الخامس: نقض قوله بأن جمع القرآن تَمّ نهائيا في عهد عثمان

النموذج السادس: نقض قول شحرور بأن السنة النبوية ليست وحيا

النموذج السابع: نقض تفسيره لعدم أمر الرسول بتدوين سنته
النموذج الثامن: نقض قوله بأن السبب السياسي هو العامل الأساسي في جمع السنة
النموذج التاسع: نقض تعريف شحرور لمعنى " السلفية "
النموذج العاشر: نقض قوله بأن التوراة والإنجيل اليوم يحملان طابع المرحلية
النموذج الحادي عشر: نقض قوله بأنه توصل إلى نتائج لا توجد في كتب السلف

*****

نقض متفرقات من أباطيل شحرور وأهوائه

يتضمن هذا الفصل نماذج متفرقات من أباطيل محمد شحرور وأهوائه، وهي شواهد من باب التمثيل الواسع لا الحصر من جهة؛ وهي من جهة

أخرى نتائج حتمية لمنهج شحرور التحريفي في قراءته للقرآن الكريم برفضه لمنهج القرآن وتبنيه لمنهجه الزائف المتهافت.

النموذج الأول : نقض قول شحرور بأن القرآن عين كلام الله:

زعم شحرور أن القرآن الكريم هو عين كلام الله،فقال: (وكان النص القرآني المتلو أو المكتوب الموجود بين أيدينا هو عين كلام الله فهذا يعني أن الله له جنس وجنسه عربي، وأن كلام الله ككلام الإنسان يقوم على علاقة دال ومدلول. ولكن بما أن الله أحادي في الكيف (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ [الإخلاص : 1]) ، وواحد في الكم (قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَـهٌ وَاحِدٌ [الأنعام : 19]) وأن الله ليس عربياً ولا انكليزياً، لزم أن يكون كلامه هو المدلولات نفسها، فكلمة الشمس عند الله تعالى هي عين الشمس، وكلمة القمر هي عين القمر، وكلمة الأنف هي عين الأنف، أي أن الوجود المادي "الموضوعي" ونواميسه العامة هي عين كلمات الله. وكلمات الله هي عين الوجود ونواميسه العامة. ولهذا نقول: إن الله هو الحق وإن كلماته حق (قَوْلُهُ الْحَقُّ [الأنعام : 73]) {وَيُحِقُّ اللّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ[يونس : 82] } { ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ [الحج : 62]} فالوجود الموضوعي خارج الوعي هو الوجود الإلهي { ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ} (الحج 62) والوجود الكوني الذي هو كلمات الله وهو حق أيضاً { مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ [الأحقاف : 3] } . فالله حق والوجود كلماته وهو حق أيضاً، لذا قال: { إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ [يس : 82] }، { إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ} (آل عمران 47- مريم 35))[1].

أقول: ذلك القول تضمن أباطيل وجهالات وتحريفات تتعلق بأفعال الله وصفاته وأسمائه، ولا يقوله إلا جاهل ، أو ضال ، أو صاحب هوى. لأنه أولا، يجب أن نقرر من البداية أن الله تعالى هو الخالق الفعال لما يريد، ليس كمثله شيء في ذاته ولا في صفاته، ومتصف بكل صفات الكمال، منها صفة الكلام. وعليه فإن القرآن الكريم هو من كلام الله، وكلامه من أفعاله وليس هو صفة الكلام، ولا هو عين كلام الله، ولا هو من مفعولاته- مخلوقاته- . ولذلك كان القرآن الكريم من كلام الله غير مخلوق. فهو من أفعال الله لا من مفعولاته- مخلوقاته- . لكن ذلك لا ينطبق على مخلوقات

1 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: 72 .

الله، كالإنسان والشمس، والسموات، والكون بأسره. لأننا في هذه الحال نجد: الخالق، وهو الفاعل ، والفعل ، وهو عملية الخلق ،والمخلوق ، وهو المفعول. وهذا الأمر صحيح بدليل الشرع والعقل والعلم. فأما من الشرع، فمنه قوله تعالى: (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ [النحل : 40]). وبيانه: إن الله هو المريد والقائل، فهو الخالق والفاعل. وفعله، هو قوله تعالى: (كُن)، فهو من فعله .والمفعول، هو قوله تعالى: (فَيَكُون)، وهو المخلوق. فالمخلوق ليس هو من أفعال الله وإنما هو من مفعولاته . وأما من العقل والعلم، فبما أن الكون مخلوق بكل كائناته، فلا شك أن خالقه مُتصف بكل صفات الكمال ولا يُشبه مخلوقاته ، ومُنفصل عنها من جهة؛ وأن مخلوقاته لا يُمكن أن تكون هي أفعاله، ولا صفاته، ولا ذاته من جهة أخرى. لأن المخلوق ليس هو الخالق، والمصنوع ليس هو الصانع، ولأننا نحن المخلوقون نحس يقينا بأننا بذواتنا وأفعالنا مخلوقون ولسنا نحن الله!!

وبما أن الأمر كذلك، فأفعال الله منها أفعال لها مفعولات- مخلوقات- في الواقع، ومنها أفعال ليست لها مفعولات في الواقع، وهي المتعلقة بكلام الله تعالى . منها الوحي الإلهي الذي أنزله في كتبه على الرسل، وكلامه سبحانه الذي خاطب به بعض مخلوقاته، كمخاطبته للملائكة والشيطان، وتكليمه لموسى عليه السلام.فكلام الله تعالى الذي تكلم به هو من أفعاله المتعلقة بصفة الكلام، منه بدأ وإليه يعود . وكلامه بنوعيه يقوم على الدلالات والمدلولات، من ذلك مثلا القرآن الكريم، فهو كلام الله لفظا ومعنى وحرفا. ولا يُمكن فهمه إلا بالدلالات المتضمنة للمدلولات. ومنها مخاطبة الله تعالى للملائكة وتكليمه لموسى عليه السلام، فقد خاطبهم كلاما لا كتابة، كقوله سبحانه : (وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ [الشعراء : 10])،و(فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ([طه :11 - 14])، والكلام يتضمن حتما الدلالات- الأصوات- والمدلولات، وهي المعاني. وهذا دليل قاطع ينقض زعم شحرور في قوله بأن كلمات الله هي المدلولات نفسها.

ثانيا: بما أن الأمر كما بيناه ، فلا شك أن قول شحرور بأن (الوجود المادي "الموضوعي" ونواميسه العامة هي عين كلمات الله. وكلمات الله هي عين الوجود ونواميسه العامة)، هو كلام باطل قطعا لا يقوله إلا جاهل، أو جاحد معاند، أو صاحب هوى، أو صوفي يقول بوحدة الوجود.

هو كذلك، لأنه يستحيل أن يكون الكون بكل كائناته هو عين كلمات الله. لأن كلمات الله هي أفعاله من صفة الكلام، والأفعال والصفات لا تنفك ولا تنفصل عن فاعلها. ووحيه المنزل ليس من مخلوقاته وإنما هو من فعل صفة الكلام،فهو من كلمات الله (قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً [الكهف : 109]) و كلامه مع انه بين أيدينا، فإنه يوم القيامة يرجع إليه. وهذا أمر ينطبق على الخالق والمخلوق، فكل منهما أفعاله تصدر منه وعندما تتوقف تعود إلى مصدرها ولا تنتقل إلى المفعولات والمصنوعات، وإنما هذه المفعولات والمصنوعات هي التي تنفصل عن أفعالها وفاعلها. علما بأن مقتضى كلام شحرور ينتهي إلى القول بخرافة وجنونية وحدة الوجود. لأنه إذا قلنا بأن المفعولات- المخلوقات- لا تنفصل أفعال الله، وأفعاله منه ولا تنفصل عنه، فهذا يعني بالضرورة أن الكون بكل كائناته هو من أفعال الله وهي امتدادات له وجزء لا يتجزأ من أفعاله. وهذا يعني بالضرورة أن الله هو الكون، والكون هو الله. أي أننا نحن البشر مثلا جزء من الله لا ننفك عنه حسب مقتضى قول شحرور. وهذه هي عقيدة وحدة الوجود، وهي اعتقاد باطل ومناقض للشرع والعقل والعلم لا يقوله إلا جاهل، أو مجنون، أو صاحب هوى. وهو قول يقتضيه قول شحرور بالضرورة، فهل تعمد قوله لأنه يؤمن به أم انه لم يكن يعي ما سينتهي إليه قوله؟؟!! . وأما الآيات التي استدل بها على زعمه فهي ضده قطعا، ولا ينفعه تلاعبه بها وتحريفه لها.

ومن تلك الأباطيل التي تشير إلى أن شحرورا يعتقد بخرافة وحدة الوجود بقصد أو بغير قصد قوله : ((فالوجود الموضوعي خارج الوعي هو الوجود الإلهي { ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ} (الحج 62) والوجود الكوني الذي هو كلمات الله وهو حق أيضاً { مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ [الأحقاف : 3] } . فالله حق والوجود كلماته وهو حق أيضاً)[1]. ليس كذلك، لأن قوله لا يصح ، بحكم أنه قد توجد كائنات حقيقية خارج الوعي البشري، لأنه لا يدركها إدراكاً مباشرا ولا غير مباشر. وهذه الكائنات هي مخلوقات وليست هي الوجود الإلهي ولا جزءا منه. والوجود الكوني الذي نراه ليس هو كلمات الله كما زعم شحرور. فهذا كلام جاهل ، أو قائل بوحدة الوجود. لأن الكون الذي نراه والأكوان التي لا نراها هي مخلوقات لها بداية وستكون لها نهاية، أما كلمات الله وأفعاله الأخرى فليست مخلوقة ، ولا لها بداية ولا نهاية (قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً

1 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: 72 .

لِّكَلِمَـاتِ رَبِّـي لَنَفِدَ الْبَحْـرُ قَبْـلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَـاتُ رَبِّـي وَلَـوْ جِئْنَـا بِمِثْلِـهِ مَـدَداً [الكهف : 109]) . فهل شحرور لا يعـي مـا يقـول، أم انـه يعـي ذلـك وقالـه قصدا لأنه يؤمن بخرافة وجنونية وحدة الوجود؟؟!! .

النموذج الثاني: نقض قوله بأن القرآن مُترجم إلى اللغة العربية من الكتاب المكنون :

زعم الكاتب محمد شحرور أن القرآن الكريم هو في الأصل لم يكن بلسان عربي عندما كان في كتاب مكنون ثم ترجمه الله تعالى إلى لغة العرب، فقال: { فعندما أراد الله أن يعطي القرآن للناس فالمرحلة الأولى كانت تحويله إلى صيغة قابلة للإدراك الإنساني النسبي، أي جرت عملية تغيير في الصيرورة. وهذا التغيير في الصيرورة عبر عنه في اللسان العربي في فعل "جعل". إذ قال: { إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ [الزخرف : 3] } أي كان له وجود مسبق قبل أن يكون عربياً فجعله عربياً "أي في صيرورته" وهذا معنى الجعل.
ولكنه أيضاً قال: { إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ [يوسف : 2]} والإنزال هو نقل غير المدرك إلى المدرك. أي كان القرآن غير مدرك "غير مشهر" فأصبح مدركاً، وهذا ما جاء في الإنزال. أي أن:
- الجعل: هو التغيير في الصيرورة.
- الإنزال: هو النقل من صيغة غير مدركة إلى صيغة مدركة "الإشهار."
والآن لماذا وضع الجعل والإنزال على أنه عربي؟ أقول إن الجعل هو تغيير في الصيرورة فيمكن أن تغير صيرورة القرآن من شكل غير قابل للإدراك إلى شكل آخر غير قابل للإدراك، لذا قال: { إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً) والإنزال هو نقل من غير المدرك إلى المدرك لذا قال: {إنا أنزلناه قرآناً عربياً). ففي القرآن تلازم الجعل والإنزال أي جعل وأنزل عربياً. أي أن القرآن الموجود بين أيدينا ليس عين القرآن الموجود في لوح محفوظ وإمام مبين، وليست صيغته نفس الصيغة الموجودة فيهما. وإنما هو صورة قابلة للإدراك الإنساني "الإنزال" تم التغيير في صيرورتها "الجعل" حتى أصبحت مدركة، ثم وصلت إلى النبي صلى الله عليه وسلم، مادياً عن طريق الوحي "التنزيل" والنبي صلى الله عليه وسلم نقلها آلياً إلى الناس.}[1]. و{الآن لنأخذ الآيتين قبل هذه الآية، والآية التي بعدها: (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الواقعة 77-78-79-80) قال عن القرآن إنه {في كتاب

1 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: 152 .

مكنون}، والمكنون هو المخبأ، ثم بعد ذلك قال:{تنزيل من رب العالمين} فالآية هنا تعني القرآن الأصل الموجود في الكتاب المكنون والذي أخذت صورة عنه مترجمة إلى العربية "الجعل والإنزال"، ثم جاءت هذه الصورة إلينا عن طريق جبريل "التنزيل" منطوقة لا مخطوطة. فهاهنا يكون "المطهرون" هم الملائكة المعنيين الموكل إليهم حفظ القرآن. فلا يصل إلى القرآن الأصل في الكتاب المكنون أحد من البشر، لا تقي ولا شقي ولا متطهر ولا جنب }[1].

أقول: تلك الأقوال، هي مزاعم وأهواء،وكلام بلا علم، ومعظمها غير صحيح . أولا، يجب تحديد المعنى الشرعي للجعل، والإنزال. فبالنسبة للإنزال في القرآن فقد سبق أن شرحناه بوضوح كما بينه القرآن الكريم.واتضح انه لا يعني نقل الشيء غير المُدرك إلى مُدرك كما زعم شحرور، فهذا ليس إنزالا،وإنما هو عملية كشف، وإظهار، وقد تتم بعدة طرق لا إنزال فيها، كأن تتم على مستوى أفقي. فالإنزال لا يقوم على نقل غير المُدرَك إلى مُدرَك، وإنما يقوم أساسا على معنى الإسقاط ، والحَط، والإهباط من أعلى إلى أسفل، بغض النظر أكان مُدركا أم غير مُدرك. وقد يقوم احدنا بإنزال شيء من على الشجرة إلى الأرض ويكون مُدركا في الحالتين، وقد لا يكون مُدركا في الحالتين لغيره من الناس، أو لبعضهم. فتعريف شحرور للإنزال غير صحيح، وقد توسعنا في بيانه سابقا .

وأما معنى عبارة " الجعل " التي زعم شحرور أنه تعني في القرآن التغيير في الصيرورة، فالأمر ليس كما زعم، وفيه تحريف وتلاعب. لأن معرفة ذلك في القرآن يتطلب بالضرورة الرجوع إليه ليُعرفنا معنى فعل"جَعَل ". لكن شحرورا لم يفعل ذلك كعادته، وفسر الآية التي استشهد بها حسب ما وافق هواه، فجاء تفسيره لها غير صحيح. وبيان معاني ذلك الفعل ، هو أنه فعل عام يتضمن عدة أفعال، تُعرف معانيه من سياق وروده في الآيات القرآنية . منها مثلا أنه يعني: يضعون، كما في قوله تعالى: { أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ **يَجْعَلُونَ** أَصْابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ واللّهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ [البقرة : 19]}.و{ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ **وَجَعَلَ** عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ [الجاثية : 23]} .

ومنها أنه يعني: يتخذون ، كما في قوله سبحانه : {الَّذِينَ **يَجْعَلُونَ** مَعَ اللّهِ إِلـهاً آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ [الحجر : 96]}. ومنها أنه يعني: يُقدمون،

---

1 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: 156 .

ويُعطون، ويُخصصون، كما في قوله تعالى: {**وَيَجْعَلُونَ** لِمَا لاَ يَعْلَمُونَ نَصِيباً مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ [النحل : 56] }.

ومنها أنه يعني: أوجد، كقوله سبحانه : { **وَجَعَلَ** لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ [السجدة : 9]}،و{ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ [الأنعام : 1]}.

وبما أن الأمر كذلك، فهل قوله تعالى: { إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ [الزخرف : 3] }، يعني : إنا صيرناه ، وغيّرنا صيرورته التي كان عليها كما قال شحرور،أم يعني فعلا آخر؟؟. إن تحقيق ذلك، والإجابة عنه يتطلب التذكير بحقائق قرآنية ضرورية: منها، إن الله تعالى ليس كمثله شيء،وفعال لما يريد، وعلى كل شيء قدير. قال تعالى: { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ [الشورى : 11] }،و{ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (البروج:14- 16)}،و {إِنَّ اللَّه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [البقرة : 20] }.

ومنها أن من صفات الله تعالى أنه يتكلم، وبما انه فعال لما يريد وعلى كل شيء قدير، ومُتصف بكل صفات الكمال، فهو سبحانه يتكلم بما يشاء، ومتى يشاء، ومع من يشاء، وبأي لسان يشاء. بدليل أنه أخبرنا سبحانه أن تكلم مع الملائكة، وآدم، والشيطان، ومع بعض أنبيائه كإبراهيم ، وموسى عليهما السلام. قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ [البقرة : 30] }،و{ نَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَآنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ [الأعراف : 22]}،و{قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ [الأعراف : 12] }،و{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ [البقرة : 260] }،و{وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ موسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ [الأعراف : 143] }.

ومنها أن الله تعالى، أخبرنا أنه يُكلم رسله بالوحي، قال سبحانه: {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ [الشورى : 51] }.
ومنها أن الله تعالى وصف وحيه المنزل بأنه من كلامه، لقوله سبحانه: {أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ **كَلاَمَ اللّهِ** ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ [البقرة : 75] }،و{ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ **كَلاَمَ اللّهِ** ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ [التوبة : 6]}،و{سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا **كَلَامَ اللَّهِ** قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلاً [الفتح : 15] } .

وبما أن الأمر كذلك، وانطلاقا منه فإن القرآن الكريم هو من كلام الله تعالى لفضا ومعنى انزله على نبيه الخاتم محمد عليه الصلاة والسلام. وبما انه كذلك، فإنه قوله تعالى: { إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ [الزخرف : 3] }، لا يعني صيرناه، ولا غيَرنا صيرورته، ولا ترجمناه إلى اللغة العربية، وإنما يعني : إنا قلناه بلسان عربي. إنا تكلمنا به بلسان عربي، إنا أوحيناه بلسان عربي.

وبذلك يُستنتج مما ذكرناه، أن القرآن الكريم كلام الله تعالى حقيقة لفظا ومعنى، وليس مجازا ولا ترجمة عربية من جهة، وهو من جهة أخرى نسخة حقيقية وكاملة من نسخته الأولى في اللوح المحفوظ، وبلغته الأصلية التي تكلم الله بها،وليس هو كما زعم شحرور.

النموذج الثالث: نقض تفسيره لآية { فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ}:
قال الكاتب شحرور عن كتابة اليهود لكتابهم المحرف، وعن الإعجاز القرآني: {إن بداية القول في إعجاز القرآن تأتي من موازنة الآيتين التاليتين وهما: (فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ [البقرة : 79]). (قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً [الإسراء : 88]).
ففي الآية الأولى يحذر الله الناس أن يكتبوا الكتاب بأيديهم ويقولوا هذا من

عند الله. وفي الآية الثانية يتحدى الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن)[1].

و (الآن لنناقش الأمور التالية:

1 – إذا كان المقصود بالكتابة الخط، والخط يكون باليد ((يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـذَا مِنْ عِندِ اللّهِ [البقرة : 79]). فهذا يعني أن المقصود في هذه الآية هم كتبة الوحي فقد خطوا الكتاب وقالوا هذا من عند الله وبالتالي فالويل كل الويل لكتبة الوحي.
2 – أما إذا كان المقصود بالكتابة إضافة أحكام فقط إلى الكتاب.

وحصل مثل هذا الأمر فعلاً عند اليهود حيث أضافوا اجتهادات أحبارهم إلى الكتاب، وقد شرحنا أن الكتاب عند موسى وعيسى هو التشيع فقط "الرسالة" وهذا أمر ممكن الوقوع فيه وغير مستحيل لذا تم التحذير منه فعلاً.

3 – إذا كان الكتاب هو المصحف كما يعتقد الناس فكيف يحذرهم مرة ويتحداهم مرة أخرى؟ "هذا تناقض كبير جداً"، ولكن إذا كان التحذير لشيء والتحدي لشيء آخر توضع الأمور في نصابها، حيث أن التحذير للتشريع "الرسالة" والتحدي للقرآن "النبوة". فالله سبحانه وتعالى يحذر الناس من أمر لا يعجزون عنه، ويتحداهم بأمر يعجزون عنه. هكذا فقط يجب أن نفهم التحذير من أمر غير معجز والتحدي لأمر معجز. }[2].

أقول: تلك مزاعم باطلة، وتشهد على صاحبها بالتحريف ، ولا يقولها إلا جاهل أو صاحب هوى. وتفصيل ذلك أولا، إن تفريق شحرور بين القرآن والكتاب والذكر والفرقان هو من أوهامه وأباطيله وقد سبق أن بينا فساده وزيفه سابقا. كما أن قوله تعالى: (فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ [البقرة : 79])، لا يتعلق بالمسلمين ولا بكتابهم القرآن الكريم ولا بتدوينهم له، وإنما يتعلق باليهود، لكن لما كان شحرور مُحرفا ومُدلسا ومُتعصبا للباطل، فقد انتقى الآية وأخرجها من سياقها على طريقة " ويل للمصلين " ،و" لا تقربوا الصلاة" ،ليُغالط ويحرف ويكذب على القراء لغايات في نفسه. وسياق الآية هو(أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ

1 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: 179 .

2 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: 179 .

وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ .وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (80)(البقرة:75 - 80]). واضح من تلك الآيات الآن أن الآية التي انتقاها شحرور تتعلق باليهود ولا بالمسلمين قطعا. فلماذا أخرجها شحرور من سياقها وقوّلها ما لم تقل؟؟ أليس فعله هذا هو دليل دامغ على أن شحرورا مُحرف ومغالط عن سابق إصرار وترصد؟؟ .

ثانيا: إن الآية التي تتعلق باليهود ليس فيها نهي عن كتابة الوحي الإلهي كما زعم شحرور، وأسقط ذلك على كُتاب الوحي الذين دوّنوا القرآن الكريم، وإنما فيها تهديد واستنكار لما فعله اليهود عندما حرفوا التوراة التي أنزلها الله تعالى على موسى عليه السلام مكتوبة في الألواح، ثم هم كتبوا كتابا جديدا محرفا حسب أهوائهم. فالكتاب الذي كتبوه مكذوب مُختلق، ولا علاقة له بالقرآن الكريم ولا بتدوينه ولا بالذين دوّنوه. فانظر إلى تحريفات شحرور وجرائمه في حق القرآن والعلم، والعقل والمسلمين!! . فليس صحيحا ما زعمه شحرور بأن الله حذّر الناس من كتابة الكتاب بأيدهم. كما أنه لا يوجد أي تناقض بين الآيتين ، لأن الأولى خاصة باليهود والثانية تتعلق بالقرآن، فالله تعالى لم ينه المسلمين عن كتابة القرآن ، وبذلك يزول التناقض الذي اختلقه شحرور كذبا وتحريفا.

النموذج الرابع: : نقض قوله في القضاء والقدر

قال محمد شحرور عن القضاء والقدر: (لقد ظن الكثير أن عمر الإنسان ورزقه وعمله مكتوب عليه سلفا، والمكتوب جاءت بمعنى المقدر عليه سلفا، وبذلك يصبح الإنسان فاقد الإرادة والخيار له في أعماله وأرزاقه ويصبح الطب والعلاج والعمليات الجراحية بدون معنى وكذلك يصبح دعاء الإنسان لله تعالى ضربا من ضروب العبث واللهو)[1].

(أما رأي القرآن فهو غير ذلك، ففي بحثنا عن القرآن والكتاب عرفنا أن فعل "كتب" تعني تجميع الأشياء بعضها إلى بعض لإخراج موضوع معين

1 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: 411 .

محدد. ومن هنا جاءت كلمة الكتاب وهو مجموعة المواضيع التي جاءت إلى محمد صلى الله عليه وسلم وحيا، والتي جمع فيها نبوته ورسالته معاً).[1]

أقول: ذلك القول باطل جملة وتفصيلا، ولا يقوله إلا جاهل أو صاحب هوى. لأنه أولا، إن القضاء والقدر بمعنى أن الله تعالى قد قضى وقدّر كل ما سيحدث في الكون بكل كائناته ومنها الإنسان، قد قضاه وقدّره قبل أن يخلقه، وعندما يخلقه لن يحيد عن ذلك؛ هو شاهد على أن الله تعالى مُتصف بالعلم والقدرة والحكمة وبكل صفات الكمال. لأن الخالق الذي لا يكون متصفا بذلك ليس خالقا، وإنما هو مخلوق.فاتصاف الله تعالى بتلك الصفات هو دليل كمال لا دليل نقص من جهة، واتصافه بها لا ظلم فيه أبدا، لأن أفعاله سبحانه كلها لا تخرج عن الحق والعدل، والحكمة والرحمة. ومن ينفي عن الله تعالى علمه المُسبق المُطلق بكل ما سيحدث، فهو جاهل، أو صاحب هوى، وقد وصف الله تعالى بصفة نقص لا كمال، وكذّب بكلام الله تعالى الذي أثبت له بأنه كَتب وقدّر كل ما سيحدث في العالم قبل خلقه.

ثانيا: يجب أن نعلم أن علم الله المُسبق لِما سيحدث في الكون وكتابته في كتاب القضاء والقدر لا يعني الجبر ، ولا ينفي حرية الإنسان، وإنما هو أمر عادي تماما، إنه انكشاف بحكم أن الله تعالى علام الغيوب وفعال لما يريد. فمن الواجب والمنطقي جدا أن يكون الله تعالى عالما لما سيحدث وأنه قد كتب ذلك قبل خلقه.فذلك لا جبر فيه ولا ظلم أبدا، وإنما يشهد لله بكمال العلم والإرادة والحكمة. واتصافه بذلك سبحانه لا ينفي حرية الإنسان في مجال حريته. لأن سبق العلم وكتابة المقادير ليس جبرا وإنما هو انكشاف مُسبق لما سيفعله البشر بكل حرية. وعليه فإن الله تعالى قد كَتب علينا أفعالنا الحرة كما فعلناها نحن بإرادتنا، دون أن يفرضها الله علينا . فالإنسان فاعل لأفعاله بكل حرية والله تعالى على علم بها، وسجلها بحكم أنه علام الغيوب، ولم يفرضها عليه، ولن يسجل عليه أفعالا لم يفعلها. فالإنسان طرف فاعل في ذلك، ويتحمل مسؤولية أفعاله. ومثال ذلك لو أن أستاذا قال : إن التلميذ الفلاني سينجح وينال الشهادة ، وأن التلميذ الفلاني سيرسب و يُعيد العام . ثم في نهاية العام الدراسي كانت النتيجة كما تنبأ بها الأستاذ ، فإن هذا لا يعني أن الأستاذ هو السبب في نجاح الأول و قد تعاطف معه وساعده، وهو السبب في رسوب الثاني وقد ظلمه؛ وإنما يعني أنه قرأ المستقبل بناء على معرفته بالأول أنه مجتهد ومعرفته بالثاني أنه

1 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: 411 .

كسول. فهو حيادي ولم يتدخل في مستقبل أي طرف، وإنما قرأ قراءة استشرافية صحيحة فكانت النتيجة كما توقعها. وبما أن الأمر كذلك، ولله المثل الأعلى فسبق علمه سبحانه لِما سيحدث من أفعال البشر وكتابته ليس ظلما ولا عبثا ولا جبرا، ولا يحرم الإنسان حريته، ولا يعوق نشاطه.

علما بأن القضاء والقدر كما هو حقيقة شرعية وعقلية، فهو أيضا حقيقة علمية دامغة تهدم زعم شحروره وتنقضه عليه. وتفصيل ذلك هو أنه من الثابت في علم الوراثة، أن كل كائن حي إلا ويولد ببرمجة وراثية تحمل كل صفاته العقلية والروحية والعضوية، وتاريخه المستقبلي، ولا يُمكنه مخالفتها. وتلك البرمجة هي دليل علمي دامغ على أن الله تعالى قد قضى وقدر كل ما سيحدث في الكون قبل خلقه، وجعل في كل كائن نسخة من برمجته الوراثية التي ستحدد صفاته، ويسير ويتحرك وفقها، ليس لأنها مفروضة عليه قهرا وظلما، وإنما جانب منها يتعلق بالله تعالى فهو الذي خلقه بأمره وإرادته وعلمه وقدرته وحكمته ، وجانب منه هي أعمال البشر الحرة سجلها الله لهم قبل أن يفعلوها لأنه يعلم بأنهم سيفعلونها بكل حرية. فوجود تلك البرمجة الوراثية هو دليل علمي دامغ على كتاب القضاء والقدر ،وهو حقيقة شرعية وعقلية وعلمية.

ثالثا: إن كتابة الله تعالى لما سيحدث في الكون قبل خلقه هو حقيقية شرعية قطعا، ومن ينكرها فهو جاهل ، أو صاحب هوى. وقول شحرور باطل دون شك، وفيه تحريف وتكذيب لله ورسوله. ولا يحق له أن يصف ما ذكره القرآن عن القضاء والقدر بأنه " رأي "، لأن القرآن ليس رأيا، ولا اقتراحا ، وإنما هو وحي وعلم وكلام إلهي. كما أن معنى" كَتَبَ " في القرآن يُحدده سياقه في الآية، وليس هو كما زعم شحرور. وأصل معنى الكتابة يعني التدوين والتسجيل والنسخ، ولا يعني التجميع، والكتاب هو تجميع لما كُتب، فهو كتاب جمع المدونات والتسجيلات والمكتوبات والمنسوخات. فالقرآن الكريم هو كتاب جمع كلام الله المنزل المُدوّن . وكتاب القضاء والقدر تضمن ما قضاه الله تعالى وقدّره. وفعل " كَتَبَ " كما في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ** مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ [البقرة : 183]، هو فعل يتضمن أمرين: الأول، أن الله تعالى كتب ذلك ودوّنه وسجله ونسخه قبل خلق الكون. والثاني، يعني انه سبحانه أوجبه علينا وأمرنا بصيامه .

وأما الأدلة الشرعية التي أثبتت كتابة الله تعالى لكل ما سيحدث قبل خلقه للكون فهي كثيرة تنقض مزاعم شحرور وتكشف زيفه وتحريفه وقوله

بقول المعتزلة في إنكارهم للقضاء والقدر من جهة، وموافقته لهم في تحريفهم للشرع وتقديم أهوائهم عليه من جهة ثانية. منها قوله تعالى: ((إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ [يس : 12])، وهذا المعنى نفسه ورد في قوله تعالى ويعني كتاب القضاء والقدر: (وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ [الأنعام : 59])،و(وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ [يونس : 61])،و(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ [سبأ : 3])،و(وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ [فاطر : 11])،و(مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ [الحديد : 22]) .و{قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ }التوبة51-،و ،و {وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ }القمر53-)،و {وَإِن مَّن قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيداً كَانَ ذَلِك فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً }الإسراء58-) .

و من الأحاديث النبوية ما رواه مسلم أن النبي- عليه الصلاة و السلام - قال : « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة - قال - وعرشه على الماء »[1]. و في حديث آخر : ((كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء))[2] . وقوله-عليه الصلاة و السلام- : ((يا غلام ! إني أعلمك كلمات أحفظ الله يحفظك، أحفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، و إذا استعنت فاستعن بالله . و اعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك . و لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك بشيء إلا قد كتبه الله عليك جفت الأقلام و رفعت الصحف))[3] .

---

1 مسلم : الصحيح ، ج 8 ص: 51 .

2 البخاري: الصحيح ، ج 4 ص: 106 .

3 الألباني: صحيح الجامع الصغير ، ج 2 ص: 191 .

وبذلك يتبين أن كتابة الله تعالى لكل ما سيحدث قبل خلقه للكون هو حقيقة شرعية، وعلمية وعقلية، ولا ينكرها إلا جاهل، أو صاحب هوى كمحمد شحرور المحرف المعتزلي المُصر على التحريف والتدليس عن سابق إصرار وترصد ، انتصارا لأوهامه وأهوائه.

وبما أن الأمر كذلك، فقول شحرور: (لقد ظن الكثير أن عمر الإنسان ورزقه وعمله مكتوب عليه سلفا، والمكتوب جاءت بمعنى المقدر عليه سلفا، وبذلك يصبح الإنسان فاقد الإرادة والخيار له في أعماله وأرزاقه ويصبح الطب والعلاج والعمليات الجراحية بدون معنى وكذلك يصبح دعاء الإنسان لله تعالى ضربا من ضروب العبث واللهو)[1]. هو قول باطل قطعا وشاهد عليه بالجهل، أو التحريف والتدليس. لأن سبق العلم الإلهي لا جبر فيه ولا قهر، وإنما هو كمال ومن ضروريات الألوهية، والإله الذي لا يعلم ما سيحدث ليس إلها ولا خالقا. وهذا العلم المُسبق لا يُعطل حرية الإنسان وإنما هو كشف مُسبق لما سيفعله الإنسان بكل حريته، وسواء كتبه الله أو لم يكتبه، فسيفعله الإنسان. وعليه فإن العلم الإلهي المُسبق وتدوينه لما سيحدث في الكون لا يعطل إرادة الإنسان، وليس عبثا، ولا يتناقض مع حريته، ولا يمنعه من الدعاء، وإنما هو تدوين مُسبق لما سيفعله الإنسان في مجال حريته. فهي أعمالنا سجلها الله تعالى قبل أن نعملها لأنه سبحانه علام الغيوب.

النموذج الخامس: نقض قوله بأن جمع القرآن تَمّ نهائيا في عهد عثمان

عن ذلك قال محمد شحرور: (بعد أن فرغ الصحابة من جمع الوحي "الكتاب" وقد بدأ الجمع في أيام أبي بكر الصديق وانتهى تماما في زمن عثمان بن عفان.)[2].

أقول: قوله فيه تحريف وطعن في القرآن، لأن جمع القرآن تم كله في بداية عهد أبي بكر رضي الله عنه، ولم يتأخر جمعه طيلة عهده[3] . ولا استمر جمعه إلى عهد عثمان رضي الله عنه، ولا فيه تم جمعه كله كما زعم شحرور. إنما الحقيقة هي أن القرآن تمّ جمعه كله عند بداية خلافة أبي بكر؛ لكن الذي حدث في أيام عثمان هو توحيد المصحف الشريف من جهة الحرف والقراءات[4]. وقد تمت تلك العملية بطريقة علمية جماعية ، فلما

1 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: 411 .

2 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: 547 .

3 البخاري: الصحيح ، ج 6 ص: 2669 .

4 البخاري: الصحيح، ج 6 ، ص: 183 ، رقم: 4987.

أتمت الجماعة المُكلفة بذلك عملها من دون نقص أرسلت المصاحف جميعها في وقت واحد إلى أقاليم الخلافة الإسلامية.فانظر إلى تحريفات شحرور وتدليساته الماكرة!! .

النموذج السادس: نقض قول شحرور بأن السنة النبوية ليست وحيا

عن ذلك قال شحرور: (لنلاحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم لم يعتبروا في وقت من الأوقات أن الأحاديث النبوية هي وحي. فهو عليه السلام من جهته لم يأمر بجمعها كما فعل مع الوحي "الكتاب" وكذلك الأمر مع الخلفاء الراشدين فقد فهموا أنها كانت نتيجة تعامل مع واقع معين في ظروف معينة عاشها النبي صلى الله عليه وسلم وجابه فيها عالم الحقيقة المكاني والزماني فهي بهذا تشكل منبعا ثريا يستفيد منه المؤمنون عامة، والعلماء المشرعون خاصة)[1].

أقول: قوله فيه تحريف وتغليط، لأن الصحابة بلا شك لم يعتبروا السنة النبوية وحيا قرآنيا، لكن المؤكد شرعا وتاريخا أنهم اعتبروا السنة النبوية أحكاما شرعية يجب إتباعها. فهي بذلك وحي إلهي من جهة أنها أحكام وأوامر شرعية تمثل بحق حكم الله تعالى بأمره وعصمته لنبيه. فلو أن النبي عليه الصلاة والسلام جانب الصواب في أمر ما لتدخل الوحي وصحح موقفه ولا يُمكن أن يُقره الله تعالى على خطأ . فالسنة النبوية ليست وحيا قرآنيا لفظا ولا معنى، لكنها من الوحي بحكم أنها أحكام شرعية أقرها الله تعالى . والدليل على ذلك هو كثرة النصوص القرآنية التي أمرت بإتباع السنة النبوية في مختلف مجالات الحياة، ولو لم تكن وحيا كأحكام وأوامر ما أمرنا الله تعالى بإتباعها ،وما حذّرنا من مغبة مخالفتها. من ذلك قوله تعالى: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ [الحشر : 7]) ،و(فلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً [النساء : 65]) ،و(قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ **مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ** [التوبة : 29]). ومن الثابت تاريخيا أن الصحابة بعد النبي عليه الصلاة والسلام كانوا يرجعون إلى السنة النبوية بعد القرآن، وعندما لم يجدوا نصا فيها يجتهدون بآرائهم[2].

النموذج السابع: نقض تفسير شحرور لعدم أمر الرسول بتدوين سنته

1 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: 546 .

2 عن ذلك أنظر مثلا: عمر سليمان الأشقر: تاريخ الفقه الإسلامي ، ص: 54، وما بعدها، 77 وما بعدها .

قال شحرور عن عدم أمر النبي عليه الصلاة والسلام بتدوين سنته: (فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعل ذلك بنفسه ولم يفعله الصحابة من بعده لسبب واحد وذلك لعلمهم بأن جمعه ليس ضروريا. وأن الحديث هو مرحلة تاريخية وأن السنة ليست عين كلام النبي صلى الله عليه وسلم. وإذا لم يكن الأمر كذلك فهناك نتيجة واحدة وهي أن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة من بعده كانوا يريدون إرباك المسلمين بعدم تدوين الحديث، وهذا يعني أن آية (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ [المائدة : 3]) لا معنى لها إذ كيف أكمل الدين والحديث لم يدون؟ وكيف دوّن الصحابة الكتاب ولم يدونوا الحديث؟ هذه التهمة هم براء منها للسبب التالي : إن عدم أمر النبي صلى الله عليه وسلم بجمع كلامه وتدوينه. وأمره بكتابة الوحي وحرصه المطلق على ذلك هو والصحابة يقود إلى فهم عميق لفرق أساسي بين النبوة والعبقرية: فالعبقري هو إنسان أنتجه عصره في ظروف معينة مادية ومعنوية يسجل الناس عنه كلامه أو هو يسجله بنفسه أثناء حياته، ولكن سيكون كلامه وتصرفاته نتاجا تاريخيا يحمل طابع المرحلية وبالتالي فإن الواقع سيتجاوزه مع تطور الحياة في سياق الزمن. وبما أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو نبي وليس عبقريا وحسب، فإنه قد علم أن جانب الوحي فيه ... يتصل بعالم المطلق هو الله سبحانه وتعالى، وقد عبر عن هذا الجانب بالكتاب... أما الجانب النسبي في الإسلام فهو النبي صلى الله عليه وسلم في سنته)[1].

أقول: أولا، إن عدم أمر الله تعالى لنبيه بتدوين السنة النبوية في عصره لا يعني أن تدوينها ليس مطلوبا ولا ضروريا ،ولا أن صلاحيتها مؤقتة وليست دائمة ، ولا أن التطور التاريخي سيعطلها ولا حاجة لتدوينها كما زعم شحرور. كما أن الرسول عليه الصلاة والسلام في الوقت الذي نهى عن تدوين كلامه، فإنه من جهة أخرى قد أذن لبعض أصحابه بتدوين جانبا من سنته، منهم عبد الله بن عمرو بن العاص، وأبو هريرة، وسعد بن عبادة - رضي الله عنهم-[2]. والدليل القطعي على أن الحفاظ على السنة النبوية بالحفظ والتطبيق والتدوين كان مطلوبا شرعا وعمليا هو أن الله تعالى أمر بإتباع السنة النبوية وحذّر من مخالفتها، وجعل جانبا من مجمل القرآن مُفسرا ومُبيناً بالسنة النبوية، ككيفية الصلاة مثلا.وبما أن الأمر كذلك، فعدم أمر النبي عليه الصلاة والسلام بتدوين كل السنة النبوية في زمانه لا يعني منع تدوينها، وإنما يعني أنه تركها ليبقى القرآن الكريم هو الوثيقة المتواترة

1 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: 547 .

2 عمر سليمان الأشقر: تاريخ الفقه الإسلامي، ص: 57 .

الوحيدة،والمصدر الأول والأساسي لدين الإسلام مدة من الزمن دون أن تنازعه وثيقة أخرى من جهة، وأن الله من جهة ثانية قد اعلمه بأن السنة ستبقى موجودة بالحفظ والتطبيق والتدوين لاحقا ؛لأنه لا يُمكن أن تموت السنة وتفقد صلاحيتها مع بقاء القرآن وختم النبوة وعالمية الإسلام. فأمر تدوين السنة النبوية كان مطلوبا وإنما أُخر زمن تدوينها فقط ، مع أنها كانت مُطبقة في الواقع ومتداولة بين أهل العلم بشكل واسع وباهتمام وحرص كبيرين[1]. فتأخر جمعها وتدوينها لا يعني أن السنة ليست ضرورية ، فلا تلازم بين جمعها وتدوينها من جهة؛ والاهتمام ووجوب العمل بها من جهة أخرى . وهذا الوجوب هو الذي تطلب جمعها وتدوينها لاحقا، بحكم إنها كانت آمنة، ولا خطر يتهددها في مجتمع الصحابة رضي الله عنهم.

ثانيا: لاشك أن قسماً من السنة النبوية هو متوقف الآن عن العمل، فلا يُعمل به، كالأحكام المتعلقة بالعبيد والإماء والتسري لتغير الظروف البشرية، وربما قد يعود العمل بها مُستقبلا بشكل أو بآخر إذا تغيرت الظروف الإنسانية. لكن قسما كبيرا منها مطلوب ولا يفقد قيمته وحاجة المسلمين إليه، منها الأحاديث المتعلقة بشرح وبيان العقائد والأخلاق والمعاملات. ومنها أيضا قسم آخر لا يُمكن أن يُترك ولا أن يفقد وظيفته، كالأحاديث التي تُفسر مُجمل القرآن، كأحاديث تفاصيل الصلاة، والزكاة، والحج مثلا. فالسنة النبوية في معظمها لا يُمكن أن يتجاوزها الزمن، ولا أن تفقد قيمتها العملية كما زعم شحرور.

ثالثا: وأما استدلال شحرور بقوله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً [المائدة : 3])، بدعوى أن اكتمال الدين يعني عدم ضرورية السنة النبوية، لأنه أُكتمل قبل أن تُدّون، ولو كان جمعها وتدوينها ضروريا ما صح وصف الإسلام بالإكمال؛ فإن هذا الاستدلال ليس بصحيح، لأن الإسلام عندما اكتمل وتوقف الوحي كانت السنة النبوية كاملة ومعروفة ومُطبقة في مجتمع الصحابة، وعدم جمعها لا يمنع اكتمال الدين، وجمعها ليس شرطا ضروريا ليكتمل الدين. وبما أن القرآن موجود كاملا، والسنة النبوية معروفة ومُطبقة في المجتمع فدين الإسلام قد اكتمل حقا.

وليس صحيحا أن السنة النبوية هي الجانب النسبي في الإسلام، فهذا وصف باطل في معظمه ، لأنه مع وجود أحاديث نبوية متوقفة عن العمل

---

1 عمر سليمان الأشقر: تاريخ الفقه الإسلامي، ص: 57 ، 70 وما بعدها .

لأنها كانت وليدة ظروفها فلما زالت توقف العمل بها؛ فإن غالب السنة النبوية ما يزال صالحا للعمل بحكم أن قسما منها يساعد على فهم وإثراء كثير من الآيات القرآنية من جهة؛ وأن قسما آخر لا يُمكن أن يفقد صلاحيته بحكم انه مُفسر ومُبيّن لمجمل القرآن من ناحية أخرى. وعليه فلا يصح وصف السنة النبوية بالجانب النسبي في الإسلام.

النموذج الثامن: نقض قوله بأن السبب السياسي هو العامل الأساسي في جمع السنة

زعم محمد شحرور أن: (السبب الأساسي لجمع الحديث أولا وللتأكيد عليه ثانيا هو سبب سياسي بحت. تولد عنه منطلق فكري عقائدي بعد سقوط دولة الخلفاء الراشدين وظهور الدولة الأموية، ظهرت فرق في الإسلام كلها ذات منشأ سياسي، وكان هذا المنشأ بحاجة إلى أرضية أيديولوجية "الشيعة، الخوارج" وظهرت بداية تيارات فكرية فلسفية مثل الجهمية والقدرية والمرجئة. هذه التيارات حاولت تبني الفهم الفلسفي للقرآن وللرسالة)[1].

أقول: لا شك أن العامل السياسي كان له دور كبير في نشأة الفرق والمذاهب الإسلامية في القرنين الأول والثاني الهجريين وما بعدهما. لكن السبب السياسي في جمع السنة النبوية عند أهل السنة لم يكن هو الأساسي في جمعها، وإنما الذي أدى إلى جمعها وأسرع في تدوينها هو الخوف عليها من الضياع بعدما انقسمت الأمة على نفسها وتقاتلت وتبادلت التكفير والتفسيق والتضليل من جهة؛ وانتشر الكذب بشكل كبير على النبي عليه الصلاة وصحابته رضي الله عنهم من جهة أخرى. وأمام هذا الوضع الخطير الذي أصبح يُهدد السنة والسيرة وتاريخ الصحابة ، هَب علماء الإسلام منذ أواسط القرن الأول وما بعده هبوا لإنقاذ السنة النبوية بجمعها من مختلف الأمصار وتمحيصها إسنادا ومتنا وفق منهج علم الجرح والتعديل . وقد اكتمل هذا العلم في القرن، الثالث الهجري، وفيه ظهر كبار المحدثين ودونوا مصنفاتهم الحديثية، كأحمد بن حنبل في كتابه المُسند، والبخاري في كتابه الصحيح، ومسلم في كتابه الصحيح، وأصحاب السنن في سننهم ، وغيرهم كثير[2].

وأما بالنسبة لدور العامل السياسي في نشأة الفرق الإسلامية، فلا شك أنه هو العامل الأساسي والأول في نشأتها كلها إلا فرقة السبئية، فهذه

1 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: 566 .

2 عمر سليمان الأشقر: تاريخ الفقه الإسلامي، ص: 87 وما بعده، 94 وما بعدها.

الفرقة هي أول فرقة ظهرت في المجتمع الإسلامي في عهد الخليفة عثمان رضي الله عنه. ظهرت نحو سنة 33 للهجرة، قبل حدوث الفتنة سنة 35 للهجرة، أظهرت أفكارا مذهبية كيدية لهدم الإسلام ونشر الفتنة بين المسلمين فأظهرت أفكارا ليست من دين الإسلام، كالقول بإمامة علي والوصية ، وظلم الصحابة له، ثم بعد ذلك انخرطت تلك الفرقة في العمل السياسي مع المعارضين للخليفة عثمان وشاركت في الثورة عليه. وفي الفتنة الكبرى وما بعدها ظهرت الفرق الأخرى كالخوارج وغيرهم[1].

النموذج التاسع: نقض تعريف شحرور لمعنى " السلفية "

يقول محمد شحرور: (وفي هذا المقام يجب علينا أن نميز بين مصطلحين يقع الالتباس بينهما وهما الأصالة والسلفية، فالأصالة لها مفهوم إيجابي حي، أما السلفية فهي عكس ذلك تماماً، السلفية كما نفهمها هي دعوة إلى إتباع خطي السلف بغض النظر عن مفهوم الزمان والمكان، أي أن هناك فترة تاريخية مزدهرة مرت على العرب استطاعوا فيها حل مشاكلهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، واستطاعوا أن يبنوا دولة قوية منيعة، استطاعت تحقيق العدالة بمفهومها النسبي التاريخي، وبالتالي فإن هؤلاء السلف هم النموذج، ويجب علينا أن نتبع خطاهم ونقلدهم ولا نخرج عن نمطهم. فالسلفي هو إنسان مقلد، إضافةً إلى أنه قد أهمل الزمان والمكان واغتال التاريخ وأسقط العقل. ويعيش السلفي في القرن العشرين مقلداً القرن السابع، والتقليد مستحيل لأن ظروف القرن السابع تختلف عن ظروف القرن العشرين، فمهما حاولنا الرجوع إلى القرن السابع لا يمكننا أن نفهمه كما فهمه أهله الذين عاشوه فعلاً، لأننا نرجع إليه من خلال نص تاريخي فقط. ولهذا السبب وقع السلفي في فراغ فكري وصل إلى حد السذاجة، فقد ترك القرن العشرين عمداً ليعجز في الوقت نفسه عن أن يعيش القرن السابع كما عاشه أهله)[2].

أقول: ذلك التعريف باطل جملة وتفصيلا، وليس تعريفا صحيحا للسلفية، ولا يحق له أن يعرفنا بالسلفية كما يفهمها هو ولا كما يريدها؛ وإنما بما انه يتكلم عن السلفية فيجب عليه أن يرجع إلى كتبها القديمة التي تمثلها وكتبها كبار علماء السلف من المتقدمين والمُتأخرين. فذلك التعريف

---

1 أنظر مثلا، كتابي: بحوث حول الخلافة والفتنة الكبري، والكتاب منشور ورقيا وإلكترونيا .
2 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: 34 .

الذي جاء به باطل ولا يصدق على السلفية، لأننا إذا رجعنا إلى كتب كبار أئمة السلف الصالح كمالك بن أنس، والشافعي، وأحمد ، والبخاري، ويحيى بن معين، وابن سلام، والبخاري، وإبراهيم الحربي، وابن قتيبة، وابن تيمية، وابن قيم الجوزية فإننا سنجد السلفية ليست كما زعم الشحرور؛ إنما نجد مذهبا شرعيا بديهيا قائما على الوحي الصحيح، والعقل الصريح ، والعلم الصحيح، يتمثل أساسا في مذهبين أساسيين: الأول مذهب يتعلق بأصول الدين، من مواضيعه : الصفات، والإيمان ، ومكانة العقل، والسببية.ومن صفاته أنه يثبت الصفات بلا تشبيه ولا تكييف ولا تجسيم، ولا ينفيها ولا يؤولها ويقدم الوحي على العقل مع عدم إهمال العقل، وإنما يضعه في مكانه الصحيح.والثاني مذهب يتعلق بالفروع ، ويتضمن أصول الفقه – مدرسة الأثر، ومدرسة الرأي- ، والفقه. ومن خصائصه في الفقه عند كبار علمائه المتقدمين والمتأخرين أنه يقوم على الاجتهاد وذم التقليد والتمذهب[1]. ذلك هو مذهب السلف الصحيح، وهو لا يعوق التطور الحضاري أبدا، وليس فيه ما زعمه شحرور بأنه يجب على المسلم أن يعيش زمن السلف في كل أحواله ولا يعيش زمانه هو حسب ظروفه الجديدة . فانظر كم افترى الشحرور على السلفية الصحيحة!! .فلماذا سمح لنفسه أن يتكلم بلا علم ، أم انه تعمد قول ذلك لغايات في نفسه؟؟!! .

النموذج العاشر: نقض قول شحرور بأن التوراة ولإنجيل اليوم يحملان طابع المرحلية

يقول محمد شحرور: (ولذا فعندما نقرأ التوراة الآن ونقارنها مع معلوماتنا الحالية نراها لا تنسجم مع أرضيتنا المعرفية، أي أنها كانت تحمل طابع المرحلية، وأنها نزلت بصيغة كانت مطابقة لمعارف الناس وقت نزول التوراة. ولم ينتبه المفسرون المسلمون إلى هذه الناحية الخطيرة، فاعتمدوا قليلاً أو كثيراً على التوراة في تفسير القرآن وهنا كانت الطامة الكبرى! وفي عصر النهضة في أوروبا قال العلماء: إن العلم قضى على التفسير التوراتي لخلق الكون والإنسان وعمر الكون والإنسان، وحسناً فعلوا. ولهذا وصف التوراة والإنجيل بأنهما هدى للناس، ولكن من قبل القرآن{ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ } (آل عمران 3-4). وينطبق الحال كذلك على الإنجيل. إذ أن التوراة لا يحملان صفة

1 عن ذلك أنظر مثلا: عمر سليمان الأشقر: تاريخ الفقه الإسلامي. وخالد كبير علال: منهج أهل الحديث في الرد على المتكلمين.

التشابه في الصيغة. وهكذا نرى التوراة والإنجيل اليوم كتابين يدرسان فقط في الكنائس للعبادة دون أن يكون لهما علاقة بالحياة.)[1].

أقول: ذلك القول من أوهام شحرور، وفيه تحريف وخداع، لأنه افترى على القرآن وحرفه عندما لم يذكر أن القرآن أشارا مرارا إلى أن التوراة التي عند اليهود اليوم هي كتاب محرف اختلقه اليهود وتلاعبوا به حسب أهوائهم من جهة، وان أصلها كان صحيحا يمثل الوحي الإلهي الحق من جهة أخرى. بدليل قوله تعالى: (مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا [النساء : 46])،و(أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ [البقرة : 75])،و(وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ [آل عمران : 78])،و(إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء [المائدة : 44]).

ثم انه عندما أشار إلى أن العلم أظهر خطأ ما قالته التوراة المحرفة عن خلق العالم وعمر الكون والإنسان لم يُميز بين التوراة المحرفة والأصلية التي حُرفت وضاعت، وإنما أشار إلى أنها هي توراة واحدة ، وهي التي وصفها القرآن بأنها (هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ [آل عمران : 4]). وهذا باطل قطعا، لأن التوراة التي خالفت العلم هي التوراة المحرفة وليست التوراة الأصلية التي حُرفت وضاعت. إن شحرورا تعمد قول ذلك، وطعن به في الله تعالى ، بأنه أنزل كتابا أظهر العلم عدم صحة ما قاله عن خلق العالم وعمر الكون والإنسان.

ومن ذلك أيضا أنه لم يُميز بين الإنجيل الحق الذي أنزله الله تعالى على نبيه عيسى بن مريم، والذي بشر أيضا بمجيء النبي خاتم محمد عليه الصلاة والسلام؛وبين الأناجيل الأربعة المعتمدة عند النصارى اليوم، وهي كتب محرفة اختلقها النصارى حسب أوهامهم وأهوائهم وهي مملوءة بالأباطيل والخرافات والأكاذيب[2]. فلم يُميز بينها وبين الإنجيل الحق من جهة المضمون ولا العدد. لأن الله تعالى أنزل على نبيه عيسى بن مريم

1 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: 59-60 .

2 عن ذلك أنظر كتابنا: الكتاب المقدس ليس وحيا إلهيا. متوفر ورقيا وإلكترونيا.

إنجيلا واحدا، لكن النصارى عندهم أربعة أناجيل معتمد وتوجد أناجيل أخرى كثيرة غير معتمدة عندهم. وبما أن الأمر كما قلناه، فشحرور جاهل ، أو مُحرف وصاحب هوى.

النموذج الأخير-الحادي عشر-: نقض قول شحرور بأنه توصل إلى نتائج لا توجد في كتب السلف

ذكر الكاتب محمد شحرور أنه من خلال قراءته " المعاصرة" للقرآن الكريم في كتابه " الكتاب والقرآن " توصل إلى نتائج في لا توجد في كتب السلف[1].

أقول: لاشك أن معظم أو كل النتائج التي توصل إليها شحرور في كتابه " الكتاب والقرآن" لا توجد في كُتب السلف الصالح ، لأنها نتائج باطلة قطعا، فمن الطبيعي أن لا توجد في كتبهم؛ لكنها توجد بلا شك في كتب السلف الطالح كالسبئية ، والشيعة الإمامية،والخوارج، والمعتزلة وغيرهم ، بل ويجب أن توجد فيها ،لأن كتابه لا يختلف عن كتبهم في تحريفهم للقرآن الكريم وقراءته بأوهامهم وأهوائهم. وقد سبق أن بينا أن شحرورا ضل الطريق من البداية، واتبع منهج أهل الأهواء في قراءته للقرآن الكريم فكانت النتيجة أنه التحق بأهل الضلال والأهواء من المتقدمين والمتأخرين. فهم قدموا أهواءهم على الشرع وقرؤوه بها، وشحرور طبق منهجهم ، فقرأ القرآن قراءة " معاصرة " بهواه لا بعقل ولا شرع،ولا علم، كما أنه وافق المعتزلة في نفيهم للقضاء والقدر. فهؤلاء كلهم تبنوا المنهج التحريفي في فهم القرآن الكريم من زمن عبد الله بن سبأ إلى شحرور وما بعده !! .

وهؤلاء مارسوا التأويل التحريفي في تعاملهم مع القرآن والسنة الصحيحة بدراجات مختلفة حسب درجة انحرافهم عن الشرع، فكلما زاد الانحراف عنه زادت مساحة ممارسة التأويل التحريفي للنصوص الشرعية، وكلما تناقص الانحراف تراجعت مساحة ممارسته. فكانت نتيجة ممارسة ذلك التأويل أن كل الذين مارسوه حرفوا الشرع وتلاعبوا به وانتهوا إلى نتائج باطلة شرعا وعقلا وعلما. وهذا الأمر وقع فيه محمد شحرور أيضا، لأن المنهج الذي مارسه سبقه إليه أهل التحريف السابقين من جهة؛ ونتائجه التي توصل إليها معظم أصولها موجودة عند أهل الأهواء والضلال قديما وحديثا من جهة أخرى. ولم تكن جديدة كما زعم

---

1 محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: 42 .

شحرور، منها مخالفته للقرآن وتحريفه له ، وفعله هذه سبقه إليه الضالون من المتقدمين كالمعتزلة والشيعة الإمامية.

وإنهاءً لهذا الفصل – الخامس والأخير- يتبين من النماذج التي تضمنها أن أباطيل شحرور وتحريفاته في كتابه " الكتاب والقرآن " كثيرة جدا شملت كل فصوله ومباحثه من جهة ؛ وتضمنت من جهة أخرى مواضيع عديدة ومتنوعة، منها قسم يتعلق بصفات الله تعالى ، وتاريخ القرآن والحديث النبوي، والتوراة والأناجيل . تلك النماذج من باب التمثيل لا الحصر، وهي نتائج حتمية لمنهج شحرور التحريفي في قراءته للقرآن الكريم، لأنه ليس منهجا شرعيا، ولا علميا ولا عقلانيا.

*****

الخاتمة

أظهرت قراءتي النقدية لكتاب " الكتاب والقرآن " للكاتب السوري محمد شحرور، أنه كتاب تضمن أباطيل وانحرافات ، وتحريفات وأهواء كثيرة جدا لا تكاد تنتهي .

منها أولا، إن ذلك الكتاب لم يكن قراءة عقلانية، ولا شرعية، ولا علمية للقرآن الكريم ، وإنما كان قراءة تحريفية للقرآن عن سابق إصرار وترصد من جهة، ويُمكن أن نصفها بحق وبعدل أنها كانت أيضا قراءة شيطانية من جهة أخرى . فدَلّ ذلك على أن مؤلفه محمد شحرور عندما ألفه لم يكن باحثا موضوعيا، ولا طالبا للحقيقة العلمية،وإنما كان باحثا مُحرِّفا مُخرِّفا صاحب هوى صنف كتابه لتحريف القرآن الكريم انتصارا لأوهامه وأهوائه . لذلك لا نكاد نعثر في كتابه على فكرة صحيحة واحدة جاء بها شحرور وتميز بها.

ثانيا: تبين أن شحرورا لم يدرس القرآن الكريم دراسة نزيهة وعلمية ، وإنما درسه دراسة ذاتية متعصبة للباطل من البداية، فلم يدرسه بمنهج القرآن ولا بمنهج علمي مُحايد قائم على طلب الحقيقة. فضلّ الطريق من البداية، وأوصله منهجه إلى نتائج باطلة جملة وتفصيلا، كتقسيمه للقرآن الكريم إلى مجموعة كتب. وتعريفه الزائف لمعنى النبوة والرسالة. وإنكاره للترادف في القرآن واللغة العربية. وتحريفه لمعنى المتشابهات في القرآن الكريم. وعليها قام كتابه" الكتاب والقرآن"، فجاء كتابا فاسدا باطلا قلبا وقالبا .

ثالثا: أظهر نقدنا لكتاب شحرور أنه كتاب قام على تحريف القرآن الكريم عن سابق إصرار وترصد من جهة؛ وأن كاتبه دافع فيه عن الفكر الغربي عامة، والحدَاثي والماركسي خاصة من جهة أخرى. وقد بينا بطلان ذلك عندما نقضنا زعم شحرور في قوله بأن العالم المادي هو أصل المعرفة الإنسانية . وعندما أظهرنا فساد قوله بجدل التناقض في الطبيعة والقرآن وتأثيره في حركية الكون واستمراريته الدائمة حسب زعمه. وتبين بجلاء أن وجود الثنائية والزوجية والحركية في الكون بجماده وأحيائه ليست قائمة على التناقض، ولا على الاستمرارية، ولا على خرافة التطور العضوي وإنما هي قائمة على التكامل والتناغم ،والانسجام والتعاون جمعا بين التغير في إطار الثبات، والتنوع والتعدد.

رابعا: اتضح من نقدنا لتعريف شحرور لمعنى كلمات " الإنزال"،و "التنزيل"، والأمي في القرآن الكريم أنه حرف معانيها الشرعية وعرّفها

تعاريف باطلة مخالفة لتعريفها في القرآن الكريم ،وفصّلها على مقاسه التحريفي مُسبقا ثم تسلط عليها بالتحريف والتلاعب. وقد بينا المعنى الصحيح لكلمتي" الإنزال"،و" التنزيل"، وأتضح أن الأول تعي" الإنزال الكلي دفعة واحدة، والثانية تعني الإنزال المُفرق على دفعات، ولا تعنيان نقل غير المُدرَك إلى مُدرَكما زعم شحرور فهذا تعريف باطل بلا شك. وأما تعريفه لعبارة " الأمي" فهو أيضا تعريف متهافت، وبينا أن الأمي شرعا ولغة ليس هو الذي لا علم له بكتب أهل الكتاب، ولا هو الذي ليس منهم كما زعم شحرور، وإنما هو الذي لم يتعلم علما من العلوم سماعا ولا قراءة سواء كان من أهل الكتاب أم لم يكن منهم. وذلك هو حال النبي محمد –عليه الصلاة والسلام- فقد كان أميا بمعنى أنه لم يتعلم علما من العلوم سماعا ولا قراءة ولا كتابة، وليس فقط أنه لم يكن يقرأ ولا يكتب كما زعم شحرور؛ فهو قد كان كذلك لكنه لم يتعلم أصلا أي علم من العلوم. علماً بأن الذين حددوا معنى أمية النبي-عليه الصلاة والسلام- بأنه لا يقرأ ولا يكتب لم يقصدوا بأنه تعلم بالسماع ولا كان بمقدوره تأليف الكتب ، ولا أنهم نفوا العلم عن الذين تعلموه بالسماع؛ وإنما عرّفوا الأمي بصفة جزئية ظاهرة عبروا بها عن الكل ، وهو أن الأمي هو الذي لم يتعلم علما من العلوم.

خامسا: تبين من قراءتي النقدية لكتاب شحرور" الكتاب والقرآن " أنه يُشبه كثيرا كتاب" محنتي مع القرآن ومع الله في القرآن " للمدعو عباس عبد النور[1]؛ من جهة أن كلا منهما قد قرأ القرآن قراءة تحريفية شيطانية من ناحية؛ وأن كلا منهما قد قرأ القرآن بمنهج تحريفي شيطاني عن سابق إصرار وترصد، ولم يقرأه بمنهج القرآن الكريم، ولا بمنهج العلم ولا العقل من ناحية ثانية؛ وان كلا منهما كان مُصرا على قراءة القرآن بأوهامه وأهوائه من ناحية ثالثة.فكانت نتيجة ذلك أن أخطاء الكتابين وأباطيلهما وأوهامهما كثيرة جدا لا تكاد تنتهي!! .

وأخيرا – سادسا- : استنتجتُ من نقدي لكتاب شحرور "الكتاب والقرآن" أن غايته الأساسية من تأليفه هو إخضاع القرآن الكريم لمفهوم التاريخية عند " الحَدَاثيين" وتطبيقها عليه لشله وهدمه من داخله. طبّق ذلك عليه بالتأويلات التحريفية، فقسم القرآن إلى قسمين كبيرين: قسم مُحكم ثابت لا يتغير، ويتمثل أساسا في العقائد والعبادات. وقسم متشابه مُتغير حسب الظروف زمانا ومكانا، ويتمثل في أحكام المعاملات الفردية والعامة،

---

1 للمزيد أنظر نقدي له في كتابي: محنتك مع هواك وشيطانك لا مع الله والقرآن . والكتاب متوفر في الشبكة المعلوماتية.

كالتشريعات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، والأحكام المتعلقة بالأسرة والمرأة . وحسب زعمه أن ذلك التغيير يتم بتأويل النصوص الشرعية المتعلقة بتلك التشريعات. والحقيقة أن هذا الزعم باطل جملة وتفصيلا، لأن القرآن كتاب واحد مُحكم حكيم ، ولا يصح تأويله تأويلا تحريفيا كما فعل شحرور، ولا يقبل أبدا ذلك التقسيم الباطل، ولا يخضع لمفهوم التاريخية لأنه ليس عملا بشريا ، وإنما هو كلام الله تعالى ختم به كتبه المنزلة. وذلك الفعل هو عملية تحريفية الغاية منها تعطيل القرآن وشله من داخله بذلك التقسيم التحريفي والشيطاني.ولا شك أن ذلك الفعل يشهد على شحرور بالتحريف والتدليس والغش والخداع من جهة؛ وانه من جهة أخرى ليس باحثا علميا موضوعيا ولا مُنصفا ، ولا باحثا عن الحقيقية، ولا قرأ القرآن قراءة علمية، وإنما قرأه قراءة تحريفية معاصرة انتصارا لأوهامه وأهوائه وطائفته.

تم الكتاب ولله الحمد أولا وأخيرا

الأستاذ الدكتور خالد كبير علال
الجزائر: 23/ جمادى الأول/ 1440- 29/جانفي/ 2019

*****

من مصادر الكتاب ومراجعه :

1- القرآن الكريم.
2- البخاري: الصحيح .
3 - مسلم: الصحيح .
4- أبو الليث السمرقندي الجنفي: بحر العلوم .
5- أبو السعدات بن الأثير الجزري: النهاية في غريب الحديث والأثر.
6 - ابن قتيبة : تأويل مختلف الحديث .
7 - ابن تيمية: الرد على المنطقيين .
8- ابن تيمية: منهاج السنة النبوية
9- ابن تيمية: درء التعارض 334 .
10 - ابن منظور الإفريقي : لسان العرب .
11 - ابن الجوزي: العلل المتناهية ،ط1 ، تحقيق : خليل الميس دار الكتب العلمية – بيروت ، 1403 .
12- ابن كثير : تفسير ابن كثير .
13- الألباني: السلسلة الضعيفة ، مكتبة المعارف – الرياض ،ج 7 ص: 155 .
14- لألباني: صحيح الجامع الصغير .
15- حمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، دار الأهالي ، دمشق ، ص: -60 .
16- الذهبي : سير أعلام النبلاء .
م17- حمد دودح : الإيمان شفاء للنفوس والأبدان . موقع: https://www.eajaz.org/index.php/component/content/article/86-Twenty-eighth-issue/802-Faith
18- أحمد دعدوش: الإلحاد ووجود الله، موقع: https://al-sabeel.net .
19- منصور حسب النبي : الزمان بين العلم و القرآن
20- محمد باسل الطائي: خلق الكون بين العلم والإيمان ، دار النفائس ، بيروت ، 102،1998 .
21 - السيوطي: معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم ، مكتبة الآداب، القاهرة، 2004 .
22- هيثم طلعت : موسوعة الرد على الملحدين العرب
23 - هشام المصري: حقائق هدمت الإلحاد من جذوره، موقع: .http://www.eltwhed.com/vb/showthread.php?60055-

24 - شـون دويـل: القضـية العلميـة ضـد التطـور،7/ ينـاير/ 2017 ، https://creation.com/scientific-against-evolution
25- أليــاكس وليــامز : الطفــرات المفيــدة حقيقــة أم خيــال ، https://creation.com/beneficial-mutations-real-or-imaginary-part-2 .
26 - منى زيتون : الطفرة .. الآلية البديلة ، مدونة نقد التطور ، موقع Critique of Evolution
27 - دون بـاتن: علـم الوراثـة النبـاتي: التطـور الـدارويني مسـتحيل ، https://creation.com/geneticist-evolution-impossible
28 - روبـرت كـارتر: الإنتروبيـا الجينيـة والكائنـات الحيـة البسـيطة ، https://creation.com/genetic-entropy-and-simple-organisms
29- ديفيــد كاتشــبول: الوقــت: لا يوجــد صــديق للتطــور ، https://creation.com/time-no-friend-of-evolution
30 - جـون ، د مـوريس: الطبيعـة الحقيقيـة لسـجل الأحـافير ، 1 فبرايـر 2010 ، موقـع: معهـد أبحـاث الخلـق: ICR التـابع لمركـز ديسـكفري: /http://www.icr.org/article/real-nature-fossil-record
31 - النظريـــــة الداروينيـــــة مقابـــــل الســـــجل الأحفـــــوري http://www.arn.org/docs/stasfig/stasis1.htm
32- أحمد يحيى: السـجل الاحفـورى يقـول :لا للتطـور ، مدونـة : نظريـة التطـــــــور وحقيقـــــــة الخلـــــــق ، الموقـــــــع: /http://creationoevolution.blogspot.com .
33 - كيسي وسكين : هدية عيد ميلاد داروين ، معهد ديسكفري ، الولايـات المتحـــــدة الأمريكيـــــة، علـــــى الشـــــبكة المعلوماتيـــــة، www.discovery.org/csc.
34 - دون بـاتن : حفريـات حيـة : حجـة قويـة للقـائلين بـالخلق ، موقـع: https://creation.com/werner-living-fossils
35 - دون باتن : الطيور الحديثة وجدت مع الديناصورات، يوليو 2012م موقع: http://creation.com
36 - الراغب الأصفهاني: غريب القرآن .
37 - محمد بن ابي بكر الرازي: مختار الصحاح .
38 - الطبري: تفسير الطبري .

39- الجـاحظ : البيـان و التبيـين ، الطبعـة الأولـى دار صـعب – بيـروت ، 1968 .
40- عمر سليمان الأشقر: تاريخ الفقه الإسلامي
41 - الراغب الأصفهاني: غريب القرآن .
42 - هالي بابلي: التطور والجيولوجيا الجزء الثاني والعشـرين ومحـاولات الـــــرد علــــــى مشـــــكلة انفجــــــار الكامبريــــــان http://drghaly.com/articles/display/
43 - هيثم طلعت : موسوعة الرد على الملحدين العرب
44 هشـــام المصـــري: حقـــائق هـــدمت الإلحـــاد مـــن جـــذوره، موقـــع: http://www.eltwhed.com/vb/showthread.php?60055-.

*****

المحتويات

النموذج الثاني:: نقض قوله بأن القرآن مُترجم إلى اللغة العربية من الكتاب المكنون

النموذج الثالث: نقض تفسيره لآية { فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ }
النموذج الرابع: نقض قول شحرور في القضاء والقدر
النموذج الخامس: نقض قوله بأن جمع القرآن تَمّ نهائيا في عهد عثمان

النموذج السادس: نقض قول شحرور بأن السنة النبوية ليست وحيا

النموذج السابع: نقض تفسيره لعدم أمر الرسول بتدوين سنته
النموذج الثامن: نقض قوله بأن السبب السياسي هو العامل الأساسي في جمع السنة
النموذج التاسع: نقض تعريف شحرور لمعنى " السلفية "
النموذج العاشر: نقض قوله بأن التوراة والإنجيل اليوم يحملان طابع المرحلية
النموذج الحادي عشر: نقض قوله بأنه توصل إلى نتائج لا توجد في كتب السلف
- الخاتمة:
- من مصادر الكتاب ومراجعه:

<u>مُصنفات للمؤلف :</u>

1- صفحات من تاريخ أهل السنة و الجماعة في بغداد .
2-الداروينية في ميزان الإسلام والعلم .
3- قضية التحكيم في موقعة صفين – دراسة وفق منهج علم الجرح والتعديل
4- الثورة على سيدنا عثمان بن عفان – دراسة وفق منهج علم الجرح والتعديل-
5- مدرسة الرواة الكذابين في رواية التاريخ الإسلامي و تدوينه .
6- الصحابة المعتزلون للفتنة الكبرى – دراسة وفق منهج أهل الجرح والتعديل .
7- الأزمة العقيدية بين الأشاعرة و أهل الحديث .
8- أخطاء المؤرخ عبد الرحمن ابن خلدون في كتابه المقدمة
9- الأخطاء التاريخية و المنهجية في مؤلفات محمد عابد الجابري و محمد أركون
10-أباطيل و خرافات حول القرآن الكريم و النبي محمد-عليه الصلاة و السلام- - دراسة نقدية لدحض أباطيل الجابري ،و خرافات هشام جعيط-
11- نقد فكر الفيلسوف ابن رشد الحفيد –على ضوء الشرع و العقل و العلم
12- التعصب المذهبي في التاريخ الإسلامي- خلال العصر الإسلامي-
13- بحوث حول الخلافة و الفتنة الكبرى-وفق منهج علم الجرح و التعديل-
14- مقاومة أهل السنة للفلسفة اليونانية .
15- وقفات مع أدعياء العقلانية - قراءة نقدية لفكر حسن حنفي ، و نصر حامد أبي زيد ، وهشام جعيط ، و أمثالهم- .
16- تناقض الروايات السنية والشيعية حول تاريخ صدر الإسلام- مظاهره و آثاره ، أسبابه و منهج تحقيقه- .
17- جنايات أرسطو في حق العقل والعلم .
18- مخالفة الفلاسفة المسلمين لطبيعيات القرآن الكريم .
19- منهج أهل الحديث في الرد على المتكلمين-أُسسه و تطبيقاته-
20- قضايا تاريخية وفكرية من تاريخنا الإسلامي .
21- تهافت ابن رشد في كتابه تهافت التهافت - مظاهره ، آثاره ، أسبابه-
22- جناية المعتزلة على العقل و الشرع – مظاهرها ، آثارها ، أسبابها –
23- الحركة الحنبلية و أثرها في بغداد (من القرن: 3 إلى الخامس الهجري)
24- الحركة العلمية الحنبلة و أثرها في المشرق الإسلامي(ق: 6 إلى 7 الهجري)
25- نقض كتاب بسط التجربة النبوية للباحث الإيراني عبد الكريم سروش.
26- نقض الروايات القائلة بتحريف القرآن الكريم الواردة في المصادر السنية- مظاهرها وآثارها ، مصادرها و أسبابها-
27- المرويات التاريخية عند المسلمين: أساليب النقد وظاهرة الوضع فيها- مبرة الآل والأصحاب، الكويت، 1431هـ/ 2010 .
28- نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف-- قراءة نقدية لأسانيد ومضامين الروايات المؤسسة للتصوف بكل مقوماته -
29- التضليل والتحريف في كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي.
30- نقد تجربة الشك واليقين عند أبي حامد الغزالي في كتابه المنقذ من الضلال .

31- دراسات وأبحاث في الفكر الإسلامي القديم ، دار قرطبة ، وزارة الثقافة، الجزائر، 2013 .
32- نقض الخرافات القائلة بتأثر القرآن الكريم بالكتاب المقدس والأفستا الزرادشتي.
33- تحريف الزرادشتيين للديانة الزرادشتية في العصر الإسلامي .
34- خرافة الوحي والنبوة والتوحيد في الديانة الزرادشتية .
35- الكتاب المقدس ليس وحيا إلهيا .
36- معجزات القرآن من مقارنات الأديان .
37- نقد العقل الملحد : كيف يستدل؟، وبماذا يستدل؟، ولماذا يُلحد؟.
38- لا تَرتَدِّي .. ولا تُلْحِدي !! .
39- نقض خرافة التطور العضوي الموجه .
40- دحضا للشبهات وانتصارا للإيمان والإسلام .
41- مِحنتُك مع هواكَ وشيطانُكَ لا مع الله والقرآن .
42- نقد فكر الدكتور عدنان إبراهيم.
43- نقض شجرة التطور العضوي بالقرآن الكريم وعلم الحفريات .
44- نقد الروايات الشيعية الواردة في المصادر الحديثية السنية.
45- نقض الديانة الأحمدية القاديانية .
46- فضائح التطوريين .
47- تحقيق روايات حديثي " النساء ناقصات عقل ودين" و" لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة" .
48- أوهام من مرويات السيرة النبوية: روايات حادثة غدير خُم أُنموذجا.
49- أوهام في دراسة الأساطير والزرادشتية .
50- أباطيل وأهواء في كتاب" الكتاب والقرآن " لمحمد شحرور.
51- الزرادشتية ديانة ابتدعها المجوس في العصر الإسلامي .